


# ٤١ - ٥٠

محمود شاكر

المكتب الإسلامي

الطبعة الأولى
١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م

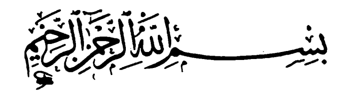
المكتب الاسلامي
بيروت: ص.ب ١١/٣٧٧١ - هاتف ٤٥٠٦٣٨ - برقياً: اسلاميا

بُنَاة دَوْلَةِ الإسْلام

- ٤١ -

# عَمْرُو بنُ العَاصِ

رضي الله عنه



الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ وَالصَّلاَةُ والسَّلاَمُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِ اللَّهِ، خَاتَمِ النَّبِيِّينَ، وَإِمَامِ المُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ سَارَ عَلَى دَرْبِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ وَبَعْدُ:

فَإِنَّ عَمْرَو بنَ العَاصِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مِنَ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ وَجَّهَ إِلَيْهِمُ المُغْرِضُونَ أَخْطَرَ سِهَامِهِمُ المَسْمُومَةِ وَمَا ذَلِكَ إِلاَّ لِمَكَانَتِهِ بَيْنَ الصَّحَابَةِ، وَلِحُبِّ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَهُ، وَلِشَجَاعَتِهِ وَدَهَائِهِ، والحَاجَةِ إِلَيْهِ سَاعَةَ المُلِمَّاتِ، وَقَدْ عُرِفَ عَنْهُ القُدْرَةُ عَلَى حَلِّ مَا أَشْكَلَ مِنْهَا، وإِمْكَانِيَّةُ الخَلاَصِ مِنْ مُعْضِلِهَا. وَلاَ تُوَجَّهُ السِّهَامُ لِلرِّجَالِ العَادِيينَ الَّذِينَ يَسِيرُونَ مَعَ النَّاسِ إِنْ سَارُوا، وَيَقِفُونَ حَيْثُ تُحَطُّ الرِّحَالُ. وَلَوْ لَمْ يَكُنْ عَمْرُو عَظِيماً لَمَا وَجَّهَ إِلَيْهِ المُغْرِضُونَ سِهَامَهُمْ لِيَنَالُوا مِنْهُ. وَلَعَلَّ هَذِهِ السِّهَامَ قَدْ أَثَّرَتْ فِي نُفُوسِ الكَثِيرِينَ حَتَّى زَادُوا عَلَيْهَا افْتِرَاءً ثُمَّ شَاعَتْ فِي

أَوْسَاطِ العَامَّةِ وَلَمْ يَتصَدَّ لَهَا الخَاصَّةُ ـ مَعَ الأَسَفِ ـ وَرُبَّمَا يَعُودُ قُبُولُ بَعْضِ هَذِهِ الشَّائِعَاتِ إِلَى:

١ ـ تَأَخُّرِ إِسْلاَمِهِ وَمُشَارَكَتِهِ لِلْمُشْرِكِينَ فِي قِتَالِ المُسْلِمِينَ.

٢ ـ ذَهَابِهِ إِلَى النَّجَاشِيِّ لإِعَادَةِ المُسْلِمِينَ الَّذِينَ هَاجَرُوا إِلَى الحَبَشَةِ.

٣ ـ بُرُوزِهِ فِي المَرْحَلَةِ الَّتِي انْقَسَمَتْ فِيهَا الأُمَّةُ وَظُهُورِهِ مَعَ رُؤَسَاءِ الفِئَةِ الَّتِي أَخْطَأَتْ فِي اجْتِهَادِهَا. وَقَدْ نُسِجَتْ رِوَايَاتٌ أَكْثَرُهَا غَيْرُ صَحِيحٍ تُصَوِّرُ هَذِهِ الفِئَةَ بِالتَّلاَعُبِ فِي مُقَدَّراتِ الأُمَّةِ. . وَتَتَّهِمُهَا بالمُرُوق مِنَ الدِّينِ.

وَهَذِهِ هِيَ أَكْثَرُ الأَدْوَارِ الَّتِي بَرزَ فِيهَا إِضَافَةً إِلَى مُشَارَكَتِهِ فِي فَتْحِ الشَّامِ، وَفَتْحِ مِصْرَ.

وَهُنَاكَ حَادِثَتَانِ أُخْرَيَانِ هُمَا:

١ ـ اجْتِهَادُهُ فِي أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ بنَ الجَرَّاحِ قَدْ جَاءَهُ مَدَداً وَدَعْمَاً هُوَ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ كِبَارِ الصَّحَابَةِ أَمْثَالِ أَبِي بَكْرٍ وعُمَرَ، وَفِي هَذَا فَخْرٌ لَهُ لَيس بَعْدَهُ فَخْرٌ فِي أَنْ يَكُونَ أَمِيراً عَلَى أَبِي بَكْرٍ، وأَبِي عُبَيْدَةَ، وَعُمَرَ، لِذَا فَقَدْ حَرَصَ عَلَى تِلْكَ الإِمْرَةِ.

٢ ـ حَادِثَةُ ابنُ القِبْطِيِّ وَضَرْبِ ابنِ عَمْرٍ لَهُ، فَإِنَّ مَوْقِفَ

عَمْرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كَانَ إِيجَابِيًّاً، وَلَمْ يَعْتَرِضْ، بَلْ أَبْدَى كُلَّ مُوَافَقَةٍ وَرِضَىً، غيرَ أَنَّ سِيَاقَ الحَادِثَةِ يُحَمِّلُ عَمْراً تَصَرُّفَ ابْنِهِ، وَهَذَا غَيْرُ صَحِيحٍ فَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى.

هَذِهِ أَهَمُّ الأَحْدَاثِ الَّتِي يَعْرِفُهَا النَّاسُ عَنْ هَذَا الصَّحَابِيِّ الجَلِيلِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بِغَضِّ النَّظَرِ عَنِ الفَهْمِ الصَّحِيحِ لِلْأَحْدَاثِ، والتَّفْسِيرِ الإِسْلاَمِيِّ لَهَا.

نَسْأَلُ اللَّهَ العَلِيَّ القَدِيرَ أَنْ يُلْهِمَنَا الحَقَّ والصَّوَابَ لِلتَّرْجَمَةِ وَالتَّعرِيفِ الدَّقِيقِ لاِبْنِ العَاصِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَاللَّهُ وَلِيُّ المُتَّقِينَ.

هُوَ عَمْرُوُ بنُ العَاصِ بنِ وَائِلٍ بنِ هَاشِمٍ بنِ سُعَيِّدٍ بنِ سَهْمٍ بنِ عَمْرٍ بنِ هُصَيْصٍ بنِ كَعْبٍ بنِ لُؤَيٍّ القُرَشِيُّ، مِنْ قَبِيلَةِ سَهْمٍ إِحْدَى بُطُونِ قُرَيْشٍ. كَانَ أَبُوهُ العَاصُ بنُ وَائِلٍ شَيْخَ سَهْمٍ، وَأَحَدَ زُعَمَاءِ قُرَيْشٍ. أَمَّا أُمُّهُ فَهِيَ النَّابِغَةُ مِنْ قَبِيلَةِ عَنَزَةَ.

عُرِفَ بِحَصَافَةِ الرَّأْيِ، وَالدَّهَاءِ، والحِنْكَةِ، والقُدْرَةِ عَلَى حَلِّ المُشْكِلاَتِ، والخُرُوجِ مِنَ المَآزِقِ.

وُلِدَ عَمْرُو، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي السَّنَةِ الخَامِسَةِ والأَرْبَعِينَ قَبْلَ هِجْرَةِ المُصْطَفَى عَلَيْهِ أَفْضَلَ الصَّلاَةِ والسَّلاَمِ، فَهُوَ أَصْغَرُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِثَمَانِ سَنَوَاتٍ، وَتَأَخَّرَ فِي إسْلامِهِ حَتَّى أَوَائِلِ السَّنَةِ الثَّامِنَةِ لِلْهِجْرَةِ، وَقَدْ سَأَلَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: وَمَا أَبْطَأَ بِكَ عَنِ الإِسْلاَمِ وَأَنْتَ أَنْتَ فِي عَقْلِكَ. قَالَ: إِنَّا كُنَّا مَعَ قَوْمٍ لَهُمْ عَلَيْنَا تَقَدُّمٌ، وَكَانُوا مِمَّنْ

يُوازِي خلُـوبُهُمُ الخبَالَ، فَلَمَّا بُعِثَ النَّبِيُّ، صلَّى اللَّهُ علَيْهِ وَسلَّمَ، فَأَنْكَرُوا عَلَيْهِ فَلُذْنَا بِهِمْ، فَلَماَّ ذَهَبُوا وَصارَ الأَمْرُ إلَيْنَا نَظَرْنَا وتَدَبَّرْنَا فَإِذَا حَقٌّ بَيِّنٌ فوَقَعَ فِي قَلْبِيَ الإِسْلاَمُ، فَعرَفَتْ قُرَيْشٌ ذَلِكَ مِنِّي مِنْ إِبْطَائِي عَمَّا كُنْتُ أُسْرِعُ فِيْهِ مِنْ عَوْنِهِم عَلَيْهِ فَبَعَثُوا إِلَيَّ فَتىً مِنْهُمْ فَناظَرَنِي فِي ذَلِكَ، فَقُلْتُ: أُنْشِدُكَ اللَّهَ رَبَّكَ وَرَبَّ مَنْ قَبْلِكَ وَمَنْ بَعْدِكَ أَنَحْنُ أَهْدَى أَمْ فَارِسُ والرُّومُ، قَالَ: نَحْنُ أَهْدَى، قُلْتُ: فَنَحْنُ أَوْسَعُ عَيْشاً أَمْ هُمْ، قَالَ: هُمْ. قُلْتُ: فَمَا يَنْفَعُنَا فَضْلُنَا عَلَيْهِمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَنَا فَضْلٌ إلاَّ فِي الدُّنْيَا وَهُمْ أَعْظَمُ مِنَّا فِيْهَا أَمْرَاً فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَقَدْ وَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّ الَّذِيْ يَقُولُهُ مُحَمَّدٌ مِنْ أَنَّ البَعْثَ بَعْدَ المَوْتِ لِيَجْزِيَ المُحْسِنَ بِإِحْسَانِهِ وَالمُسِيءَ بِإِسَاءَتِهِ حَقٌّ، وَلاَ خَيْرَ فِي التَّمَادِي فِي البَاطِلِ.

إِذَنْ كَانَ عَمْرُو تَبَعاً لِسَادَةِ قُرَيْشٍ عَامَّةً وَلأَبِيهِ خَاصَّةً، وَكَانَ أَبُوهُ مِنْ أَلَدِّ أَعْدَاءِ الإِسْلاَمِ، فَلَمَّا مَاتَ أَبُوهُ، وَمَاتَ أَوْ قُتِلَ مَنْ كَانَ يَعُدُّهُمْ أَصْحَابَ رَأْيٍ سَدِيدٍ تَحَرَّرَ بِفِكْرِهِ فَتَوَصَّلَ إِلَى الحَقِّ وَهَدَاهُ اللَّهُ إِلَى دَرْبِ الإِسْلاَمِ فَأَسْلَمَ.

# فِي الجَاهِلِيَّةِ

عُرِفَ ابنُ العَاصِ بَيْنَ قَوْمِهِ بِالدَّهَاءِ، وَلَمَّا كَانَ صَدِيقَاً لِنَجَاشِيِّ الحَبَشَةِ يَلْتَقِي بِهِ كُلَّمَا سَافَرَ بِتِجَارَةٍ إِلَى بِلاَدِهِ حَتَّى عَرَفَ الكَثِيرَ مِنْ رَغَبَاتِهِ وَطِبَاعِهِ، لِذَا فَقَدْ وَقَعَ اخْتِيَارُ قُرَيْشٍ عَلَيْهِ لِلسَّفَرِ إِلَى الحَبَشَةِ مَعَ مَنْ يُسَافِرُ إِلَيْهَا لِرَدِّ المُسْلِمِينَ الَّذِينَ هَاجَرُوا إِلَيْهَا، وَإِخْرَاجِهِمْ مِنْهَا بَعْدَ أَنِ اطْمَأَنُّوا فِيْهَا.

قالَ ابنُ إِسْحَاقَ: فَلَمَّا رَأَتْ قُرَيْشٌ أَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَدْ أَمِنُوا وَاطْمَأَنُّوا بِأَرْضِ الحَبَشَةِ، وَأَنَّهُمْ قَدْ أَصَابُوا بِهَا دَاراً وَقَراراً، ائْتَمَرُوا بَيْنَهُمْ أَنْ يَبْعَثُوا فِيْهِمْ مِنْهُمْ رَجُلَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ جَلْدَيْنِ إِلَى النَّجَاشِيِّ، فَيَرُدُّهُمْ عَلَيْهِمْ، لِيَفْتِنُوهُمْ فِي دِينِهِمْ، وَيُخْرِجُوهُمْ مِنْ دَارِهِمْ الَّتِي اطْمَأَنُّوا بِهَا وَأَمِنُوا فِيهَا؛ فَبَعَثُوا عَبْدَ اللَّهِ[1] بنَ أَبِي رَبِيعَةَ، وَعَمْرَو بنَ العَاصِ بنِ وَائِلٍ، وَجَمَعُوا لَهُمَا هَدَايَا لِلنَّجَاشِيِّ وَلِبَطَارِقَتِهِ، ثُمَّ بَعَثُوهُمَا إِلَيْهِ فِيْهِمْ[2].

---

(١) عبد الله: أسلم، وكان اسمه بحيري فسمّاه رسول الله، صلى الله عليه وسلم، عبد الله، وهو أخو أبو جهل لأمه، وأمهما هي: أسماء بنت محربة التميمية. وعبد الله، والد الشاعر المعروف عمر بن أبي ربيعة، ووالد الحارث بن أبي ربيعة أمير البصرة والمعروف بالقباع.

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٣٥٦.

وَعَنْ أُمِّ المُؤْمِنِينَ أُمِّ سَلَمَةَ هِنْدِ بِنْتِ أَبي أُمَيَّةَ بن المُغِيرَةِ المَخْزومِيَّةِ قَالَتْ: لَمَّا نَزَلْنَا أَرْضَ الحَبَشَةِ جَاوَرْنَا بِهَا خَيْرَ جَارٍ، النَّجَاشِيَّ، أَمِنَّا عَلَى دِينِنَا، وَعَبَدْنَا اللَّهَ تَعَالَى لاَ نُؤْذَى وَلاَ نَسْمَعُ شَيْئاً نَكْرَهُهُ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ قُرَيْشاً ائْتَمَرُوا بَيْنَهُمْ أَنْ يَبْعَثُوا إِلَى النَّجَاشِيِّ فِيْنَا رَجُلَيْنِ مِنْهُمْ جَلْدَيْنِ، وَأَنْ يُهْدُوا لِلنَّجَاشِيِّ هَدَايَا مِمَّا يَسْتَطْرِفُ مِنْ مَتَاعِ مَكَّةَ، وَكَانَ مِنْ أَعْجَبِ مَا يَأْتِيهِ مِنْهَا الأَدَمُ، فَجَمَعُوا لَهُ أَدَمَاً كَثِيراً، وَلَمْ يَتْرُكُوا مِنْ بَطَارِقَتِهِ بِطْرِيقَاً إِلاَّ أَهْدَوْا لَهُ هَدِيَّةً، ثُمَّ بَعَثُوا بِذَلِكَ عَبْدَ اللَّهِ بنَ أَبِي رَبِيعَةَ وَعَمْرَو بنَ العَاصِ، وَأَمَرُوهُمَا بِأَمْرِهِمْ، وَقَالُوا لَهُمَا: ادْفَعُوا إِلَى كُلِّ بِطْرِيقٍ هَدِيَّتَهُ قَبْلَ أَنْ تُكَلِّمَا النَّجَاشِيَّ فِيهِمْ، ثُمَّ قَدِّمَا إِلَى النَّجَاشِيِّ هَدَايَاهُ، ثُمَّ سَلاَهُ أَنْ يُسَلِّمَهُمْ إِلَيْكُمَا قَبلَ أَنْ يُكَلِّمَهُمْ، قَالَتْ: فَخَرَجَا حَتَّى قَدِمَا عَلَى النَّجَاشِيِّ، وَنَحْنُ عِنْدَهُ بِخَيْرِ دَارٍ، عِنْدَ خَيْرِ جَارٍ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْ بَطَارِقَتِهِ بِطْرِيقٌ إِلاَّ دَفَعَا إِلَيْهِ هَدِيَّتَهُ قَبْلَ أَنْ يُكَلِّمَا النَّجَاشِيَّ، وَقَالاَ لِكُلِّ بِطْرِيقٍ مِنْهُمْ: إِنَّهُ قَدْ ضَوَى إِلَى بَلَدِ المَلِكِ مِنَّا غِلمانٌ سُفَهَاءُ، فارَقُوا دِينَ قَوْمِهِمْ، وَلَمْ يَدْخُلُوا فِي دِيْنِكُمْ، وَجَاءُوا بِدِينٍ مُبْتَدَعٍ، لاَ نَعْرِفُهُ نَحْنُ وَلاَ أَنْتُمْ، وَقَدْ بَعَثَنَا إِلَى المَلِكِ فِيهِمْ أَشْرَافُ قَوْمِهِمْ لِيَرُدَّهُمْ إِلَيْهِمْ، فَإِذَا

كَلَّمْنَا المَلِكَ فِيْهِمْ، فَأَشِيرُوا عَلَيْهِ بِأَنْ يُسَلِّمَهُمْ إِلَيْنَا وَلاَ يُكَلِّمُهُمْ، فَإِنَّ قَوْمَهُمْ أَعْلَى بِهِمْ عَيْنَاً، وَأَعْلَمُ مِمَّا عَابُوا عَلَيْهِمْ؛ فَقَالُوا لَهُمَا: نَعَم. ثُمَّ إِنَّهُمَا قَدَّمَا هَدَايَاهُمَا إِلَى النَّجَاشِيِّ فَقبِلَهَا مِنْهُمَا، ثُمَّ كَلَّمَاهُ فَقَالاَ لَهُ: أَيُّهَا المَلِكُ، إِنَّهُ قَدْ ضَوَى إِلَى بَلَدِكَ مِنَّا غِلْمَانٌ سُفَهَاءُ، فَارَقُوا دِينَ قَوْمِهِمْ وَلَمْ يَدْخُلُوا فِي دِينِكَ، وَجَاءُوا بِدِينٍ ابْتَدَعُوهُ لاَ نَعْرِفُهُ نَحْنُ وَلاَ أَنْتَ، وَقَدْ بَعَثَنَا إِلَيْكَ فِيْهِمْ أَشْرَافُ قَوْمِهِمْ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَعْمَامِهِمْ وَعَشَائِرِهِمْ لِتَرُدَّهُمْ إِلَيْهِمْ، فَهُمْ أَعْلَى بِهِمْ عَيْنَاً وَأَعْلَمُ بِمَا عَابُوهُ عَلَيْهِمْ وَعَاتَبُوهُمْ فِيهِ. قَالَتْ: وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَبْغَضُ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بنِ أَبِي رَبِيعَةَ وَعَمْرِو بنِ العَاصِ مِنْ أَنْ يَسْمَعَ كَلاَمَهُمُ النَّجَاشِيُّ. قَالَتْ: فَقَالَتْ بَطَارِقَتُهُ حَوْلَهُ: صَدَقَا أَيُّهَا المَلِكُ، قَوْمُهُمْ أَعْلَى بِهِمْ عَيْنَاً، وَأَعْلَمُ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ، فَأَسْلِمْهُمْ إِلَيْهِمَا فَلْيَرُدَّاهُمْ إِلَى بِلاَدِهِمْ وَقَوْمِهِمْ. قَالَتْ: فَغَضِبَ النَّجَاشِيُّ، ثُمَّ قَالَ: لاَهَا اللَّهِ، إِذَنْ لاَ أُسَلِّمُهُمْ إِلَيْهِمَا، وَلاَ يُكَادُ قَوْمٌ جَاوَرُونِي، وَنَزَلُوا بِلاَدِي، وَاخْتَارُونِي عَلَى مَنْ سِوَايَ، حَتَّى أَدْعُوهُمْ فَأَسْأَلُهُمْ عَمَّا يَقُولُ هَذَانِ فِي أَمْرِهِمْ، فَإِنْ كَانُوا كَمَا يَقُولاَنِ أَسْلَمْتُهُمْ إِلَيْهِمَا، وَرَدَدْتُهُمْ إِلَى قَوْمِهِمْ، وَإِنْ كَانُوا عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ مَنَعْتُهُمْ مِنْهُمَا، وَأَحْسَنْتُ جِوَارَهُمْ مَا جَاوَرُونِي.

قَالَتْ: ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أصحَابِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَدَعَاهُمْ، فَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولُهُ اجْتَمَعُوا، ثُمَّ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: مَا تَقُولُونَ لِلرَّجُلِ إذَا جِئْتُمُوهُ؟ قَالُوا: نَقُولُ وَاللَّهِ مَا عَلِمْنَا، وَمَا أَمَرَنَا بِهِ نَبِيُّنَا، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَائِنَاً فِي ذَلِكَ مَا هُوَ كَائِنٌ. فَلَمَّا جَاءُوا وَقَدْ دَعَا النَّجَاشِيُّ أَسَاقِفَتَهُ، فَنَشَرُوا مَصَاحِفَهُمْ حَوْلَهُ، سَأَلَهُمْ فَقَالَ لَهُمْ: مَا هَذَا الدِّينُ الَّذِي فَارَقْتُمْ فِيْهِ قَوْمَكُمْ، وَلَمْ تَدْخُلُوا بِهِ فِي دِينِي، وَلاَ فِي دِينِ أَحَدٍ مِنْ هَذِهِ المِلَلِ؟. قَالَتْ: فَكَانَ الَّذِي كَلَّمَهُ جَعْفَرُ بنُ أَبِي طَالِبٍ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ، فَقَالَ: أَيُّهَا المَلِكُ، كُنَّا قَوْمَاً أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ، نَعْبُدُ الأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ المَيْتَةَ، وَنَأْتِي الفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الجِوَارَ، وَيَأْكُلُ القَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ؛ فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ، حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَسُولاً مِنَّا، نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ وَعَفَافَهُ، فَدَعَانَا إِلَى اللَّهِ لِنُوَحِّدَهُ وَنَعْبُدَهُ، وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الحِجَارَةِ والأَوْثَانِ، وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الأَمَانَةِ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَحُسْنِ الجِوَارِ، وَالكَفِّ عَنِ المَحَارِمِ وَالدِّمَاءِ، وَنَهَانَا عَنِ الفَوَاحِشِ، وَقَوْلِ الزُّورِ، وَأَكْلِ مَالِ اليَتِيمِ، وَقَذْفِ المُحْصِنَاتِ؛ وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ لاَ

نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً، وَأَمَرْنَا بِالصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ والصِّيَامِ - قَالَتْ: فَعَدَّدَ عَلَيْهِ أُمُورَ الإِسْلاَمِ - فَصدَّقْنَاهُ وَآمَنَّا بِهِ، وَاتَّبَعْنَاهُ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، فَعَبَدْنَا اللَّهَ وَحْدَهُ فَلَمْ نُشْرِكْ بِهِ شيئاً، وَحَرَّمْنَا مَا حَرَّمَ عَلَيْنا، وَأَحْلَلْنَا مَا أَحلَّ لَنا، فَعَدَا عَلَيْنا قَوْمُنَا فَعَذَّبُونَا وَفَتَنُونَا عَنْ دِينِنَا، لِيَرُدُّونَا إِلَى عِبَادَةِ الأَوْثَانِ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَنْ نَسْتَحِلَّ مَا كُنَّا نَسْتَحِلُّ مِنَ الخَبَائِثِ، فَلَمَّا قَهَرُونَا وَظَلَمُونَا وَضَيَّقُوا عَلَيْنَا، وَحَالُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ دِينِنَا، خَرَجْنَا إِلَى بِلاَدِكَ، وَاخْتَرْنَاكَ عَلَى مَنْ سِوَاكَ، وَرَغِبْنَا فِي جِوَارِكَ، وَرَجَوْنَا أَنْ لاَ نُظْلَمَ عِنْدَكَ أَيُّهَا المَلِكُ. قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ: هَلْ مَعَكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ عَنِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ؟ قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ جَعْفَرُ: نَعَمْ؛ فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ: فَاقْرَأْ عَلَيَّ؛ قَالَتْ: فَقَرَأَ عَلَيْهِ صَدْراً مِنْ: «كَهَيَعَصْ». قَالَتْ: فَبَكَى وَاللَّهِ النَّجَاشِيُّ حَتَّى اخْضَلَّتْ لِحْيَتُهُ، وَبَكَتْ أَسَاقِفَتُهُ حَتَّى أَخْضَلُوا مَصَاحِفَهُمْ، حِينَ سَمِعُوا مَا تَلاَ عَلَيْهِمْ؛ ثُمَّ قَالَ لَهُمُ النَّجَاشِيُّ: إِنَّ هَذَا وَالَّذِي جَاءَ بِهِ عِيسَى لَيَخْرُجُ مِنْ مِشْكَاةٍ وَاحِدَةٍ، انْطَلِقَا، فَلا وَاللَّهِ لاَ أُسَلِّمُهُمْ إِلَيْكُمَا، وَلاَ يُكَادُونَ.

قَالَت: فَلَمَّا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِهِ، قَالَ عَمْرُو بنُ العَاصِ: وَاللَّهِ لأَتِيَنَّهُ غَداً عَنْهُمْ بِمَا أَسْتَأْصِلُ بِهِ خَضْرَاءَهُمْ. قَالَتْ:

فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بنُ أَبِي رَبيعَةَ، وكَانَ أَتْقَى الرَّجُلَيْنِ فِينَا: لاَ تَفْعَلْ فَإِنَّ لَهُمْ أَرْحَاماً، وَإِنْ كَانُوا قَدْ خَالَفُونَا، قَالَ: وَاللَّهِ لأُخْبِرَنَّهُ أَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ عِيسَى بنَ مَرْيَمَ عَبْدٌ. قَالَتْ: ثُمَّ غَدَا عَلَيْهِ مِنَ الغَدِ. فَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا المَلِكُ، إِنَّهُمْ يَقُولُونَ فِي عِيسَى بنِ مَرْيَمَ قَوْلاً عَظِيماً، فَأَرْسِلْ إِلَيْهِمْ فَسَلْهُمْ عَمَا يَقُولُونَ فِيْهِ. قَالَتْ: فَأَرْسَلَ إِلَيْهِم لِيَسْأَلَهُمْ عَنْهُ قَالَتْ: وَلَمْ يَنْزِلْ بِنَا مِثْلُهَا قَطُّ. فَاجْتَمَعَ القَوْمُ، ثُمَّ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: مَاذَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى بنِ مَرْيَمَ إِذَا سَأَلَكُمْ عَنْهُ؟. قَالُوا: نَقُولُ وَاللَّهِ مَا قَالَ اللَّهُ، وَمَا جَاءَنَا بِهِ نَبِيُّنَا، كَائِنَاً فِي ذَلِكَ مَا هُوَ كَائِنٌ. قَالَتْ: فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالَ لَهُمْ: مَاذَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى بنِ مَرْيَمَ؟ قَالَتْ: فَقَالَ جَعْفَرُ بنُ أَبِي طَالِبٍ: نَقُولُ فِيهِ الَّذِي جَاءَنَا بِهِ نَبِيُّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، يَقُولُ: هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَرُوحُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ العَذْرَاءِ البَتُولِ. قَالَتْ: فَضَرَبَ النَّجَاشِيُّ بِيَدِهِ إِلَى الأَرْضِ، فَأَخَذَ مِنْهَا عُوداً، ثُمَّ قَالَ: وَاللَّهِ مَا عَدَا عِيسَى بنُ مَرْيَمَ مَا قُلْتَ هَذَا العُود. قَالَتْ: فَتَنَاخَرَتْ بَطَارِقَتُهُ حَوْلَهُ حِينَ قَالَ مَا قَالَ؛ فَقَالَ: وَإِنْ نَخَرْتُمْ وَاللَّهِ، اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ شُيُومٌ[1] بِأَرْضِي، مَنْ

(١) شيوم بلغة أهل الحبشة تعني آمنون.

سَبَّــكُمْ غَرِمَ، ثُمَّ قَالَ: مَنْ سَبَّــكُمْ غَرِمَ، مَا أُحِــبُّ أَنَّ لِي دَبْــراً[1]. مِن ذَهَبٍ، وَأَنِّي آذَيْتُ رَجُلاً مِنْكُمْ، رُدُّوا عَلَيْهِمَـا هَدَايَاهُمَا فَلاَ حَاجَةَ لِي بِهَا، فَوَاللَّهِ مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنِّي الرَّشْـوَةَ حِينَ رَدَّ عَلَيَّ مُلْكِي، فَآخُذُ الرَّشْوَةَ فِيهِ، وَمَا أَطَاعَ النَّاسَ فِيَّ فَأُطِيعُهُـمْ فِيْهِ. قَالَـتْ: فَخَرَجَـا مِنْ عِنْـدِهِ مَقْبُوحَيْنِ مَرْدُوداً عَلَيْهِمَا مَا جَاءَا بِهِ، وَأَقَمْنَا عِنْدَهُ بِخَيْرِ دَارٍ مَعَ خَيْرِ جَارٍ[2].

وَرَجَعَ عَمْرُو بنُ العاصِ وَصَاحِبُهُ عَبْدُ اللَّهِ بنُ أَبِي رَبِيعَةَ خَائِبَيْنِ إِلَى مَكَّةَ، لَمْ يَظْفَرَا بِشَيْءٍ مِنْ حَاجَتِهِمَا، وَلَمْ يُنْجِزَا شَيْئاً مِنْ مُهِمَّتِهِمَا. وَبَقِيَ عَمْرُو يُتَابِعُ أَبَاهُ وَزُعَمَاءَ قُرَيْشٍ فِي مُعَادَاةِ الإِسْلاَمِ والمُسْلِمِينَ، وَمَاتَ أَبُوهُ فِي السَّنَـةِ الرَّابِعَـةِ قَبْلَ الهِجْرَةِ، وَاسْتَمَرَّ عَمْرُو فِي عِدَائِهِ.

وَهَاجَرَ المُسْلِمُونَ مِنْ مَكَّةَ إِلَـى المَدِينَـةِ وَهَاجَـرَ رَسُـولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأُقِيمَتْ دَوْلَةُ الإِسْـلاَمِ وَبَـدَأَ الصِّرَاعُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ المُشْرِكِينَ، وَخَرَجَ عَمْرُو بنُ العَاصِ فِي قَافِلَةِ أَبِي سُفْيَانَ إِلَى الشَّامِ، وَنَجَتِ القَافِلَةُ مِنَ الوُقُوعِ فِي

---

(١) الدبر بلغة أهل الحبشة تعني الجبل.
(٢)) سيرة ابن هشام ١/ ٣٥٨ ـ ٣٦٢.

قَبْضَةِ المُسْلِمِينَ فِي الذَّهَابِ والإِيَابِ.

وَالتَقَى المُسْلِمُونَ الخَارِجُونَ لِلِقَاءِ القَافِلَةِ مَعَ جَيْشِ مَكَّةَ القَادِمِ لِلثَّأرِ مِنَ التَّعَرُّضِ لِلْقَافِلَةِ، وَلَمْ يَكُنْ عَمْرُو فِي هَذَا الجَيْشِ لأَنَّـهُ كَانَ فِي عَدَادِ رِجَالِ القَافِلَةِ[1]، وَكَانَتْ مَعْرَكَةً حاسِمَةً انْتَصرَ فِيْهَا الحَقُّ وَدُحِرَ البَاطِلُ، وَقُتِلَ فِيْهَا أَكْثَرُ طَوَاغِيتِ الشِّرْكِ ومِنْهُمْ: مُنَبِّهُ بنُ الحَجَّاجِ أَبُو زَوْجِ عَمْرِو بن العَاصِ، وَقَدْ قَتَلَهُ أَبُو اليَسْرِ، وَأَخُوهَا العَاصُ بنُ مُنَبِّهٍ وَقَتَلَهُ عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ، وَعَمُّهَا نُبَيْهُ بنُ الحَجَّاجِ وَقَتَلَهُ الحَمْزَةُ بنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ وَسَعْدُ بنُ أَبِي وَقَّاصٍ.

فَكَّرَتْ قُرَيْشٌ بِأَنْ تَثْأَرَ مِنَ المُسْلِمِينَ بِإِخْوَانِهِمُ المُهَاجِرِينَ إِلَى الحَبَشَةِ فَأَرْسَلَتْ وَفْداً جَدِيداً إِلَى النَّجَاشِيِّ، وَيَتَأَلَّفُ مِنْ عَمْرِو بنِ العَاصِ، وَعُمَارَةِ بنِ الوَلِيدِ بنِ المُغِيرَةِ[2]،

---

(١) يذكر الذهبي في سير أعلام النبلاء أن عمرو بن العاص قد حضر بدراً مع المشركين، ويبدو أنه أخطأ في ذلك ـ والله أعلم.

(٢) عمارة بن الوليد: أخو خالد بن الوليد، وهو الذي عرضته قريش على أبي طالب بديلاً عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يعطونه عمارة، ويُسلّمهم محمّداً عليه الصلاة والسلام، وكان عمارة أكثر فتيان قريش جمالاً ونضارة. وقد رفض أبو طالب ذلك وقال: تعطوني ابنكم لأتعهده لكم، وأسلمكم ابني لتقتلوه ما هذا بالحقّ والله.

وَرُبَّمَا ظَنَّتْ أَنَّ مَوْقِفَ النَّجَاشِيِّ قَدْ تَغَيَّر لِمَا كَانَتْ تَعلَمُهُ مِنْ نَقْمَةِ البَطَارِقَةِ وَرِجَالِ الكَنِيسَةِ عَلَى النَّجَاشِيِّ، وَعَلَى إِيْوَائِهِ المُسْلِمِينَ فِي بَلَدِهِ، وَلَكِنَّ الوَفْدَ فَشِلَ فِي مُهِمَّتِهِ ثَانِيَةً[1]، وَرُبَّمَا كَانَ أَكْثَرَ مِنْ فَشَلِهِ فِي المَرَّةِ الأُوْلَى، وَعَادَ الوَفْدُ خَائِبَاً، وَقَطَعَتْ قُرَيْشٌ الأَمَلَ فِي أَنْ تَنَالَ شَيْئَاً مِنَ المُسْلِمِينَ فِي الحَبَشَةِ.

وَاسْتَدَارَ العَامُ عَلَى مَعْرَكَةِ بَدْرٍ فَخَرَجَتْ قُرَيْشٌ لِلثَّأْرِ مِنَ المُسْلِمِينَ، وَخَرَجَتْ مَعَهَا النِّسَاءُ التِمَاسَ الحَفِيظَةِ، كَيْ لاَ تَفِرَّ الرِّجَالُ أَمَامَ النِّسَاءِ، وَخَوْفَاً مِنَ العَارِ إِذْ تُسْبَى النِّسَاءُ لَوْ

---

(١) وما يرويه الأصفهاني في كتابه الأغاني: أن زوجة عمرو بن العاص قد فتنت بعمارة واتفقت معه على قتل زوجها، وقد ألقوه بالبحر غير أنه سبح وأخرجه ربّان المركب، وقد مكر عمرو انتقاماً بعمارة عند النجاشي، فقال عمرو لعمارة: أنت رجل جميل والنساء يحببن الجمال، فتعرّض لزوجة النجاشي لعلها أن تشفع لنا عنده، ففعل عمارة ذلك وتكرر تردده عليها حتى أهدت إليه من عطرها: أي ودخل عندها، فلما رأى عمرو ذلك أتى النجاشي وأخبره بذلك: أي فقال له: إن صاحبي هذا صاحب نساء، وإنه يريد أهلك وهو عندها الآن، فاعلم علم ذلك، فبعث النجاشي فإذا عمارة عند امرأته، فقال: لولا إنه جاري لقتلته، ولكن سأفعل به ما هو شرّ من القتل، فدعا بساحر فنفخ في إحليله نفخة، طار منها هائماً على وجهه مسلوب العقل حتى لحق بالوحوش في الجبال إلى أن مات على تلك الحال. ولا صحة لهذا أبداً وهو من خيال الأصفهاني، ولكن أخذ عنه بعض كتاب السير ـ مع الأسف ـ مثل علي بن برهان الدين الحلبي صاحب كتاب السيرة الحلبية.

هَرَبَ الرِّجَالُ، وَطَلَبَاً لإِظْهَارِ الرُّجُولَةِ أَمَامَهُنَّ، وَكَانَ فِيمَنْ خَرَجَ عَمْرُو بنُ العَاصِ وَمَعَهُ زَوْجُهُ رَيْطَةُ بِنْتُ مُنَبِّهِ بنِ الحَجَّاجِ ، وَنَجَا عَمْرُو، وَقَالَ شِعْرَاً مُفْتَخِرَاً بِذَلِكَ اليَوْمِ .

خَرَجْنَـا مِنَ الفَيْفَـا عَلَيْهِـمْ كَأَنَّنَا
مَعَ الصُّبْحِ مِنْ رَضْوَى الحَبِيكِ المُنَطَّقُ[1]
تَمَنَّـتْ بَنُـو النَّجَّـارِ جَهْـلاً لِقَاءَنَا
لَدَى جَنْبِ سَلْعٍ وَالأَمَانِيُّ تَصْدُقُ[2]
فَمَـا رَاعَهُـمْ بِالشَّـرِّ إِلاَّ فُجَاءَةً
كَرَادِيسُ خَيْلٍ فِي الأَزْقَـةِ تَمْرُقُ
أَرَادُوا لِكَيْمَـا يَسْتَبِيحُـوا قِبَابَنَا
وَدُونَ القِبَـابِ اليَوْمَ ضَرْبٌ مُحَرِّقُ
وَكَانَـتْ قِبَابَـاً أُومِنَـتْ قَبْـلَ مَا تَرَى
إِذَا رَامَهَـا قَوْمٌ أُبِيحُـوا وَأُحْنِقُوا
كَأَنَّ رُؤُوسَ الخَـزْرَجِيينَ غَدْوَةً
وَإِيمَانُهُـم بِالمَشْـرَفِيَّةِ بَرُوقُ[3]

---

(١) رضوى: اسم جبل قرب المدينة. الحبيك: ذو الشعاب والدروب. المنطق: المجزم.
(٢) سلع: اسم جبل في المدينة.
(٣) بروق: اسم نبات.

فأَجَابَهُ كَعْبُ بنُ مَالِكٍ :

أَلاَ أَبْلِغَا فِهْـراً عَلَـى نَأْيِ دَارِهَا
وَعِنْدَهُـمْ مِنْ عِلْمِنَـا اليَوْمَ مُصْدَقُ

بِأَنَّا غَدَاةَ السَّفْحِ مِنْ بَطْـنِ يَثْرِبٍ
صَبَرْنَـا وَرَايَاتُ المَنِيَّةِ تَخْفُقُ

صَبَرْنَـا لَهُـمْ والصَّبْـرُ مِنَّـا سَجِيَّةٌ
إِذَا طَارَتْ الأَبْرَامُ نَسْـمُـو ونَرْتُقُ[1]

عَلَـى عَادَةٍ تِلْـكُمْ جَرَيْنَـا بِصَبْرِنَا
وَقِدْماً لَدَى الغَـايَاتِ نَجْـرِي فَنَسْبِقُ

لَنَـا حَوْمَـةٌ لاَ تُسْتَطَـاعُ يَقُودَهَا
نَبِـيٌّ أَتَـى بِالحَـقِّ عَفٌّ مُصَدَّقُ

أَلاَ هَلْ أَتَـى أَفْنَـاءَ فِهْرِ بـنِ مَالِكٍ
مُقَطَّـعُ أَطْـرَافٍ وَهَـامٌ مُفَلَّقُ

كَمَا قَالَ عَمْرُو بنُ العَاصِ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ :

لَمَّـا رَأَيْتُ الحَـرْبَ يَنْـ
ـزُو شَرَّهَـا بِالـرَّضْفِ نَزْوَا

---

(١) الأبرام: اللئام.

وَتَنَاوَلْــتُ شَهْبَــاءُ تَلْـ
ـحُــو النَّــاسَ بِالضَّــرَّاءِ لَحْوا

أَيْقَنْــتُ أَنَّ المَــوْتَ حَقٌّ
وَالحَيَاةَ تَكُونُ لَغْوا

حَمَّلْــتُ أَثْوَابِــي عَلَى
عَتَــدٍ يَبُــذُّ الخَيْلَ رَهْوا[1]

سَــلِسٍ إِذَا نَكِبْــنَ فِي الـ
ـبَيْدَاءِ يَعْلُــو الطَّــرْفَ عَلْوا

وَإِذَا تَنَــزَّلَ مَاؤُهُ
مِــنْ عِطْفِــهِ يَزْدَادُ زَهْوَا

رَبِــذٍ كَيَعْفُــورِ الصَّرِيـ
ـمَــةِ رَاعَــهُ الرَّامُــونَ رَحْــوا[2]

شَنِــجٍ نَسَــاهُ ضَابِطٍ
لِلْخَيْلِ إِرْخَــاءً وَعَدْوا[3]

فَفِــدَىً لَهُــمْ أُمِّــي غَدَا
ةَ الــرَّوْعِ إِذْ يَمْشُــونَ قَطْوا[4]

---

(١) عتد: الجواد القوي.
(٢) الربذ: السريع. اليعفور: ولد الغزالة.
(٣) شنج: منقبض.
(٤) القطو: مشي القطاة أي مشية فيها تبختر.

سَيْرَاً إلَـى كَبْشِ الكَتِيـ
ـبَـةِ إذْ جَلَتْـهُ الشَّـمْسُ جَلْوا

وَأَجَابَهُ كَعْبُ بنُ مَالِكٍ بِقَصِيدةٍ طَوِيلَةٍ مِنْهَا:

أَبْلِـغْ قُرَيْشـاً وَخَيْرُ القَـوْلِ أَصْدَقُهُ
وَالصِّـدْقُ عِنْـدَ ذَوِي الألْبَـابِ مَقْبُولُ
أَنْ قَدْ قَتَلْنَـا بِقَتْلاَنَـا سَرَاتَكُمُ
أَهْـلَ اللِّـوَاءِ فَفِيمَـا يَكْثُـرُ القِيلُ
وَيَوْمَ بَدْرٍ لَقِيْنَـاكُمْ لَنَـا مَدَدٌ
فِيْهِ مَعَ النَّصْـرِ مِيكَالٌ وَجِبْرِيلُ
إنْ تَقْتُلُونَـا فَدِينُ الحَـقِّ فِطْرَتُنَا
وَالقَتْـلُ فِي الحَـقِّ عِنْـدَ اللَّـهِ تَفْضِيلُ

ويَبْدُو أن عَمْرَاً قَدْ لَحِقَ بَعْدَ مَعْرَكَةِ أُحُدٍ بِقَرْيَتِهِ «الوَهْطِ» الَّتِي هِيَ بِالطَّائِفِ عَلَى بُعْدِ ثَلاَثَةِ أَمْيَالٍ مِنْ «وَجٍّ» فَجَلَسَ فِيهَا مُدَّةً، وَلَكِنْ عِنْدَمَا اجْتَمَعَتِ الأَحْزَابُ وَاتَّفَقَتْ فِيمَا بَيْنَهَا عَلَى القَضَاءِ عَلَى المَدِينَةِ خَرَجَ مَعَهُمْ، وكَانَـتْ غَزْوَةُ الخَنْـدَقِ، وَقَدْ بَعَثَ اللَّـهُ عَلَـى الأَحْـزَابِ الـرِّيحَ فِي لَيَالٍ شَاتِيَةٍ بَارِدَةٍ شَدِيدَةِ البَرْدِ، فَجَعَلَتْ تَكْفَأُ[1] قُدُورَهُمْ، وَتَطْرَحُ أَبْنِيَتَهُمْ.

---

(١) تكفأ: تقلب.

فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، اخْتِلاَفُ أَمْرِ الأَحْزَابِ، وَمَا فَرَّقَ اللَّهُ مِنْ جَمَاعَتِهِمْ، دَعَا حُذَيْفَةَ بنَ اليَمَانِ، فَبَعَثَهُ إِلَيْهِمْ، لِيَنْظُرَ مَا فَعَلَ القَوْمُ لَيْلاً.

قَالَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الكُوفَةِ لِحُذَيْفَةَ بنِ اليَمَانِ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، أَرَأَيْتُمْ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَصَحِبْتُمُوهُ؟ قَالَ: نَعَمْ، يا ابنَ أَخِي، قَالَ: فَكَيْفَ كُنْتُمْ تَصْنَعُونَ؟ قَالَ: وَاللَّهِ لَقَدْ كُنَّا نَجْهَدُ، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَوْ أَدْرَكْنَاهُ مَا تَرَكْنَاهُ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ، وَلَحَمَلْنَاهُ عَلَى أَعْنَاقِنَا، فَقَالَ حُذَيْفَةُ: يَا ابْنَ أَخِي، وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتَنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِالخَنْدَقِ، وَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هُوِيّاً[1] مِنَ اللَّيْلِ، ثُمَّ التَفَتَ إِلَيْنَا فَقَالَ: مَنْ رَجُلٌ يَقُومُ فَيَنْظُرَ لَنَا مَا فَعَلَ القَوْمُ ثُمَّ يَرْجِعُ - يَشْرِطُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الرَّجْعَةَ - أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَكُونَ رَفِيقِي فِي الجَنَّةِ؟ فَمَا قَامَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ، مِنْ شِدَّةِ الخَوْفِ، وَشِدَّةِ الجُوعِ، وَشِدَّةِ البَرْدِ، فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ أَحَدٌ، دَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمْ يَكُنْ لِي بُدٌّ مِنَ القِيَامِ حِينَ دَعَانِي؛ فَقَالَ: يَا حُذَيْفَةُ، اذْهَبْ فَادْخُلْ فِي

---

(١) هُوِيّاً من الليل: جزءاً من الليل.

الْقَوْمِ ، فَانْظُرْ مَاذَا يَصْنَعُونَ ، وَلاَ تُحْدِثَنَّ شَيْئاً حَتَّى تَأْتِينَا . قَالَ: فَذَهَبْتُ فَدَخَلْتُ فِي الْقَوْمِ ، وَالرِّيحُ وَجُنُودُ اللهِ تَفْعَلُ بِهِمْ مَا تَفْعَلُ، لاَ تُقِرُّ لَهُمْ قِدْراً وَلاَ نَاراً وَلاَ بِنَاءً. فَقَامَ أَبُو سُفْيَانَ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، لِيَنْظُر امْرُؤٌ مَنْ جَلِيسُهُ؟ قَالَ حُذَيْفَةُ: فَضَرَبْتُ بِيَدِي عَلَى يَدِ الَّذِيْ عَنْ يَمِينِي، فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ، فَقُلْتُ مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: مُعَاوِيَةُ بنُ أَبِي سُفْيَانَ، ثُمَّ ضَرَبْتُ بِيَدِي عَلَى يَدِ الَّذِيْ عَنْ شِمَالِي، فَقُلْتُ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: عَمْرُو بنُ الْعَاصِ [١].

ثُمَّ قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: يَا مَعْشَرَقُرَيْشٍ ، إِنَّكُمْ وَاللَّهِ مَا أَصْبَحْتُمْ بِدَارِ مُقَامٍ ، لَقَدْ هَلَكَ الْكِرَاعُ [٢] وَالْخُفُّ [٣] ، وَأَخْلَفَتْنَا بَنُو قُرَيْظَةَ ، وَبَلَغَنَا عَنْهُمُ الَّذِي نَكْرَهُ ، وَلَقِينَا مِنْ شِدَّةِ الرِّيحِ مَا تَرَوْنَ ، مَا تَطْمَئِنُّ لَنَا قِدْرٌ، وَلاَ تَقُومُ لَنَا نَارٌ، وَلاَ يَسْتَمْسِكُ لَنَا بِنَاءٌ، فَارْتَحِلُوا فَإِنِّي مُرْتَحِلٌ؛ ثُمَّ قَامَ إِلَى جَمَلِهِ وَهُوَ مَعْقُولٌ، فَجَلَسَ عَلَيْهِ، ثُمَّ ضَرَبَهُ فَوَثَبَ بِهِ عَلَى ثَلاَثٍ، فَوَاللَّهِ مَا أُطْلِقَ عِقَالُهُ إِلاَّ وَهُوَ قَائِمٌ، وَلَوْلاَ عَهْدُ رَسُولِ اللَّهِ،

---

(١) شرح المواهب اللدنية.
(٢) الكراع: الخيل.
(٣) الخفّ: الإبل.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيَّ «أَلاَّ تُحْدِثَ شَيْئاً حَتَّى تَأْتِيَنِي» ثُمَّ شِئْتُ، لَقَتَلْتُهُ بِسَهْمٍ.

قَالَ حُذَيْفَةُ: فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي مِرْطٍ[1] لِبَعْضِ نِسَائِهِ... فَلَمَّا سَلَّمَ أَخْبَرْتُهُ الخَبَرَ. وَسَمِعَتْ غَطَفَانُ بِمَا فَعَلَتْ قُرَيْشٌ فَانْشَمَرُوا رَاجِعِينَ إِلَى بِلاَدِهِمْ.

وَلَمَّا أَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، انْصَرَفَ عَنِ الخَنْدَقِ رَاجِعاً إِلَى المَدِينَةِ وَالمُسْلِمُونَ، وَوَضَعْنَا السِّلاَحَ[2].

وَزَالَتِ الغُمَّةُ عَنِ المُسْلِمِينَ. وَبَدَا لِكُلِّ ذِي عَقْلٍ أَنَّ المُسْلِمِينَ فِي أَمَانٍ، وَأَنَّ هُنَاكَ قُوَّةً لاَ قِبَلَ لِلْبَشَرِ بِهَا تَتَوَلاَّهُمْ وَتَرْعَاهُمْ. وَأَنَّهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى اسْتِعْدَادٍ لِلْبَذْلِ وَالتَّضْحِيَةِ وَمُقَارَعَةِ أَهْلِ الأَرْضِ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ إِيمَانٍ وَثَبَاتٍ عَلَى الحَقِّ.

---

(١) المِرط: الكساء.

(٢) سيرة ابن هشام. وكان منصرفه عن الخندق لسبع بقين من ذي القعدة من السنة الخامسة للهجرة.

# إِسْلَامُ عَمْرِو بنِ العَاصِ

بَعْدَ أَنْ رَجَعَتْ قُرَيْشٌ إِلَى مَكَّةَ بَعْدَ الخَنْدَقِ أَخَذَ عَمْرُو بنُ العَاصِ يُفَكِّرُ فِي شَأْنِ مُحَمَّدٍ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَفِي شَأْنِ نَفْسِهِ، فَيَقُولُ فِي ذَلِكَ: لَمَّا انْصَرَفْنَا مَعَ الأَحْزَابِ عَنِ الخَنْدَقِ جَمَعْتُ رِجَالاً مِنْ قُرَيْشٍ، كَانُوا يَرَوْنَ رَأْيِي، وَيَسْمَعُونَ مِنِّي، فَقُلْتُ لَهُمْ: تَعْلَمُونَ وَاللَّهِ أَنِّي أَرَى أَمْرَ مُحَمَّدٍ يَعْلُو الأُمُورَ عُلُوّاً مُنْكَراً، وَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ أَمْراً، فَمَا تَرَوْنَ فِيهِ؟ قَالُوا: وَمَاذَا رَأَيْتَ؟ قَالَ: رَأَيْتُ أَنْ نَلْحَقَ بِالنَّجَاشِيِّ فَنَكُونُ عِنْدَهُ، فَإِنْ ظَهَرَ مُحَمَّدٌ عَلَى قَوْمِنَا كُنَّا عِنْدَ النَّجَاشِيِّ، فَإِنَّا أَنْ نَكُونَ تَحْتَ يَدَيْهِ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ أَنْ نَكُونَ تَحْتَ يَدَيْ مُحَمَّدٍ، وَإِنْ ظَهَرَ قَوْمُنَا فَنَحْنُ مَنْ قَدْ عَرَفُوا، فَلَنْ يَأْتِينَا مِنْهُمْ إِلاَّ خَيْرٌ، قَالُوا: إِنَّ هَذَا الرَّأْيَ؛ قُلْتُ: فَاجْمَعُوا لَنَا مَا نَهْدِيهِ لَهُ، وَكَانَ أَحَبُّ مَا يُهْدَى إِلَيْهِ مِنْ أَرْضِنَا الأَدَمَ. فَجَمَعْنَا لَهُ أَدَماً كَثِيراً، ثُمَّ خَرَجْنَا حَتَّى قَدِمْنَا عَلَيْهِ.

فَوَاللَّهِ إِنَّا لَعِنْدَهُ إِذْ جَاءَهُ عَمْرُو بنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيُّ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَدْ بَعَثَهُ فِي شَأْنِ جَعْفَرٍ وَأَصْحَابِهِ. قَالَ: فَدَخَلَ عَلَيْهِ ثُمَّ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ. قَالَ: فَقُلْتُ لأَصْحَابِي: هَذَا عَمْرُو بنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيُّ، لَو قَدْ دَخَلْتُ عَلَى

النَّجَاشِيِّ وَسَأَلْتُهُ إِيَّاهُ فَأَعْطَانِيه، فضَرَبْتُ عُنُقَهُ، فَإِذَا فَعَلْتُ ذَلِكَ رَأَتْ قُرَيْشٌ أَنِّي قَدْ أَجْزَأْتُ عَنْهَا حِينَ قَتَلْتُ رَسُولَ مُحَمَّدٍ. قَالَ: فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ فَسَجَدْتُ لَهُ كَمَا كُنْتُ أَصْنَعُ، فَقَالَ: مَرْحَباً بِصَدِيقِي، أَهْدَيْتَ إِلَيَّ مِنْ بِلَادِكَ شَيْئاً؟ قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، أَيُّهَا المَلِكُ، قَدْ أَهْدَيْتُ إِلَيْكَ أَدَماً كَثِيراً؛ قَالَ: ثُمَّ قَرَّبْتُهُ إِلَيْهِ، فَأَعْجَبَهُ وَاشْتَهَاهُ؛ ثُمَّ قُلْتُ لَهُ: أَيُّهَا المَلِكُ، إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ رَجُلاً خَرَجَ مِنْ عِنْدِكَ، وَهُوَ رَسُولُ رَجُلٍ عَدُوٍّ لَنَا، فَأَعْطِنِيهِ لأَقْتُلَهُ، فَإِنَّهُ قَدْ أَصَابَ مِنْ أَشْرَافِنَا وَخِيَارِنَا. قَالَ: فَغَضِبَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ فَضَرَبَ بِهَا أَنْفَهُ ضَرْبَةً ظَنَنْتُ أَنَّهُ قَدْ كَسَرَهُ، فَلَوِ انْشَقَّتْ لِيَ الأَرْضُ لَدَخَلْتُ فِيهَا فَرَقاً مِنْهُ؛ ثُمَّ قُلْتُ لَهُ: أَيُّهَا المَلِكُ، وَاللَّهِ لَوْ ظَنَنْتُ أَنَّكَ تَكْرَهُ هَذَا مَا سَأَلْتُكَهُ، قَالَ: أَتَسْأَلُنِي أَنْ أُعْطِيكَ رَسُولَ رَجُلٍ يَأْتِيهِ النَّامُوسُ الأَكْبَرُ الَّذِيْ كَانَ يَأْتِي مُوسَى لِتَقْتُلَهُ! قَالَ: قُلْتُ: أَيُّهَا المَلِكُ، أَكَذَاكَ هُوَ؟ قَالَ: وَيْحَكَ يَا عَمْرُو، أَطِعْنِي وَاتَّبِعْهُ، فَإِنَّهُ وَاللَّهِ لَعَلَى الحَقِّ، وَلَيَظْهَرَنَّ عَلَى مَنْ خَالَفَهُ، كَمَا ظَهَرَ مُوسَى عَلَى فِرْعَونَ وَجُنُودِهِ، قَالَ: قُلْتُ: أَفَتُبَايِعُنِي لَهُ عَلَى الإِسْلَامِ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَبَسَطَ يَدَهُ، فَبَايَعْتُهُ عَلَى الإِسْلَامِ، ثُمَّ خَرَجْتُ إِلَى أَصْحَابِي وَقَدْ حَالَ رَأْيِي عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ، وَكَتَمْتُ عَنْ أَصْحَابِي إِسْلَامِي.

ثُمَّ خَرَجْتُ عَامِداً إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لأُسْلِمَ، فَلَقِيتُ خَالِدَ بنَ الوَلِيدِ، وَذَلِكَ قُبَيْلَ الفَتْحِ، وَهُوَ مُقْبِلٌ مِنْ مَكَّةَ؛ فَقُلْتُ: أَيْنَ يَا أَبَا سُلَيْمَانَ؟ قَالَ: وَاللَّهِ لَقَدِ اسْتَقَامَ المَنْسِمُ[1]، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَنَبِيٌّ، أَذْهَبُ وَاللَّهِ فَأُسْلِمُ، فَحَتَّى مَتَى! قَالَ: قُلْتُ: وَاللَّهِ مَا جِئْتُ إِلاَّ لأُسْلِمَ. قَالَ: فَقَدِمْنَا المَدِينَةَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ، فَتَقَدَّمَ خَالِدُ بنُ الوَلِيدِ فَأَسْلَمَ وَبَايَعَ، ثُمَّ دَنَوْتُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أُبَايِعُكَ عَلَى أَنْ يُغْفَرَ لِي مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِي، وَلاَ أَذْكُرُ مَا تَأَخَّرَ؛ قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا عَمْرُو بَايِعْ، فَإِنَّ الإِسْلاَمَ يَجُبُّ مَا كَانَ قَبْلَهُ، وَإِنَّ الهِجْرَةَ تَجُبُّ مَا كَانَ قَبْلَهَا، قَالَ: فَبَايَعْتُهُ، ثُمَّ انْصَرَفْتُ[2].

وَقَدْ فَرِحَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِإِسْلاَمِهِمَا، فَهُمَا مِنْ عِلِيَةِ القَوْمِ، وَأَصْحَابُ إِمْكَانَاتٍ قِتَالِيَّةٍ، وَفَنٍّ حَرْبِيٍّ، وَكَانَ إِيمَانُهُمَا إِيمَانَ صِدْقٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ،

---

(١) المنسم: خفّ البعير، ويقصد بها الطريق.

(٢) سيرة ابن هشام ٣/ ٢٨٩، ٢٩٠ سير أعلام النبلاء ٣/ ٥٩، ٦٠، مغازي الواقدي، تاريخ ابن عساكر، وأخرجه أحمد في مسنده، ومسلم في صحيحه.

وفي رواية أن عثمان بن طلحة بن أبي طلحة كان مع خالد حين التقى بهما عمرو، وقد أسلم معهما أيضاً.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: «أَسْلَمَ النَّاسُ وآمَنَ عَمْرُو بنُ العَاصِ»[1].

وَيَقُولُ عَمْرُو: «فَوَاللَّهِ إِنِّي لأَشَدُّ النَّاسِ حَيَاءً مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَمَا مَلأْتُ عَيْنِي مِنْهُ وَلاَ رَاجَعْتُهُ».

وَكَانَ فَرَحُهُ لأَنَّهُ يُحِبُّ الخَيْرَ لِلْنَّاسِ جَمِيعاً وَيَتَمَنَّى لَوْ يُؤْمِنُ مِنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعَاً، وَيَعْمَلُ لِذَلِكَ، حَتَّى أَلَدِّ أَعْدَائِهِ، وَلاَ نَنْسَى قَوْلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَسَى أَنْ يَخْرُجَ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَقُولُ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ». وقوله: «اللَّهُمَّ اهْدِ قَوْمِي فَإِنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ».

## مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

فَرِحَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِإِسلاَمِ خَالِدٍ، وَعَمْرٍ، وَعُثْمَانَ، فَرِحَ كَمَا يَفْرَحُ لإِسْلاَمِ كُلِّ إِنْسَانٍ، إِذْ فِيهِ إِنْقَاذٌ مِنَ النَّارِ، وَفَرِحَ لِمَكَانَتِهِمْ مِنْ قُرَيْشٍ، ثُمَّ فَرِحَ لِمَعْرِفَةِ خَالِدٍ، وَعَمْرٍ بِشُؤُونِ الحَرْبِ. فَيَقُولُ عَمْرُو بنُ العَاصِ: مَا

---

(١) رواه الترمذي (٣٨٤٤) وأحمد ٤/ ١٥٥.

عَدَلَ بِي رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَبِخَالِدٍ مُنْذُ أَسْلَمْنَا أَحَداً مِنْ أَصْحَابِهِ فِي حَرْبِهِ[1].

بَقِيَ خَالِدٌ وَعَمْرُو فِي دَارِ الهِجْرَةِ مَا يَقْرُبُ مِنْ سَنَةٍ لِيَعِيشَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَفِي جَوِّ الصَّحَابَةِ فَالقَائِدُ هُوَ إِمَامُ جَيْشِهِ وَلاَ بُدَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ عَلَى عِلْمٍ، وَبَدَأَتْ بَعْدَهَا تُوكَلُ إِلَيْهِمَا المُهِمَّاتُ، يَقُولُ عَمْرُو، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: بَعَثَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «خُذْ عَلَيْكَ ثِيَابَكَ وَسِلاَحَكَ، ثُمَّ ائْتِنِي» فَأَتَيْتُهُ وَهُوَ يَتَوَضَّأُ، فَصَعَّدَ فِيَّ البَصَرَ، وَصَوَّبَهُ فَقَالَ: «إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَبْعَثَكَ عَلَى جَيْشٍ، فَيُسَلِّمُكَ اللَّهُ وَيُغْنِمُكَ، وَأَرْغَبُ لَكَ رَغْبَةً صَالِحَةً مِنَ المَالِ» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَسْلَمْتُ مِنْ أَجْلِ المَالِ، وَلَكِنِّي أَسْلَمْتُ رَغْبَةً فِي الإِسْلاَمِ، وَلأَنْ أَكُونَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ. قَالَ يَا عَمْرُو: «نِعِمَّاً المَالُ الصَّالِحُ لِلرَّجُلِ الصَّالِحِ»[2].

وَكَانَ قَدْ بَلَغَ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّ قُضَاعَةَ قَدْ تَجَمَّعُوا يُرِيدُونَ المَدِينَةَ. فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَمْرَو بنَ العَاصِ، رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ،

---

(١) انظر ابن عساكر ٣/ ٢٥٣.

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، وأحمد ٤/ ١٩٧، ٢٠٢، وابن حبان (١٠٨٩)، والحاكم ٢/ ٢، وذكره ابن عساكر ١٣/ ٢٥٣، والذهبي.

وَذَلِكَ بَعْدَ إِسْلاَمِهِ بِسَنَةٍ، وَعَقَدَ لَهُ لِوَاءً أَبْيَضَ، وَجَعَلَ مَعَهُ رَايَةً سَوْدَاءَ، وَبَعَثَهُ فِي ثَلاَثِمائَةٍ مِنْ سَرَاةِ المُهَاجِرِينَ والأَنْصَارِ، وَمَعَهُمْ ثَلاَثُونَ فَرَساً. وَأَمَرَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَسْتَعِينَ بِمَنْ يَمُرُّ عَلَيْهِمْ[1]، فَسَارَ اللَّيْلَ وَكَمَنَ النَّهَارَ حَتَّى قَرُبَ مِنَ القَوْمِ[2]، فَبَلَغَهُ أَنَّ لَهُمْ جمعاً كثيراً. فَبَعَثَ رَافِعَ بنَ كَعْبٍ الجُهَنِيَّ، رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ أَبَا عُبَيْدَةَ بنَ الجَرَّاحِ فِي مِائَتَيْنِ مِنْ سَرَاةِ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ مِنْهُمْ أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا، وَعَقَدَ لَهُ لِوَاءً، وَأَمَرَهُ أَنْ يَلْحَق بِعَمْرٍو، وَأَنْ يَكُونَا جَمِيعاً وَلاَ يَخْتَلِفَا، فَلَحِقَ بِعَمْرٍو أَبُو عُبَيْدَةَ، وَأَرَادَ أَبُو عُبَيْدَةَ أَنْ يَؤُمَّ النَّاسَ، فَقَالَ عَمْرُو: إِنَّمَا قَدِمْتَ عَلَيَّ مَدَداً وَأَنَا الأَمِيرُ، وَعِنْدَ ذَلِكَ قَالَ جَمْعٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ الَّذِينَ مَعَ أَبِي عُبَيْدَةَ لِعَمْرٍو: أَنْتَ أَمِيرُ أَصْحَابِكَ، وَهُوَ أَمِيرُ أَصْحَابِهِ[3]، فَقَالَ عَمْرُو: أَنْتُمْ مَدَدٌ لَنَا، فَلَمَّا رَأَى أَبُو عُبَيْدَةَ الاخْتِلاَفَ قَالَ: لِتَعْلَمَ يَا عَمْرُو أَنَّ آخِرَ شَيْءٍ عَهِدَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنْ قَالَ: إِنْ

---

(١) كانت أم والده العاص بن وائل امرأة من قبيلة بليّ، وكانت منازل هذه القبيلة على طريقة إلى قضاعة.

(٢) وذلك عندما وصل إلى ماء بأرض جذام يقال له السّلسل، وبه سميت تلك الغزوة «غزوة ذات السلاسل».

(٣) لا يصحّ أن تكون جماعتان، والرأي ما قاله عمرو.

قَدِمْتَ عَلَى صَاحِبِكَ فَتَطَاوَعَا وَلاَ تَخْتَلِفَا، وَإِنِّي وَاللَّهِ إِنْ عَصَيْتَنِي لأُطِيعَنَّكَ، قَالَ: فَإِنِّي الأَمِيرُ عَلَيْكَ، قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: فَدُونَكَ فَصَلِّ بِالنَّاسِ [1]. فَكَانَ عَمْرٌ يُصَلِّي بِالنَّاسِ.

وَحَمَلَ المُسْلِمُونَ عَلَى أَعْدَائِهِمْ فِي هَذِهِ الغَزْوَةِ فَتَفَرَّقُوا، فَأَرَادَ المُسْلِمُونَ أَنْ يَتْبَعُوهُمْ، فَمَنَعَهُمْ عَمْرُو، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَأَرَادُوا أَنْ يُوقِدُوا نَاراً لِيَصْطَلُوا عَلَيْهَا مِنَ البَرْدِ فَمَنَعَهُمْ عَمْرُو، فَشَقَّ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ لِمَا فِيْهِ مِنْ شِدَّةِ البَرْدِ، فَكَلَّمَهُ بَعْضُ سَرَاةِ المُهَاجِرِينَ فَغَالَظَهُ عَمْرُو فِي القَوْلِ، وَقَالَ لَهُ: قَدْ أُمِرْتَ أَنْ تَسْمَعَ لِي وَتُطِيعَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَافْعَلْ. وَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ

---

(١) أبو بكر، وعمر، وأبو عبيدة أفضل من عمرو بن العاص، وهو يعلم هذا، ويقرّ لهم بالأسبقية للإسلام، ويعترف بفضلهم. وكان رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم، يضع كل رجل في المكان الذي يصلح له، وعمرو بن العاص أكثر خبرّةً بالحرب، وأكثر دهاءً، ومكيدةً، لذا فقد أمرّه على من هو أفضل منه. والواقع أن أبا عبيدة قد أُرسل مدداً لعمرو، فعمرو هو الأمير غير أن حبنا لأبي بكر، وعمر، وأبي عبيدة وفضلهم وسابقتهم، وتأخّر إسلام عمرو يجعلنا نقف شعورياً بجانب أبي عبيدة ومن جاء معه. وقد تمسّك عمرو بموقفه لأن رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم قد أمرّه ولا يمكنه أن يتنازل عن شيء أعطاه له رسول الله، صلى الله عليه وسلم، إلا بأمرٍ صريح منه، ويأمره رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بالتنازل، ولم يطلب منه أبو عبيدة، وإنما نتصور أن الأحقية لأبي عبيدة لفضله وسابقته هو ومن معه. ثم إن الإمرة على جيش فيه أبو عبيدة، وأبو بكر، وعمر لفخر عظيم لا يتركه المرء بسهولة.

عُمَرَ بنَ الخطَّابِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، غَضِبَ وَهَمَّ أَنْ يَأْتِيَهُ، فَمَنَعَهُ أَبُو بَكْرٍ، رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، وَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَمْ يَسْتَعْمِلْهُ إلاَّ لِعِلْمِهِ بالحَرْبِ فَسكَتَ. فَلَمَّا قَدِمُوا عَلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، شَكُوهُ، قَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ! كَانَ فِيهِمْ قِلَّةٌ، فَخَشِيتُ أَنْ يَرَى العَدُوُّ قِلَّتَهُمْ، وَنَهْيتُهُمْ أَنْ يَتْبَعُوا العَدُوَّ مَخَافَةَ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ كَمِينٌ فَأَعْجَبَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَاحْتَلَمَ عَمْرُو، رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، فِي لَيْلَةٍ كَانَتْ شَدِيدَةَ البَرْدِ أَثْنَاءَ هَذِهِ الغَزْوَةِ، فَقَالَ لأَصْحَابِهِ: مَا تَرَوْنَ؟ قَدْ وَاللَّهِ اَحْتَلَمْتُ فَإِنِ اغْتَسَلْتُ مِتُّ، فَدَعَا بِمَاءٍ فَغَسَلَ فَرْجَهُ وَتَوضَّأَ وَتَيَمَّمَ، ثُمَّ قَامَ وَصَلَّى بالنَّاسِ. ثُمَّ بَعَثَ عَوْفَ بنَ مَالِكٍ مُبَشِّرَاً لِلنَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِقُدُومِهِمْ وَسَلامَتِهِمْ. قَالَ: قَالَ عَوْفُ بنُ مَالِكٍ، رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: جِئْتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ يُصَلِّي فِي بَيْتِهِ، فَقُلْتُ: السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ. فَقَالَ: عَوفُ بنُ مَالِكٍ: فَقُلْتُ: نَعَمْ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: أَخْبِرْنِي، فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا كَانَ مِنْ مَسِيرِنَا، وَمَا كَانَ بَيْنَ أَبِي عُبَيْدَةَ بنِ الجَرَّاحِ وَبَيْنَ عَمْرٍ، وَمُطَاوَعَةُ أَبِي عُبَيْدَةَ

لِعَمْرٍو، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَرْحَمُ اللَّهُ أَبَا عُبَيْدَةَ بنَ الجَرَّاحِ، وَأَخبَرْتُهُ بِمَنْعِ عَمرٍ، رَضِيَ اللَّهُ تَعالَى عَنْهُ، لِلمُسْلِمِينَ مِنِ اتِّباعِ العَدُوِّ، وَمِنْ إِيقَادِ النَّارِ، وَمِنْ صَلاَتِهِ بِأَصْحَابِهِ وَهُوَ جُنُبٌ، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِ عَمْرٌ كَلَّمَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ذَلِكَ، قَالَ: كَرِهْتُ أَنْ يُوقِدُوا نَاراً فَيَرى عَدُوُّهُمْ قِلَّتَهُمْ، وَكَرِهْتُ أَنْ يَتْبَعُوهُمْ فَيَكُونُ لَهُمْ مَدَدٌ فَيَعْطِفُونَ عَلَيْهِمْ، فَحَمِدَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَمْرَهُ. قَالَ عَمْرُو: وَسَأَلَنِي عَنْ صَلاَتِي فَقَالَ: يَا عَمْرُو صَلَّيْتَ بِأَصْحَابِكَ وَأَنْتَ جُنُبٌ؟ فَقُلْتُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ إِنِّي لَوِ اغْتَسَلْتُ لَمِتُّ، وَلَمْ أَجِدْ بَرْداً قَطُّ مِثْلَهُ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[١].

وَعِنْدَمَا سَارَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَى فَتْحِ مَكَّةَ كَانَ عَمْرُو بنُ العَاصِ بَيْنَ أَفْرَادِ ذَلِكَ الجَيْشِ، وَبَعْدَ الفَتْحِ أَرْسَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِهَدْمِ سُوَاعَ، وَهُوَ أَعْظَمُ صَنَمٍ لِهُذَيْلٍ، وَمَكَانُهُ عَلَى بُعْدِ ثَلاَثَةِ أَمْيَالٍ مِنْ مَكَّةَ.

---

(١) انظر تاريخ ابن عساكر، وسير أعلام النبلاء، والسيرة الحلبية.

وَشَارَكَ عَمْرُو بنُ العَاصِ ، رَضِيَ اللَّهُ تَعالَى عَنْهُ، فِي غَزْوَةِ حُنَيْنٍ ، وَحِصَارِ الطَّائِفِ، ثُمَّ عَادَ إِلَى دَارِ الهِجْرَةِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَانْطَلَقَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ، وَالمُسْلِمِينَ إِلَى تَبُوكَ فِي شَهْرِ رَجَبٍ مِنَ السَّنَةِ التَّاسِعَةِ، وَرَجَعَ فِي رَمَضَانَ مِنَ السَّنَةِ نَفْسِهَا، وَبَدَأَتْ وُفُودُ القَبَائِلِ تَصِلُ إِلَى المَدِينَةِ فَتُبَايِعُ وَتُسْلِمُ، وَحَجَّ أَبُو بَكْرٍ هَذَا العَامَ بِالنَّاسِ .

وَعِنْدَمَا بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسلَّمَ، الكُتُبَ إِلَى المُلُوكِ والأُمَرَاءِ، بَعَثَ عَمْرَو بنَ العَاصِ إِلى (جَيْفَرَ) وَ (عَبْدٍ) ابْنَيِ الجَلَنْدِيِّ مَلِكَيْ عُمَانَ، وَبَعَثَ مَعَهُ كِتَاباً فِيهِ «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، مِنْ مُحَمَّدِ بن عَبْدِ اللَّهِ إِلَى (جَيْفَرَ) و (عَبْدٍ) ابنَيِ الجَلَنْدِيِّ، سَلاَمٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى. أَمَّا بَعْدُ: فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، لأُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيّاً وَيَحِقُّ القَوْلُ عَلَى الكَافِرِينَ، وَإِنَّكُمَا إِنْ أَقْرَرْتُمَا بِالإِسْلاَمِ وَلَّيْتُكُمَا، وَإِنْ أَبَيْتُمَا أَنْ تُقِرَّا بِالإِسْلاَمِ فَإِنَّ مُلْكَكُمَا زَائِلٌ عَنْكُمَا، وَخَيْلِي تَحِلُّ بِسَاحَتِكُمَا، وَتَظْهَرُ نُبُوَّتِي

عَلَى مُلْكِكُمَا» وَخَتَمَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّـى اللَّـهُ عَلَيْهِ وَسَلَّـمَ، الكِتَابَ.

قَالَ عَمْرُو: ثُمَّ خَرَجْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى عُمَانَ، فَعَمَدْتُ إِلَى عَبْدٍ، وَكَانَ أَحْلَمَ الرَّجُلَيْنِ وَأَسْهَلَهُمَا خُلُقاً، فَقُلْتُ: إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّـى اللَّـهُ عَلَيه وَسَلَّـمَ، إِلَيْكَ وَإِلَـى أَخِيكَ، فَقَالَ: أَخِي المُقَدَّمُ عَلَيَّ بالسِّـنِّ والمُلْكِ، وَأَنَـا أُوصِـلُكَ بِهِ حَتَّى يَقْرَأَ كِتَابَكَ، ثُمَّ قَالَ: وَمَا تَدْعُو إِلَيْهِ؟ قُلْتُ: أَدْعُوكَ إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ، وَتَخْلَعُ مَا عُبِدَ مِنْ دُونِهِ، وَتَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، قَالَ: يَا عَمْرُو إِنَّكَ ابـنُ سَيِّدِ قَوْمِـكَ فَكَيْفَ صَنَـعَ أَبُوكَ؟ يَعْنِي العَاصَ بنَ وَائِلٍ، فَإِنَّ لَنَا فِيْهِ قُدْوَةً! قُلْتُ: مَاتَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَوَدِدْتُ لَهُ لَوْ كَانَ آمَنَ وَصَدَّقَ بِهِ، وَقَدْ كُنْتُ قَبْلُ عَلَى مِثْلِ رَأْيِهِ حتَّى هَدَانِي اللَّهُ لِلإِسْلاَمِ، فقَالَ: مَتَى تَبِعْتَهُ؟ قُلْتُ: قَرِيباً، فَسَأَلَنِي أَيْنَ كَانَ إِسْلاَمِي؟ فَقُلْتُ: عِنْدَ النَّجَاشِيِّ، وَأَخْبَرْتُـهُ أَنَّ النَّجَاشِـيَّ قَدْ أَسْلَمَ، قَالَ: فَكَيْفَ صَنَعَ قَوْمُهُ بِمُلْكِهِ؟ قُلْتُ: أَقَرُّوهُ وَاتَّبَعُوهُ، قَالَ: وَالأَسَاقِفَةُ: أَيْ رُؤَسَاءِ النَّصْـرَانِيَّةِ والرُّهْبَـانِ، قُلْـتُ: نَعَمْ، قَالَ: انْظُرْ يَا عَمْرُو مَا تَقُولُ؟ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ خِصْلَةٍ فِي رَجُلٍ أَفْضَحُ لَهُ: أَيْ أَكْثَـرُ فَضِيحَـةً مِنْ كَذِبٍ. قُلْـتُ: وَمَـا

كَذَبْتُ وَمَا نَسْتَحِلُّهُ فِي دِينِنا، ثُمَّ قَالَ: مَا أَرَى هِرَقْلَ عَلِمَ بِإسْلاَمِ النَّجَاشِّي. قُلْتُ لَهُ: بلَى. قَالَ: بِأَيِّ شَيْءٍ عَلِمْتَ ذَلِكَ يَا عَمْرُو؟ قُلْتُ: كَانَ النَّجَاشِيُّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يُخْرِجُ لَهُ خَرَاجاً، فَلَمَّا أَسْلَمَ النَّجَاشِيُّ، وَصَدَّقَ بِمُحَمَّدٍ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: لاَ وَاللَّهِ، وَلَوْ سَأَلَنِي دِرْهَماً وَاحِداً مَا أَعْطَيْتُهُ، فَبَلَغَ هِرَقْلَ قَوْلُهُ، فَقَالَ لَهُ أَخُوهُ: أَتَدَعُ عَبْدَكَ لاَ يُخْرِجُ لَكَ خَرَاجاً، وَيَدِينُ دِيناً مُحْدَثاً. فَقَالَ هِرَقْلُ: رَجُلٌ رَغِبَ فِي دِينٍ وَاخْتَارَهُ لِنَفْسِهِ مَا أَصْنَعُ بِهِ؟ وَاللَّهِ لَوْلاَ الضَّنُّ بِمُلْكِي لَصَنَعْتُ كَمَا صَنَعَ، قَالَ انْظُرْ مَا تَقُولُ يَا عَمْرُو. قُلْتُ: وَاللَّهِ صَدَقْتُكَ. قَالَ عَبْدُ: فَأَخْبِرْنِي مَا الَّذِيْ يَأْمُرُ بِهِ وَيَنْهَى عَنْهُ؟ قُلْتُ: يَأْمُرُ بِطَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَيَنْهَى عَنْ مَعْصِيَتِهِ، وَيَأْمُرُ بِالبِرِّ وَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَيَنْهَى عَنِ الظُّلْمِ وَالعُدْوَانِ، وَعَنِ الزِّنَا وَشُرْبِ الخَمْرِ، وَعَنْ عِبَادَةِ الحَجَرِ وَالوَثَنِ وَالصَّلِيبِ. فَقَالَ: مَا أَحْسَنَ هَذَا الَّذِيْ يَدْعُو إِلَيْهِ لَوْ كَانَ أَخِي يُتَابِعُنِي لَرَكِبْنَا حَتَّى نُؤْمِنَ بِمُحَمَّدٍ وَنُصَدِّقَ بِهِ، وَلَكِنَّ أَخِي أَضَنُّ بِمُلْكِهِ مِنْ أَنْ يَدَعَهُ وَيَصِيرَ ذَنَباً أَيْ تَابِعاً.

قُلْتُ: إِنَّهُ إِنْ أَسْلَمَ مَلَّكَهُ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلَى قَوْمِهِ، فَأَخَذَ الصَّدَقَةَ مِنْ غَنِيِّهِمْ فَرَدَّهَا عَلَى

فَقِيرِهِمْ، قَالَ: إنَّ هَذَا الخُلُقَ حَسَنٌ، وَمَا الصَّدَقَةُ؟ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِنَ الصَّدَقَاتِ فِي الأَمْوَالِ. وَلَمَّا ذَكَرْتُ المَوَاشِيَ قَالَ: يَا عَمْرُو، يُؤْخَذُ مِنْ سَوَائِمِ مَوَاشِينَا الَّتِي تَرْعَى فِي الشَّجَرِ وَتَرِدُ المَاءَ، فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا أَرَى قَوْمِي فِي بُعْدِ دَارِهِمْ وَكَثْرَةِ عَدَدِهِمْ يُطِيعُونَ بِهَذَا.

قَالَ عَمْرُو: فَمَكَثْتُ أَيَّاماً بِبَابِ (جَيْفَرَ)، وَقَدْ أَوْصَلَ إِلَيْهِ أَخُوهُ خَبَرِي، ثُمّ إِنَّهُ دَعَانِي فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ، فَأَخَذَ أَعْوَانُهُ بَعَضُدِي، قَالَ: دَعُوهُ، فَأُرْسِلْتُ، فَذَهَبْتُ لأَجْلِسَ فَأَبَوْا أَنْ يَدَعُونِي أَجْلِسُ، فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: تَكَلَّمْ بِحَاجَتِكَ، فَدَفَعْتُ إِلَيْهِ كِتَاباً مَخْتُوماً، فَفَضَّ خَاتَمَهُ، فَقَرَأَهُ حَتَّى انْتَهَى إِلَى آخِرِهِ، ثُمَّ دَفَعَهُ إِلَى أَخِيهِ فَقَرَأَهُ، ثُمَّ قَالَ: أَلاَ تُخْبِرْنِي عَنْ قُرَيْشٍ كَيْفَ صَنَعَتْ؟ فَقُلْتُ: اتَّبَعُوهُ، إِمَّا رَاغِبٌ فِي الدِّينِ وَإِمَا رَاهِبٌ مَقْهُورٌ بِالسَّيْفِ. قَالَ: وَمَنْ مَعَهُ؟ قُلْتُ: النَّاسُ قَدْ رَغِبُوا فِي الإِسْلاَمِ، وَاخْتَارُوه عَلَى غَيْرِهِ، وَعَرَفُوا بِعُقُولِهِمْ مَعَ هَدْيِ اللَّهِ إِيَّاهُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا فِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ، فَمَا أَعْلَمُ أَحَداً بَقِيَ غَيْرُكَ فِي هَذِهِ الخَرْجَةِ، وَأَنْتَ إِنْ لَمْ تُسْلِمِ اليَوْمَ وَتَتَّبِعْهُ تَطَؤُكَ الخَيْلُ، وَتُبِيدُ خَضْرَاءَكَ فَأَسْلِمْ تَسْلَمْ وَيَسْتَعْمِلُكَ

عَلَى قَوْمِكَ، وَلاَ تُدْخِلْ عَلَيْكَ الخَيْلَ والرِّجَالَ، قَالَ: دَعْنِي يَوْمِي هَذَا وَارْجعْ إِلَيَّ غَدَاً. فَلَمَّا كَانَ الغَدُ أَتَيْتُ إِلَيْهِ، فَأَبى أَنْ يَأْذَنَ لِي، فَرَجَعْتُ إِلَى أَخِيهِ فَأَخْبَرْتُهُ أَنِّي لَمْ أَصِلْ إِلَيْهِ، فَأَوْصَلَنِي إِلَيْهِ، فَقَالَ: إِنِّي فَكَّرْتُ فِيمَا دَعَوْتَنِي إِلَيْهِ، فَإِذَا أَنَا أَضْعَفُ العَرَبِ إِنْ مَلَّكْتُ رَجُلاً مَا فِي يَدِي وَهُوَ لاَ تَبْلُغُ خَيْلُهُ هَا هُنَا، وَإِنْ بَلَغَتْ خَيْلُهُ أَلْفَتْ أَيْ: وَجَدَتْ قِتَالاً لَيْسَ كَقِتَالِ مَنْ لاَقَى. قُلْتُ: وَأَنَا خَارِجٌ غَدَاً، فَلَمَّا أَيْقَنَ بِخُرُوجِي خَلاَ بِهِ أَخُوهُ، فَأَصْبَحَ فَأَرْسَلَ إِلَيَّ، فَأَجَابَ إِلَى الإِسْلاَمِ هُوَ وَأَخُوهُ جَمِيعَاً، وَصَدَّقَا، وَخَلَّيَا بَيْنِي وَبَيْنَ الصَّدَقَةِ وَبَيْنَ الحُكْمِ فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَكَانَا لِي عَوْنَاً عَلَى مَنْ خَالَفَنِي[1].

وَتُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَمْرُو عَلَى عُمَانَ، فَأَتَاهُ كِتَابُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بِوَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَطَلَبَ مِنْهُ القُدُومَ. وَيَبْدُو أَنَّ طَلَبَ القُدُومِ كَانَ لأَنَّ أَكْثَرَ العَرَبِ قَدِ ٱرْتَدُّوا، وَأَصْبَحَ مَا بَيْنِ المَدِينَةِ وَعُمَانَ رِدَّةٌ، وَيُخْشَى مِنْهَا، وَلاَ بُدَّ مِنْ إِعَادَةِ الأَوْضَاعِ إِلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ.

قَالَ عَمْرُو: فَأَقْبَلْتُ حَتَّى مَرَرْتُ عَلَى مُسَيْلَمَةَ، فَأَعْطَانِي

---

(١) السيرة الحلبية: ٣/ ٣٠٠، ٣٠٣.

الأَمَـانَ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ مُحَمَّـدَاً أُرْسِـلَ فِي جَسِيمِ الأُمُـورِ، وَأُرْسِلْتُ فِي المُحَقَّـرَاتِ. قُلْـتُ: اعْـرِضْ عَلَـيَّ مَا تَقُـولُ. فَقَالَ: يَا ضِفْدَعُ نِقِّي فَإِنَّكِ نِعْمَ مَا تَنِقِّينَ، لاَ زَاداً تُنَقِّرِينَ، وَلاَ مَاءً تُكَدِّرِينَ. ثُمَّ قَالَ: يَا وَبْرُ يَا وَبْرُ، وَيدَانِ وَصَدْرُ، وَبَيَانُ خَلْقُهُ حَفْرُ. ثُمَّ أُتِيَ بِأُنَاسٍ يَخْتَصِمُـونَ فِي نَخْـلاَتٍ قَطَعَهَـا بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ. فَتَسَجَّى قَطِيفَةً، ثُمَّ كَشَفَ رَأْسَهُ، ثُمَّ قَالَ: وَاللَّيلِ الأَدْهَمِ، وَالذِّئبِ الأَسْحَمِ، مَا جَاءَ ابنُ أَبِي مُسْلِمٍ مِنْ مُجْرِمٍ. ثُمَّ تَسَجَّى الثَّانِيَةَ، فَقَـالَ: وَاللَّيلِ الـدَّامِسِ، وَالذِّئبِ الهَامِسِ، مَا حُرْمَتُهُ رَطِبَاً إِلاَّ كَحُرْمَتِهِ يَابِسٍ، قُومُوا فَلاَ أَرَى عَلَيْكُمْ فِيمَا صَنَعْتُمْ بَأْساً. قَالَ عَمْرُو: أَمَا وَاللَّهِ إِنَّكَ كَاذِبٌ، وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ إِنَّكَ لَمِنَ الكَاذِبِينَ، فَتَوَعَّدَنِي[1].

## مَعَ الخَلِيفَةِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

وَصَلَ عَمْرُو بنُ العَاصِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إِلَى المَدِينَـةِ المُنَوَّرَةِ قَادِمَاً مِنْ عُمَانَ، وَكَانَ الخَلِيفَةُ الصِّدِّيقُ قَدْ رَأَى تَغْيِيرَ عُمَّالَ الصَّدَقَـاتِ، فَسَيَّرَ عَمْرَو بـنَ العَـاصِ إِلَـى قُضَاعَـةَ، وَبَقِيَ مَا يَقْرُبُ مِنْ سَنَتَيْنِ يَجْمَعُ صَدَقَاتِ قُضَاعَةَ، وَكَانَتْ قَدْ

(١) سير أعلام النبلاء: ٣/ ٦٩.

دَخلَت السَّنَةُ الثَّالِثَةُ عَشْرَةَ فَاسْتَدْعَاهُ الخَلِيفَـةُ وَولاَّهُ عَلـى مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّـى اللَّـهُ عَلَيْهِ وَسَلَّـم ، قَدْ وَلاَّهُ، عَلـى صَدَقَاتِ عُمَانَ، فَسَارَ عَمْرُو إِلَى عَمَلِهِ الجَـدِيدِ، وَبَعْـدَ مُدَّةٍ رَأَى الخَلِيفَةُ الصِّدِّيقُ أَنْ يَعْهَدَ إِلَيْه بِمُهِمَّةٍ جَدِيدَةٍ لِيَسْتَفِيدَ فِيهَا مِنْ مَهَارَتِهِ الحَرْبِيَّةِ وَدَهَائِهِ فَكَتَبَ إِلَيْهِ: إِنِّي كُنْتُ قَدْ رَدَدْتُكَ عَلَى العَمَلِ الَّذِيْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلاَّكَهُ مَرَّةً، وَسَمَّاهُ لَكَ أُخْرَى، وَمُبْعِثُكَ إِلَى عُمَانَ إِنْجَازاً لِمَوَاعِيدِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَدْ وُلِّيتَهُ ثُمَّ وُلِّيتَهُ، وَقَدْ أَحْبَبْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ أَنْ أُفْرِغَكَ لِمَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ فِي حَيَاتِـكَ وَمَعَادِكَ مِنْهُ؛ إِلاَّ أَنْ يَكُونَ الَّذِيْ أَنْتَ فِيْهِ أَحَبَّ إِلَيْكَ. فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَمْرٌ: إِنِّي سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ الإِسْلاَمِ، وَأَنْـتَ بَعْـدَ اللَّـهِ الرَّامِي بِهَا، وَالجَامِعُ لَهَا، فَانْظُرْ أَشَدَّهَا وَأَخْشَاهَـا وَأَفْضَلَهَـا فَارْمِ بِهِ شَيْئاً إِنْ جَاءَكَ مِنْ نَاحِيَةٍ مِنَ النَّوَاحِي.

جَاءَ عَمْرُو بنُ العَاصِ إِلَى المَدِينَـةِ المُنَـوَّرَةِ بِنَـاءً عَلَـى طَلَـبِ الخَلِيفَـةِ الصِّـدِّيقِ، الَّـذِي كَانَ قَدِ انْتَهَـى مِنْ حَرْبِ المُرْتَـدِّينَ، وَالمُتَنَبِّئِينَ، وَمَانِعِـي الـزَّكَاةِ، وَكَسْـرِ شَوْكَتِهِـمْ، وَمَكَّنَ لِلإِسْلاَمِ، وَأَقَامَ الخِلاَفَةَ عَلَى رَكَائِزَ ثَابِتَـةٍ، فَرَجَعَـتْ لِلدَّوْلَةِ هَيْبَتُهَا، وَلِلْمَدِينَةِ مَرْكَزُهَا، وَلَمَّا انْتَهَى مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ،

وَأَعَادَ الجَزِيرَةَ إِلَى حَوْزَةِ الإِسْلَامِ جَهَّزَ الجُيُوشَ لِلْفَتْحِ لِنَشْرِ الدَّعْوَةِ وَتَحْقِيقِ المُهِمَّةِ المُلْقَاةِ عَلَى عَاتِقِ المُسْلِمِينَ بِإِنْهَاءِ الظُّلْمِ القَائِمِ فِي الأَرْضِ كَيْ تَزُولَ العَوَائِقُ الَّتِي تَقِفُ فِي طَرِيقِ انْتِشَارِ الإِسْلَامِ، وَمِنْ خِلَالِ تَحْقِيقِ المُهِمَّةِ يُشْغَلُ الأَعْرَابُ بِالفَتْحِ وَالجِهَادِ. وَلَمْ يَكُنْ عَمَلُ الصِّدِّيقِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، هَذَا رَدَّ فِعْلٍ ضِدَّ الدُّوَلِ الَّتِي دَعَمَتِ المُرْتَدِّينَ أَثْنَاءَ رِدَّتِهِمْ، وَلاَ ضِدَّ العَرَبِ المُتَنَصِّرَةِ الَّتِي وَقَفَتْ بِجَانِبِ أَبْنَاءِ عَقِيدَتِهِمْ مِنَ الرُّومِ لاَ بِجَانِبِ أَبْنَاءِ جِلْدَتِهِمْ مِنَ العَرَبِ، كَمَا يَدَّعِي أَصْحَابُ العَصَبِيَّاتِ.

جَهَّزَ الصِّدِّيقُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَرْبَعَةَ جُيُوشٍ، يَقُودُ أَبُو عُبَيْدَةَ بنُ الجَرَّاحِ وَاحِداً مِنْهَا، وَقَدْ نَزَلَ الجَابِيَةَ، وَوِجْهَتُهُ حِمْصُ، وَيَقُودُ يَزِيدُ بنُ أَبِي سُفْيَانَ الثَّانِيَ مِنْهَا، وَقَدْ نَزَلَ البَلْقَاءَ مَكَانَ عَمَّانَ اليَوْمَ، وَوِجْهَتُهُ دِمَشْقُ، وَيَقُودُ شُرَحْبِيلُ بنُ حَسَنَةَ ثَالِثَهَا، وَقَدْ نَزَلَ مَكَانَ المَفْرَقِ اليَوْمَ، وَوِجْهَتُهُ الأُرْدُنُ، وَتَوَلَّى عَمْرُو بنُ العَاصِ إِمْرَةَ الجَيْشِ الرَّابِعِ، وَقَدْ نَزَلَ وَادِي العَرَبَةِ، شَمَالَ خَلِيجِ العَقَبَةِ، وَوِجْهَتُهُ فِلِسْطِينُ.

كَانَ عَدَدُ أَفْرَادِ كُلِّ جَيْشٍ حَوَالِي خَمْسَةِ آلَافٍ إِلَى سِتَّةِ

آلاَفِ مُقَاتِلٍ عَدَا جَيْشِ يَزِيدَ فَإِنَّهُ كَانَ يَضُمُّ سَبْعَةَ آلاَفٍ لأَنَّ وِجْهَتَهُ دِمَشْقُ مَقَرُّ الحُكْمِ الرُّومِيِّ فِي بِلاَدِ الشَّامِ ، وَفِي ضَاحِيَتِهَا جِلَّقُ مَقَرُّ الغَسَاسِنَةِ أَنْصَارِ الرُّومِ وَخُلَفَائِهِمْ. هَذَا بِالإِضَافَةِ إِلَى سِتَّةِ آلاَفِ مُجَاهِدٍ بَقِيَتْ فِي جَنُوبِ بِلاَدِ الشَّامِ بِقِيَادَةِ عِكْرِمَةَ بنِ عَمْرِ بنِ هِشَامٍ لِتَتَدَخَّلَ فِي المَعْرَكَةِ فِي الوَقْتِ المُنَاسِبِ، وَالمَكَانِ المَطْلُوبِ مِنْهَا أَنْ تَدْعَمَهُ. وَالظُّرُوفُ هِيَ الَّتِي تَتَحَكَّمُ فِي تَجَمُّعِ المُسْلِمِينَ وَقِتَالِهِمْ مَعاً، أَو حُرُوبِهِمْ مُتَفَرِّقِينَ ضِدَّ جُيُوشٍ مُتَفَرِّقَةٍ أَوْ مُدُنٍ مُحَصَّنَةٍ.

تَحَرَّكَ الفَاتِحُونَ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ وَاتِّجَاهٍ وَاحِدٍ، وَعَسْكَرُوا فِي أَمَاكِنَ قَرِيبَةٍ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ ، حَسْبَ الأَوَامِرِ المُعْطَاةِ إِلَيْهِمْ، وَحَيْثُ يُمْكِنُ تَجَمُّعُهُمْ سَرِيعاً إِذَا دَعَتْ أَسْبَابُ التَّجَمُّعِ وَالقِتَالِ مَعاً، وَكَانَ انْتِشَارُ هَذِهِ الجُيُوشِ طُولاَنِيّاً مِن الشَّمَالِ إِلَى الجَنُوبِ تَقْرِيباً كَيْ لاَ يَسْتَطِيعَ الرُّومُ الالْتِفَافَ خَلْفَ أَيٍّ مِنْهَا.

كَانَتْ خِطَّةُ الفَاتِحِينَ تَقْضِي القِيَامَ بِالتَّحَرُّشِ بِالرُّومِ لِيَرَوْا رَدَّ فِعْلِهِمْ فَيَضَعُوا الخِطَّةَ المُنَاسِبَةَ. وَكَانَ التَّحَرُّشُ بِالرُّومِ مِنْ مُهِمَّةِ عَمْرِو بنِ العَاصِ ، فَدَخَلَ مَعَهُمْ فِي عِدَّةِ مَعَارِكَ انْتَصَرَ فِيهَا، وَجَاءَ مَدَدٌ لَهُ يُقَدَّرُ بِأَلْفِ مُقَاتِلٍ يَقُودُهُمْ

عَبْدُ اللَّهِ بنُ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. والتَقى الفَرِيقَانِ ثَانِيَةً فِي مَعْـرَكَتَيْنِ انْتَصَـرَ فِيهِمَـا المُسْلِمُـونَ رَغْـمَ ضَخَامَةِ أَعْدَادِ خُصُومِهِمِ الَّذِينَ خَلَّفُوا أَكْثَرَ مِنْ خَمْسَـةَ عَشَـرَ أَلْفَ قَتِيلٍ فِي سَاحَاتِ القِتَالِ.

وَحَشَدَ الرُّومُ حُشُوداً كَبِيرَةً لَصَدِّ المُجَاهِدِينَ وَفِي مُحَاوَلَـةٍ لِلاْحِتْفَاظِ عَلَى سُلْطَانِهِمْ فِي الشَّامِ وَتَحَكُّمِهِمْ فِي أَهْلِهَا، وَرَدَّ الفَاتِحُـونَ عَلَـى ذَلِكَ الحَشْدِ بِطَلَـبِ المَـدَدِ مِنَ الخَلِيفَـةِ الصِّدِّيقِ الَّذِيْ أَمَرَ عِكْرِمَـةَ قَائِـدَ الاحْتِيَاطِ بِالانْضِمَـامِ إِلَـى إِخْوَانِهِ، كَمَا أَمَرَ خَالِدَ بنَ الوَلِيدِ فِي العِرَاقِ بِالتَّوَجُّـهِ إِلَـى الشَّامِ وَالاْلْتِحَاقِ بِالفَـاتِحِينَ هُنَـاكَ وَقِيَادَةِ المَعْـرَكَةِ، وَفِـي الوَقْتِ نَفْسِهِ فَقَدْ دَعَا إِلَى التَّطَوُّعِ وَالسَّيْرِ إِلَى الشَّامِ.

اسْتَشَـارَ أُمَـرَاءُ الجُنْـدِ بَعْضُهُـمْ بَعْضَـاً، فَأَشَـارَ عَلَيْهِـمْ عَمْرُو بنُ العَاصِ بِالقِتَالِ مُجْتَمِعِينَ، فَإِنَّ الكَثْرَةَ تَزِيدُ القُوَّةَ، وَتُخْفِي القِلَّةَ، وَالفِئَةُ الصَّغِيرَةُ تَتَنَاثَرُ أَمَامَ المَجْمُوعَةِ الكَبِيرَةِ، وَضَخَامَـةُ حُشُـودِ الـرُّومِ تَتَطَلَّـبُ التَكَتُّـلَ، فَوَافَـقَ الجَمِيعُ وَقَرَّرُوا خَوْضَ المَعْرَكَةِ مُجْتَمِعِينَ وَتَوَاعَدُوا مَيْدَانَ اليَرْمُوكِ، وَانْتِظَارَ دَعْمِ قُوَّاتَ خَالِـدٍ مِنَ العِـرَاقِ وَمَـدَدَ الخَلِيفَـةِ، أَوْ بِالأَحْرَى انْتِظَارَ وُصُولِ قَائِدِ المَعْرَكَةِ مِنَ العِرَاقِ.

وَصَلَ خَالِدُ بنُ الوَلِيدِ بِقُوَاتِهِ مِنَ العِرَاقِ ، وَتسَلَّمَ القِيَادَةَ ، وَنَظَّمَ الصُّفُوفَ فَكَانَ عَمْرُو بنُ العَاصِ عَلَى المَيْمَنَةِ ، وَيَزِيدُ بنُ أَبِي سُفْيَانَ عَلَى المَيْسَرَةِ ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بنُ الجَرَّاحِ عَلَى القَلْبِ ، وَيُسَاعِدُهُ وَيَنُوبُ عَنْهُ سَعِيدُ بنُ زَيْدٍ. فَإِذَا كَانَتْ مَيْسَرَةُ يَزِيدَ مَحْمِيَّةً بِنَهْرِ اليَرْمُوكِ فَإِنَّ الضَّغْطَ الشَّدِيدَ سَيَكُونُ عَلَى المَيْمَنَةِ حَيْثُ عَمْرُو بنُ العَاصِ إِذْ كَانَتْ خِطَّةُ الرُّومِ ، أَوْ هَكَذَا يَقْضِي القِتَالُ ، الضَّغْطُ عَلَى المَيْمَنَةِ لِحَصْرِ المُسْلِمِينَ بَيْنَ اليَرْمُوكِ وَوَادِي الرَّقَّادِ الَّذِيْ يَرْفِدُهُ هُنَاكَ ، وَكَذَلِكَ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ خِطَّةُ المُسْلِمِينَ المُضَادَّةُ الضَّغْطَ عَلَى مَيْسَرَةِ الرُّومِ لِحَصْرِهِمْ فِي المَكَانِ الَّذِيْ يُفَكِّرُ الرُّومُ حَصْرَ المُسْلِمِينَ فِيْهِ ، وَهَذَا يَقَعُ عَلَى عَاتِقِ عَمْرِو بنِ العَاصِ أَيْضاً. فَعَمْرٌ إِذَنْ عَلَيْهِ أَنْ يَتَلَقَّى ضَغْطَ الرُّومِ ، كَمَا عَلَيْهِ أَنْ يَصُدَّهُمْ وَيُلْجِئَهُمْ إِلَى التَّحَرُّكِ نَحْوَ مَيْمَنَتِهِمْ لِحَصْرِهِمْ هُنَاكَ ، وَهَذَا مَا تَمَّ .

وَوَقَفَ أُمَرَاءُ الجُنْدِ وَرِجَالاَتُ القَوْمِ يَحُضُّونَ النَّاسَ عَلَى الجِهَادِ ، وَيُذَكِّرُونَهُمْ ، وَيُبْدُونَ آرَاءَهُمْ فِي طَرِيقَةِ القِتَالِ وَمُوَاجَهَةِ الخَصْمِ ، وَكَانَ مِمَّا قَالَهُ عَمْرُو بنُ العَاصِ يَومَذَاكَ : يَا أَيُّهَا المُسْلِمُونَ غُضُّوا الأَبْصَارَ ، وَاجْثُوا عَلَى الرُّكَبِ ، وَاشْرَعُوا الرِّمَاحَ ، فَإِذَا حَمَلُوا عَلَيْكُمْ فَأَمْهِلُوهُمْ حَتَّى

إِذَا رَكِبُوا أَطْرَافَ الأَسِنَّةِ فَثِبُوا عَلَيْهِمْ وَثْبَةَ الأَسَدِ، فَوَالَّذِي يَرْضَى الصِّدْقَ وَيُثَبِّتُ عَلَيْهِ، وَيَمْقُتُ الكَذِبَ، وَيَجْزِي بالإِحْسَانِ إِحْسَاناً، لَقَدْ سَمِعْتُ أَنَّ المُسْلِمِينَ سَيَفْتَحُونَهَا كَفْراً كَفْراً[1] وَقَصْراً قَصْراً، فَلاَ يَهُولَنَّكُمْ جُمُوعُهُمْ وَلاَ عَدَدُهُمْ، فَإِنَّكُمْ لَوْ صَدَقْتُمُوهُمُ الشَّدَّ تَطَايَرُوا تَطَايُرَ أَوْلاَدِ الحَجَلِ.

وَقَبْلَ بَدْءِ المَعْرَكَةِ جَاءَ البَرِيدُ بِوَفَاةِ الخَلِيفَةِ الصِّدِّيقِ، وَقِيَامِ الفَارُوقِ عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ بِعِبْءِ الخِلاَفَةِ.

## مَعَ الخَلِيفَةِ الفَارُوقِ عُمَرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

**فِي فُتُوحِ الشَّامِ:**

بَدَأَتْ مَعْرَكَةُ اليَرْمُوكِ، وَاشْتَدَّ ضَغْطُ الرُّومِ عَلَى جِهَةِ عَمْرِو بنِ العَاصِ وَوَضَعُوا أَكْثَرَ ثِقَلِهِمْ عَلَيْهَا، وَصَمَدَ لِعَدَدٍ مِنَ الهَجَمَاتِ، كَمَا اضْطَرَّ إِلَى التَّرَاجُعِ عَدَّةَ مَرَّاتٍ حَتَّى يَأْتِيَهُ دَعْمُ الفُرْسَانِ، وَفِي اليَوْمِ الخَامِسِ قَامَ بِالهُجُومِ المُضَادِّ عَلَى مَيْسَرَةِ الرُّومِ الَّتِي يُؤَلِّفُ السَّلاَفُ مُعْظَمَهَا وَأَجْبَرَهُمْ عَلَى التَّرَاجُعِ وَالانْدِحَارِ نَحْوَ الجَنُوبِ الغَرْبِيِّ، فَحَصَرَهُمُ المُسْلِمُونَ هُنَاكَ بَيْنَ نَهْرِ اليَرْمُوكِ وَرَافِدِهِ الرَّقَّادِ وَحَصَدُوهُمْ،

---

(١) الكفر: المزرعة.

وَنصرَ اللَّهُ عِبَادَهُ المُؤْمِنِينَ، وَكَانَتْ عَاقِبَةُ الرُّومِ خُسْراً. وَبِذَا كَانَ عَمْرُو بنُ العَاصِ رَكِيزَةً مِنْ رَكَائِزِ مَعْرَكَةِ اليَرْمُوكِ، وَأَحَدَ رِجَالِهَا البَارِزِينَ.

سَارَ الفاتِحُونَ بَعْدَ مَعْرَكَةِ اليَرْمُوكِ إِلَى دِمَشْقَ فَكَانَ القَائِدُ هُوَ أَبُو عُبَيْدَةَ بنُ الجَرَّاحِ، وَهُوَ عَلَى المَيْسَرَةِ وَمَعَهُ يَزِيدُ بنُ أَبِي سُفْيَانَ، وَخَالِدُ بنُ الوَلِيدِ عَلَى القَلْبِ، وَعَلَى المَيْمَنَةِ عَمْرُو بنُ العَاصِ وَمَعَهُ شُرَحْبِيلُ بنُ حَسَنَة، وَكَانَ نُزُولُ عَمْرٍ عَلَى بَابِ تُومَا.

وَبَعْدَ فَتْحِ دِمَشْقَ تَوَجَّهَ كُلُّ قَائِدٍ إِلَى وِجْهَتِهِ الأَصْلِيّةِ المُعَيَّنَةِ لَهُ، حَيْثُ رَجَعَ عَمْرُو بنُ العَاصِ إِلَى فِلِسْطِينَ حَتَّى يُنْهِي فَتْحَ مَا بَقِيَ مِنْ مَنَاطِقِهَا، وَرَجَعَ كَذَلِكَ شُرَحْبِيلُ بنُ حَسَنَةَ إِلَى الأَرْدُنِ، وَكَانَ يُعَاوِنُ عَمْراً فِي قِتَالِهِ، وَسَارَ أَبُو عُبَيْدَةَ بنُ الجَرَّاحِ، وَمَعَهُ خَالِدُ بنُ الوَلِيدِ إِلَى حِمْصَ لِمُتَابَعَةِ فَتْحِ الشَّمَالِ، وَسَارَ عَمْرُو بنُ العَاصِ إِلَى فِلِسْطِينَ لإِنْهَاءِ وَضْعِ الرُّومِ فِيْهَا[1]، وَلَقَدِ اتَّجَهَ إِلَى الجَنُوبِ مِنْهَا فَانْطَلَقَ

---

(١) المؤرخون على خلافٍ في سير الفتح، وتتابع مراحل القتال، فمنهم من يجعل أجنادين وفحل قبل اليرموك ومنهم من يعدّهما بعدها، وكذلك مرج الصّفّر. ويذكر الذهبي في سير أعلام النبلاء أن عمراً صالح أهل حلب وأنطاكية، وافتتح قنسرين عنوة، وهذا خطأ (سير أعلام النبلاء ٣/ ٧٠)، وكذلك ابن حجر العسقلاني في الإصابة ٣/ ٢.

إِلَى أَجْنَادِينَ(١)، حَيْثُ يُرابِطُ الأَرْطَبُونُ، وَكَانَتْ لِلرُّومِ قُوَّةٌ فِي بَيْتِ المَقْدِسِ وَأُخْرَى فِي الرَّمْلَةِ،وَكَانَتْ إِذَا جَاءَتْ قُوَّاتٌ دَاعِمَةٌ لِعَمْرِو بنِ العَاصِ أَمرَهَا بالتَّوجُّهِ إِلَى بَيْتِ المَقْدِسِ أَوْ إِلَى الرَّمْلَةِ لِيُشَاغِلُوا فِي تِلْكَ الجِهَاتِ خَوْفاً مِنْ دَعْمِهِمْ لِلأَرْطَبُونَ فِي أَجْنَادِينَ.

تَأَخَّرَ الفَتْحُ فِي أَجْنَادِينَ، وَسَارَتِ الرُّسُلُ بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ، وَلَمْ يَشْفِ أَحَدُهَا غَلِيلَ عَمْرٍ، فَسَارَ بِنَفْسِهِ بِاسْمِ رَسُولٍ، وَدَخَلَ عَلَى الأَرْطَبُونِ، وَجَرَى الحَدِيثُ بَيْنَهُمَا، اسْتَنْتَجَ الأَرْطَبُونُ عَلَى أَنَّ هَذَا الرَّسُولَ إِنَّما هُوَ عَمْرٌ بِالذَّاتِ أَوْ أَنَّهُ شَخْصٌ ذُو قِيمةٍ وَأَثَرٍ بَيْنَ المُسْلِمِينَ، وَقَالَ فِي نَفْسِهِ مَا كُنْتُ لأُصِيبَ القَوْمَ بِأَمْرٍ هُوَ أَعْظَمُ مِنْ قَتْلِهِ، فَدَعَا حَارِساً فَسَارَّهُ وَأَمَرَهُ بِالفَتْكِ بِهِ فَقَالَ: اذْهَبْ فِي مَكَانِ كَذَا وَكَذَا، فَإِذَا مَرَّ بِكَ فَاقْتُلْهُ، فَفَطِنَ عَمْرُو بنُ العَاصِ فَقَالَ لِلأَرْطَبُونَ: إِنِّي قَدْ سَمِعْتُ كَلاَمَكَ وَسَمِعْتَ كَلاَمِي، وَإِنِّي وَاحِدٌ مِنْ عَشَرَةٍ بَعَثَنَا عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ لِنَكُونَ مَعَ هَذَا الوَالِي لِنَشْهَدَ أُمُورَهُ، وَقَدْ أَحْبَبْتُ أَنْ آتِيكَ بِهِمْ لِيَسْمَعُوا كَلاَمَكَ وَيَرَوْا مَا رَأَيْتُ. فَقَالَ الأَرْطَبُونُ: نَعَمْ! فاذْهَبْ فَائِتِنِي بِهِمْ، وَدَعَا رَجُلاً فَسَارَّهُ

(١) موقع قريب من الفالوجة اليوم.

فَقَالَ: اذْهَبْ إِلَى فُلاَنٍ فَرُدَّهُ. وَقَامَ عَمْرُو بنُ العَاصِ فَرجَعَ إلى جَيْشِهِ، ثُمَّ تَحقَّقَ الأَرْطَبُونُ أَنَّهُ عَمْرُو بنُ العَاصِ نَفْسُهُ، فَقَالَ: خَدَعَنِي الرَّجُلُ، هذَا وَاللَّهِ أَدْهَى العَرَب. وَبَلَغَ ذَلِكَ عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ فقَالَ: لِلَّهِ دَرُّ عَمْرٍ.

وَحَدَثَ قِتَالٌ عَظِيمٌ فِي أَجْنَادِينَ كَقِتَالِ اليَرْمُوكِ، ثُمَّ دَخَلَ المُسْلِمُونَ أَجْنَادِينَ، وَتَقَدَّمُوا نَحْوَ بَيْتِ المَقْدِسِ، وَحَاصَرُوهَا، وَاضْطَرَّتِ الجُيُوشُ الإِسْلاَمِيَّةُ أَنْ تَجْتَمِعَ مَرَّةً ثَانِيَةً، وَتَفْرِضَ الحِصَارَ عَلَيْهَا حَتَّى أَجَابَ أَهْلُهَا إِلَى الصُّلْحِ بِشَرْطِ أَنْ تُسَلَّمَ إِلَى أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ فَجَاءَهَا وَدَخَلَهَا، وَبَعْدَ فَتْحِ بَيْتِ المَقْدِسِ عَادَ كُلُّ أَمِيرٍ إِلَى مَكَانِهِ.

وَلَمَّا جَاءَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ إِلَى الشَّامِ، وَصَالَحَ أَهْلَ بَيْتِ المَقْدِسِ «إِيْلِيَاءَ»، وَكَتَبَ لَهُمُ الصُّلحَ فِي الجَابِيَةِ شَهِدَ عَلَى هَذَا الصُّلْحِ خَالِدُ بنُ الوَلِيدِ، وَعَمْرُو بنُ العَاصِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَوْفٍ، وَمُعَاوِيَةُ بنُ أَبِي سُفْيَانَ.

وَتُوفِّيَ أَبُو عُبَيْدَةَ بنُ الجَرَّاحِ، وَيَزِيدُ بنُ أَبِي سُفْيَانَ فِي طَاعُونِ عَمْوَاسَ سَنَةَ ثَمَانِي عَشْرَةَ، فَوَلِيَ أَمْرَ الشَّامِ مُعَاوِيَةُ بنُ أَبِي سُفْيَانَ بِأَمْرٍ مِنْ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ، فَأَلَحَّ أَمِيرُ الشَّامِ عَلَى الخَلِيفَةِ فِي غَزْوِ البَحْرِ

وَقُرْبِ الرُّومِ مِنْ حِمْصَ، وَقَالَ: إِنَّ قَرْيَةً مِنْ قُرَى حِمْصَ لَيَسْمَعُ أَهْلُهَا نُبَاحَ كِلاَبِهِمْ وَصِيَاحَ دَجَاجِهِمْ؛ حَتَّى كَادَ ذَلِكَ يَأْخُذُ بِقَلْبِ عُمَرَ؛ فَكَتَبَ عُمَرُ إِلَى عَمْرِو بنِ العَاصِ: صِفْ لِيَ البَحْرَ وَرَاكِبَهُ، فَإِنَّ نَفْسِي تُنَازِعُنِي إِلَيْهِ. فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَمْرُو: إِنِّي رَأَيْتُ خَلْقاً كَبِيْراً يَرْكَبُهُ خَلْقٌ صَغِيرٌ، إِنْ رَكَنَ خَرَّقَ القُلُوبَ، وَإِنْ تَحَرَّكَ أَزَاغَ العُقُولَ، يَزْدَادُ فِيْهِ اليَقِينُ قِلَّةً، والشَّكُّ كَثْرَةً، هُمْ فِيْهِ كَدُودٍ عَلَى عُودٍ إِنْ مَالَ غَرِقَ، وَإِنْ نَجَا بَرِقَ[1].

فَلَمَّا قَرَأَهُ عُمَرُ كَتَبَ إِلَى مُعَاوِيَةَ: لاَ وَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّداً بِالحَقِّ لاَ أَحْمِلُ فِيْهِ مُسْلِماً أَبَداً[2].

## فَتْحُ مِصْرَ:

وَلَمَّا انْتَهَى فَتْحُ الشَّامِ اسْتَأْذَنَ عَمْرُو بنُ العَاصِ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ فِي فَتْحِ مِصْرَ، وَكَانَ عُمَرُ مُتَخَوِّفاً فِي الأَمْرِ عَلَى المُسْلِمِينَ، لَكِنَّ ابنَ العَاصِ لَمْ يَزَلْ يَذْكُرُ أَمْرَهَا عِنْدَهُ، وَيُخْبِرُهُ بِحَالِهَا، وَيُهَوِّنُ عَلَيْهِ فَتْحَهَا، حَتَّى رَكَنَ إِلَى ذَلِكَ عُمَرُ، فَعَقَدَ لَهُ عَلَى أَرْبَعَةِ آلاَفِ رَجُلٍ وَقَالَ لَهُ: سِرْ،

(١) برق: دهش وحار.
(٢) تاريخ الطبري.

وأَنَا مُسْتَخِيرُ اللَّهَ فِي مَسِيرِكَ، وَسَيَأْتِي إِلَيْكَ كِتَابِي سَرِيعاً - إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالى - فَإِنْ أَدْرَكَكَ كِتَابِي وَأَمَرْتُكَ فِيْهِ بِالانْصِرَافِ عَنْ مِصرْ قَبْلَ أَنْ تَدْخُلَهَا أَوْ شَيْئَاً مِنْ أَرْضِهَا فَانْصَرِفْ، وَإِنْ أَنْتَ دَخَلْتَهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتِيكَ كِتَابِي فَامْضِ لِوَجْهِكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاسْتَنْصِرْهُ. وَسَارَ عَمْرُو، وَجَاءَهُ كِتَابُ عُمَرَ بِالانْصِرَافِ والرُّجُوعِ وَهُوَ فِي (رَفَحَ) وَعَرَفَ مَا فِيهِ بِثَاقِبِ نَظَرِهِ فَلَمْ يَأْخُذِ الكِتَابَ مِنْ الرَّسُولِ، وَظَلَّ يُدَافِعُهُ حَتَّى بَلَغَ قَرْيَةً فِيْمَا بَيْنَ رَفَحَ وَالعَرِيشِ فَسَأَل عَنْهَا، فَقِيلَ إِنَّهَا مِنْ أَرْضِ مِصْرَ. فَدَعَا بِالكِتَابِ فَقَرَأَهُ عَلَى المُسْلِمِينَ. وَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ كِتَابَ عُمَرَ لَحِقَنِي بَعْدَ أَنْ دَخَلْنَا أَرْضَ مِصْرَ فَسِيرُوا وَامْضُوا عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ[1].

وَلَمَّا أَبْطَأَ فَتْحُ مِصْرَ عَلَى عَمْرِو بنِ العَاصِ كَتَبَ إِلَى عُمَرَ يَسْتَمِدُّهُ فَأَمَدَّهُ بِأَرْبَعَةِ آلافٍ، عَلَى كُلِّ أَلْفِ رَجُلٍ مِنْهُمْ رَجُلٌ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ: إِنِّي أَمْدَدْتُكَ بِأَرْبَعَةِ آلافِ رَجُلٍ عَلَى كُلِّ أَلْفِ رَجُلٍ رَجُلٌ مِنْهُمْ مَقَامَ الأَلْفِ: الزُّبَيْرُ بنُ العَوَّامِ،

---

(١) النجوم الزاهرة: ١/ ٥. المقريزي: ١/ ٢٨٨.
كان عمرو بن العاص قد استأذن الخليفة في فتح مصر عندما جاء إلى الشام ودخل بيت المقدس بعد صلح أهلها ورجع عمر إلى المدينة، وانطلق عمرو إلى مصر.

وَالمِقْدَادُ بنُ عَمْرٍ، وَعُبَادَةُ بنُ الصَّامِتِ، وَمَسْلَمَةُ بنُ مُخَلَّدٍ، وَاعْلَمْ أَنَّ مَعَكَ اثْنَي عَشَرَ أَلْفاً وَلاَ تُغْلَبُ اثْنَا عَشَرَ أَلْفاً مِنْ قِلَّةٍ.

خَرَجَ عَمْرُو بنُ العَاصِ إِلَى مِصْرَ بَعْدَمَا رَجَعَ عُمَرُ إِلَى المَدِينَةِ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى بَابِ اليُونِ، وَأَتْبَعَهُ الزُّبَيْرُ، فَاجْتَمَعَا، فَلَقِيَهُمْ هُنَاكَ أَبُو مَرْيَمَ جَاثِلِيقُ مِصْرَ وَمَعَهُ الأُسقُفُ فِي أَهْلِ النِّيَّاتِ بَعَثَهُ المُقَوْقِسُ لِمَنْعِ بِلاَدِهِمْ. فَلَمَّا نَزَلَ بِهِمْ عَمْرُو قَاتَلُوهُ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ: لاَ تُعَجِّلونَا لِنُعْذِرَ إِلَيْكُمْ، وَتَرَوْنَ رَأْيَكُمْ بَعْدُ. فَكَفُّوا أَصْحَابَهُمْ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ عَمْرُو: إِنِّي بَارِزٌ فَلْيَبْرُزْ إِلَيَّ أَبُو مَرْيَمَ وَأَبُو مَرْيَامَ، فَأَجَابُوهُ إِلَى ذَلِكَ، وَأَمَّنَ بَعْضُهُمْ بَعْضَاً، فَقَالَ لَهُمْ عَمْرُو: أَنْتُمَا رَاهِبَا هَذِهِ البَلْدَةِ فَاسْمَعَا، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بَعَثَ مُحَمَّدَاً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالحَقِّ وَأَمَرَهُ بِهِ، وَأَمَرَنَا بِهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَرَحْمَتُهُ وَقَدْ قَضَى الَّذِي عَلَيْهِ، وَتَرَكَنَا عَلَى الوَاضِحَةِ، وَكَانَ مِمَّا أَمَرَنَا بِهِ الإِعْذَارَ إِلَى النَّاسِ، فَنَحْنُ نَدْعُوكُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ، فَمَنْ أَجَابَنَا إِلَيْهِ فَمِثْلُنَا، وَمَنْ لَمْ يُجِبْنَا عَرَضْنَا عَلَيْهِ الجِزْيَةَ، وَبَذَلْنَا لَهُ المَنعَةَ، وَقَدْ أَعْلَمَنَا أَنَّنَا مُفْتَتِحُوكُمْ، وَأَوْصَانَا بِكُمْ حِفْظَاً لِرَحِمِنَا فِيكُمْ، وَإِنَّ لَكُمْ إِنْ أَجَبْتُمُونَا بِذَلِكَ ذِمَّةً إِلَى ذِمَّةٍ. وَمِمَّا عَهِدَ إِلَيْنَا أَمِيرُنَا: اسْتَوْصُوا بِالقِبْطِيِّينَ خَيْرَاً، فَإِنَّ رَسُولَ

اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْصَانَا بِالقِبْطِيِّينَ خَيْرَاً، لأَنَّ لَهُمْ رَحِمَاً وَذِمَّةً. فَقَالُوا: قَرَابَةٌ بَعِيدَةٌ لاَ يَصِلُ مِثْلَهَا إِلاَّ الأَنْبِيَاءُ، مَعْرُوفَةٌ شَرِيفَةٌ، كَانَتِ ابْنَةَ مَلِكِنَا، وَكَانَتْ مِنْ أَهْلِ مَنْفَ وَالمُلْكُ فِيهِمْ، فَأُدِيلَ عَلَيْهِمْ أَهْلُ عَيْنِ شَمْسٍ، فَقَتَلُوهُمْ وَسَلَبُوا مُلْكَهُمْ وَاغْتَرَبُوا، فَلِذَلِكَ صَارَتْ إِلَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ مَرْحَبَاً بِهِ وَأَهْلاً، آمِنَّا حَتَّى نَرْجِعَ إِلَيْكَ. فَقَالَ عَمْرُو: إِنَّ مِثْلِي لاَ يُخْدَعُ، وَلَكِنِّي أُؤَجِّلُكُمَا ثَلاَثَاً لِتَنْظُرَا وَلِتُنَاظِرَا قَوْمَكُمَا، وَإِلاَّ نَاجَزْتُكُمْ، قَالاَ: زِدْنَا فَزَادَهُمْ يَوْمَاً، فَقَالاَ: زِدْنَا فَزَادَهُمْ يَوْمَاً، فَرَجَعَا إِلَى المُقَوْقِسِ فَهَمَّ، فَأَبَى أَرْطَبُونُ[1] أَنْ يُجِيبَهُمَا، وَأَمَرَ بِمُنَاهَدَتِهِمْ، فَقَالاَ لأَهْلِ مِصْرَ: أَمَّا نَحْنُ فَسَنَجْهَدُ أَنْ نَدْفَعَ عَنْكُمْ، وَلاَ نَرْجِعُ إِلَيْهِمْ، وَقَدْ بَقِيَتْ أَرْبَعَةُ أَيَّامٍ، فَلاَ تُصَابُونَ فِيهَا بِشَيْءٍ إِلاَّ رَجَوْنَا أَنْ يَكُونَ لَهُ أَمَانٌ. فَلَمْ يُفْجَأْ عَمْرَاً وَالزُّبَيْرَ إِلاَّ البَيَاتُ مِنْ (فَرْقَبَ)، وَعَمْرُو عَلَى عُدَّةٍ، فَلَقُوهُ فَقُتِلَ وَمَنْ مَعَهُ، ثُمَّ رَكِبُوا أَكْسَاءَهُمْ[2]، وَقَصَدَ عَمْرُو والزُّبَيْرُ لِعَيْنِ شَمْسٍ، وَبِهَا

---

(١) هرب أرطبون من فلسطين بعد معركة أجنادين واتجه إلى مصر ليقاتل بأهلها المسلمين.

(٢) الأكساء: جمع كساء، ويقصد هنا أمتعتهم كلها.

جَمْعُهُمْ، وَبعَثَ إِلَى (الفَرْمَا)[1] أَبْرَهَةَ بنَ الصَّبَاحِ، فَنَزَلَ عَلَيْهَا، وَبَعَثَ عَوْفَ بنَ مَالِكٍ إِلَى الإِسْكَنْدَرِيَّةِ، فَنَزَلَ عَلَيْهَا، فَقَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لأَهْلِ مَدِينَتِهِ: إِنْ تَنْزِلُوا فَلَكُمُ الأَمَانُ، فَقَالُوا: نَعمْ، فَرَاسَلُوهُمْ، وَتَرَبَّص بِهِمْ أَهْلُ عَيْنِ شَمْسٍ، وَسَبَى المُسْلِمُونَ مَنْ بَيْنَ ذَلِكَ.

لَمَّا نَزَلَ عَمْرُو عَلَى القَوْمِ بِعَيْنِ شَمْسٍ، وَكَانَ المُلْكُ بَيْنَ القِبْطِ وَالنُّوبِ، وَنَزَلَ مَعَهُ الزُّبَيْرُ عَلَيْهَا. قَالَ أَهْلُ مِصْرَ لِمَلِكِهِمْ: مَا تُرِيدُ إِلَى قَوْمٍ فَلُّوا كِسْرَى وَقَيْصَرَ، وَغَلَبُوهُمْ عَلَى بِلاَدِهِمْ! صَالِحِ القَوْمَ وَاعْتَقِدْ مِنْهُمْ، وَلاَ تَعْرِضْ لَهُمْ، وَلاَ تُعَرِّضْنَا لَهُمْ ـ وَذَلِكَ فِي اليَوْمِ الرَّابِعِ ـ فَأَبَى، وَنَاهَدُوهُمْ فَقَاتَلُوهُمْ، وَارْتَقَى الزُّبَيْرُ سُورَهَا، فَلَمَّا أَحَسُّوهُ فَتَحُوا البَابَ لِعَمْرٍ، وَخَرَجُوا إِلَيْهِ مُصَالِحِينَ، فَقَبِلَ مِنْهُمْ، وَنَزَلَ الزُّبَيْرُ عَلَيْهِمْ عَنْوَةً حَتَّى خَرَجَ عَلَى عَمْرٍ مِنَ البَابِ مَعَهُمْ، فَاعْتَقَدُوا بَعْدَمَا أَشْرَفُوا عَلَى الهَلَكَةِ، فَأَجْرَوْا مَا أُخِذَ عَنْوَةً مَجْرَى مَا صَالَحَ عَلَيْهِ فَصَارُوا ذِمَّةً، وَكَانَ صُلْحُهُمْ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. هَذَا مَا أَعْطَى عَمْرُو بنُ

---

(١) الفرما: مدينة على ساحل البحر المتوسط على الجزء الشرقي منه حيث تكثر السباخ، وتنسب إلى الفرما أخي الإسكندر.

العَاصِ أَهْلَ مِصْرَ مِنَ الأَمَانِ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَمِلَّتِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَكَنَائِسِهِمْ وَصُلُبِهِمْ وَبَرِّهِمْ وَبَحْرِهِمْ؛ لاَ يَدْخُلُ عَلَيْهِمْ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ وَلاَ يَنْتَقِصُ، وَلاَ يُسَاكِنُهُمُ النُّوبُ. وَعَلَى أَهْلِ مِصْرَ أَنْ يُعْطُوا الجِزْيَةَ إِذَا اجْتَمَعُوا عَلَى هَذَا الصُّلْحِ، وَانْتَهَتْ زِيَادَةُ نَهْرِهِمْ خَمْسِينَ أَلْفَ أَلْفٍ، وَعَلَيْهِمْ مَا جَنَى لُصُوتُهُمْ[1]، فَإِنْ أَبَى أَحَدٌ مِنْهُمْ أَنْ يُجِيبَ رُفِعَ عَنْهُمْ مِنَ الجَزَاءِ بِقَدْرِهِمْ وَذِمَّتِنَا مِمَّنَ أَبَى بَرِيئَةٌ، وَإِنْ نَقَصَ نَهْرُهُمْ مِنْ غَايَتِهِ إِذَا انْتَهَى رُفِعَ عَنْهُمْ بِقَدْرِ ذَلِكَ، وَمَن دَخَلَ فِي صُلْحِهِمْ مِنَ الرُّومِ وَالنُّوبِ فَلَهُ مِثْلُ مَالَهُمْ وَعَلَيْهِ مِثْلُ مَا عَلَيْهِمْ، وَمَنَ أَبَى وَاخْتَارَ الذَّهَابَ فَهُوَ آمِنٌ حَتَّى يَبْلُغَ مَأْمَنَهُ، أَوْ يَخْرُجَ مِنْ سُلْطَانِنَا. عَلَيْهِمْ مَا عَلَيْهِمْ أَثْلاَثاً فِي كُلِّ ثُلْثِ جِبَايَةٍ ثُلْثُ مَا عَلَيْهِمْ، عَلَى مَا فِي هَذَا الكِتَابِ عَهْدُ اللَّهِ وَذِمَّتُهُ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ وَذِمَّةُ الخَلِيفَةِ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ وَذِمَمِ المُؤْمِنِينَ، وَعَلَى النُّوبَةِ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا أَنْ يُعِينُوا بِكَذَا وَكَذَا رَأْساً وَكَذَا وَكَذَا فَرَساً، عَلَى أَلاَّ يُغْزَوْا وَلاَ يُمْنَعُوا مِنْ تِجَارَةٍ صَادِرَةٍ وَلاَ وَارِدَةٍ. شَهِدَ الزُّبَيْرُ وَعَبْدُ اللَّهِ وَمُحَمَّدُ ابْنَاهُ. وَكَتَبَ وَرْدَانُ وَحَضَرَ[2].

---

(١) اللصوت: جمع لص.

(٢) تاريخ الطبري.

ثُـمَّ أَرْسَـلَ عَمْـرُو جَيْشَـاً إِلَـى الإِسْكَنْـدَرِيَّةِ حَيْثُ يُقِيمُ المُقَوقِسُ، وَحَاصَرَ الجَيْشُ المَدِينَةَ، وَاضْطَرَّ المُقَوْقِسُ إِلَـى أَنْ يُصَالِح المُسْلِمِينَ عَلَى أَدَاءِ الجِزْيَةِ، وَاسْتَخْلَفَ عَمْـرُو عَلَـى المَدِينَـةِ عَبْدَ اللَّهِ بـنَ حُذَافَـةَ. وَمَصَّـرَ عَمْـرُو مَدِينَـةَ الفِسْطَاطِ مَكَانَ خَيْمَتِهِ حَيْثُ بُنِيَ المَسْجِدُ الَّـذِي يُنْسَـبُ إِلَيْهِ الآنَ، وَأُقِيمَتِ البُيُوتُ حَوْلَهُ.

وَأَرْسَـلَ عَمْـرُو قُوَّةً إِلَـى الصَّـعِيدِ بِإِمْـرَةِ عَبْدِ اللَّهِ بـنِ سَعْدٍ بنِ أَبي سَرْحٍ بِنَاءً عَلَى أَوَامِرِ الخَلِيفَةِ فَفَتَحَهَـا، وَكَانَ الوَالِيَ عَلَيْهَا، وَأَرْسَلَ عُمَيْرَ بنَ وَهَبٍ الجُمَحِيَّ إِلَى (دِمْيَاطَ) و (تِنِّيس) وَمَا حَوْلَهُمَا فَصَالَحَ أَهْلَ تِلْكَ الجِهَاتِ.

ثُمَّ سَارَ عَمْرُو بنُ العَاصِ إِلَى جِهَةِ الغَرْبِ فَفَتَحَ (بَرْقَةَ)، وَصَالَحَ أَهْلَهَا، وَأَرْسَلَ عُقْبَةَ بنَ نَافِعٍ فَفَتَحَ (زُوَيْلَةَ)، وَاتَّجَهَ نَحْوَ بِلاَدِ النَّوْبَةِ. ثُمَّ انْطَلَقَ عَمْرُو إِلَى طَرَابُلْسَ فَفَتَحَهَا بَعْـدَ حِصَارٍ دَامَ شَهْرَاً، كَمَا فَتَحَ (صَبْرَاتَه) وَ (شَـرُوس)، وَمَنَعَـهُ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عُمَرُ بَنُ الخَطَّابِ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ إِلَـى جِهَةِ الغَرْبِ خَوْفَاً عَلَى المُسْلِمِين.

لَمَّا فُتِحَـتْ مِصْـرُ بِغَيرِ عَهْـد قَامَ الـزُّبَيْرُ فَقَـالَ: يَا عَمْـرُو اقْسِمْهَا. فَأَبَى، فَقَالَ الزُّبَيْرُ: وَاللَّهِ لَتَقْسِمَنَّها كَمَا قَسَمَ رَسُولُ

اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، خَيْبَر. فَكَتَبَ عَمْرُو إِلَى أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عُمَرَ فِي ذَلِكَ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ أَنْ يُبْقِيهَا وَلاَ يَقْسِمُهَا.

دَعْمُ الحِجَازِ:

وَفِي عَامِ ١٨هـ حَدَثَ فِي المَدِينَةِ وَالحِجَازِ قَحْطٌ عَظِيمٌ دَامَ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ، فَسُمِّيَتْ تِلْكَ السَّنَةُ عَامَ الرَّمَادَةِ لِأَنَّ الرِّيحَ كَانَتْ تَسْفِي تُرَاباً كَالرَّمَادِ. فَكَتَبَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ إِلَى سَائِرِ الأَمْصَارِ يَسْتَغِيثُهُمْ لِأَهْلِ المَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهَا، وَكَانَ مِمَّنْ كَتَبَ إِلَيْهِمْ عَمْرُو بنُ العَاصِ أَميرَ مِصْرَ فَقَالَ لَهُ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عُمَرَ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ إِلَى العَاصِي بنِ العَاصِي. سَلاَمٌ عَلَيْكَ، أَمَّا بَعْدُ أَفَتَرَانِي هَالِكاً وَمَنْ قِبَلِي، وَتَعِيشُ أَنْتَ وَمَنْ قِبَلَكَ؟ فَيَا غَوْثَاهُ يَا غَوْثَاهُ! يَا غَوْثَاهُ!

فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَمْرُو بنُ العَاصِ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. لِعَبْدِ اللَّهِ عُمَرَ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ مِنْ عَمْرِو بنِ العَاصِ. سَلاَمٌ عَلَيْكَ، فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهَ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ. أَمَّا بَعْدُ، أَتَاكَ الغَوْثُ، فَلَبِّثْ لَبِّثْ، لَأَبْعَثَنَّ إِلَيْكَ بِعِيرٍ أَوَّلُهَا عِنْدَكَ وَآخِرُهَا عِنْدِي.

فَبَعَثَ فِي البَرِّ بِأَلْفِ بَعِيرٍ تَحْمِلُ الدَّقِيقَ، وَبَعَثَ فِي البَحْرِ بِعِشْرِينَ سَفِينَةً تَحْمِلُ الدَّقِيقَ وَالدُّهْنَ، وَبَعَثَ إِلَيْهِ بِخَمْسَةِ آلاَفِ كِسَاءٍ.

خَلِيجُ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ:

كَتَبَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ إِلَى عَمْرِو بنِ العَاصِ أَنْ يَقْدُمَ عَلَيْهِ هُوَ وَجَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ.

فَقَدِمُوا عَلَيْهِ.

فَقَالَ عُمَرُ: يَا عَمْرُو، إِنَّ اللَّهَ قَدْ فَتَحَ عَلَى المُسْلِمِينَ مِصْرَ، وَهِيَ كَثِيرَةُ الخَيْرِ وَالطَّعَامِ، وَقَدْ أُلْقِيَ فِي رُوعِي لِمَا أَحْبَبْتُ مِنَ الرِّفْقِ بِأَهْلِ الحَرَمَيْنِ وَالتَّوْسِيعِ عَلَيْهِمْ حِينَ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِصْرَ وَجَعَلَهَا قُوَّةً لَهُمْ وَلِجَمِيعِ المُسْلِمِينَ أَنْ أَحْفِرَ خَلِيجاً مِنْ نِيلِهَا حَتَّى يَسِيلَ فِي البَحْرِ فَهُوَ أَسْهَلُ لِمَا نُرِيدُ مِنْ حَمْلِ الطَّعَامِ إِلَى المَدِينَةِ وَمَكَّةَ، فَإِنَّ حَمْلَهُ عَلَى الظَّهْرِ يَبْعُدُ وَلاَ نَبْلُغُ مِنْهُ مَا نُرِيدُ، فَانْطَلِقْ أَنْتَ وَأَصْحَابُكَ فَتَشَاوَرُوا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى يَعْتَدِلَ فِيهِ رَأْيُكُمْ.

فَانْطَلَقَ عَمْرُو فَأَخْبَرَ مَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ، فَثَقُلَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ وَقَالُوا: نَتَخَوَّفُ أَنْ يَدْخُلَ فِي هَذَا ضَرَرٌ عَلَى أَهْلِ مِصْرَ، فَنَرَى أَنْ تُعَظِّمَ ذَلِكَ عَلَى أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ وَتَقُولَ:

إنَّ هَذَا الأَمْرَ لاَ يَعْتَدِلُ، وَلاَ يَكُونُ، وَلاَ نَجِدُ إِلَيْهِ سَبِيلاً.

فَرَجَعَ عَمْرُو إِلَى عُمَرَ، فَضَحِكَ عُمَرُ حِينَ رَآهُ وَقَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْكَ يَا عَمْرُو وَإِلَى أَصْحَابِكَ حِينَ أَخْبَرْتَهُمْ بِمَا أَمَرْتُكَ بِهِ مِنْ حَفْرِ الخَلِيجِ فَثَقُلَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ وَقَالُوا: يَدْخُلُ فِي هَذَا ضَرَرٌ عَلَى أَهْلِ مِصْرَ، فَنَرَى أَنْ تُعَظِّمَ ذَلِكَ عَلَى أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ وَتَقُولُ لَهُ: إِنَّ هَذَا أَمْرٌ لاَ يَعْتَدِلُ، وَلاَ يَكُونُ، وَلاَ نَجِدُ إِلَيْهِ سَبِيلاً.

فَعَجِبَ عَمْرُو مِنْ قَوْلِ عُمَرَ وَقَالَ: صَدَقْتَ وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، لَقَدْ كَانَ الأَمْرُ عَلَى مَا ذَكَرْتَ.

فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: انْطَلِقْ يَا عَمْرُو بِعَزِيمَةٍ مِنِّي حَتَّى تَجِدَّ فِي ذَلِكَ وَلاَ يَأْتِي عَلَيْكَ الحَوْلُ حَتَّى تَفْرُغَ مِنْهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

وَانْصَرَفَ عَمْرُو وَجَمَعَ لِذَلِكَ مِنَ الفَعَلَةِ مَا بَلَغَ مِنْهُ مَا أَرَادَ، وَحَفَرَ الخَلِيجَ الَّذِي فِي جَانِبِ الفِسْطَاطِ الَّذِي يُقَالُ لَهُ خَلِيجُ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ فَسَاقَهُ مِنَ النِّيلِ إِلَى القَلْزَمِ[1] فَلَمْ يَأْتِ الحَوْلُ حَتَّى جَرَتْ فِيهِ السُّفُنُ.

فَحَمَلَ فِيهِ مَا أَرَادَ مِنَ الطَّعَامِ إِلَى المَدِينَةِ وَمَكَّةَ فَنَفَعَ اللَّهُ

---

(١) القلزم: البحر الأحمر.

بِذَلِكَ أَهْلَ الحَرَمَيْنِ . ثُمَّ لَمْ يَزَلْ يَحْمِلُ فِيْهِ الطَّعَامَ حَتَّى حُمِلَ فِيْهِ بَعْدَ عُمَرَ بنِ عَبْدِ العَزِيزِ، ثُمَّ ضَيَّعَهُ الوُلاَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ، فَتُرِكَ وَغَلَبَ عَلَيْهِ الرَّمْلُ فَانْقَطَعَ فَصَارَ مُنْتَهَاهُ إِلَى ذَنَبِ التِّمْسَاحِ مِنْ نَاحِيَةِ بَطْحَاءِ القَلْزَمِ[1] .

شَكْوَى :

قَالَ أَنَسٌ : كُنَّا عِنْدَ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ ، هَذَا مُقَامُ العَائِذِ بِك .

قَالَ : وَمَا لَكَ؟

قَالَ : أَجْرَى عَمْرُو بنُ العَاصِ بِمِصْرَ الخَيْلَ ، فَأَقْبَلَتْ فَرَسِي ، فَلَمَّا رَآهَا النَّاسُ قَامَ مُحَمَّدُ بنُ عَمْرٍ، فَقَالَ : فَرَسِي وَرَبِّ الكَعْبَةِ .

فَلَمَّا دَنَا مِنِّي عَرَفْتُهُ فَقُلْتُ : فَرَسِي وَرَبِّ الكَعْبَةِ .

فَقَامَ إِلَيَّ يَضْرِبُنِي بِالسَّوْطِ، وَيَقُولُ خُذْهَا وَأَنَا ابنُ الأَكْرَمِينَ .

وَبَلَغَ ذَلِكَ عَمْرَاً أَبَاهُ فَخِشِيَ أَنْ آتِيَكَ فَحَبَسَنِي فِي السِّجْنِ فَانْفَلَتُّ مِنْهُ ، وَهَذَا حِينَ أَتَيْتُكَ .

---

(١) منتخب كنز العمال .

فَوَاللَّهِ مَا زَادَ عُمَرُ عَلَى أَنْ قَالَ: اجْلِسْ. ثُمَّ كَتَبَ إِلَى عَمْرٍ: إِذَا جَاءَكَ كِتَابِي هَذَا فَأَقْبِلْ، وَأَقْبِلْ مَعكَ بِابْنِكَ مُحَمَّدٍ، وَقَالَ لِلْمِصْرِيِّ: أَقِمْ حَتَّى يَأْتِيَكَ.

فَدَعَا عَمْرُو ابْنَهُ، فَقَالَ: أَأَحْدَثْتَ حَدَثًا؟ أَجَنَيْتَ جِنَايَةً؟.

قَالَ: لاَ. قَالَ: فَمَا بَالُ عُمَرَ يَكْتُبُ فِيْكَ؟

فَقَدِمَ عَلَى عُمَرَ.

قَالَ أَنَسٌ: فَوَاللَّهِ إِنَّا عِنْدَ عُمَرَ، إِذْ نَحْنُ بِعَمْرٍ وَقَدْ أَقْبَلَ فِي إِزَارٍ وَرِدَاءٍ، فَجَعَلَ عُمَرُ يَلْتَفِتُ هَلْ يَرَى ابْنَهُ، فَإِذَا هُوَ خَلْفَ أَبِيهِ. فَقَالَ: أَيْنَ المِصْرِيُّ؟.

قَالَ: هَا أَنَا ذَا.

قَالَ: دُونَكَ الدُّرَّةَ فَاضْرِبْ بِهَا ابنَ الأَكْرَمِينَ.

فَضَرَبَهُ حَتَّى أَثْخَنَهُ وَنَحْنُ نَشْتَهِي أَنْ يَضْرِبَهُ، فَلَمْ يَنْزِعْ حَتَّى أَحْبَبْنَا أَنْ يَنْزِعَ مِنْ كَثْرَةِ مَا ضَرَبَهُ، وَعُمَرُ يَقُولُ: اضْرِبْ ابنَ الأَكْرَمِينَ.

ثُمَّ قَالَ: أَجِلْهَا عَلَى صَلْعَةِ عَمْرٍ، فَوَاللَّهِ مَا ضَرَبَكَ إِلاَّ بِفَضْلِ سُلْطَانِهِ.

قَالَ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ لَقَدْ اسْتَوْفَيْتُ وَاشْتَفَيْتُ.

وَقَالَ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ قَدْ ضَرَبْتُ مَنْ ضَرَبَنِي.

قَالَ: أَمَا وَاللَّهِ لَوْ ضَرَبْتَهُ مَا حُلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ حَتَّى تَكُونَ أَنْتَ الَّذِي تَدَعَهُ.

أَيَا عَمْرُو! مَتَى تَعَبَّدْتُمُ النَّاسَ وَقَدْ وَلَدَتْهُمْ أُمَّهَاتُهُمْ أَحْرَاراً؟

فَجَعَلَ يَعْتَذِرُ وَيَقُولُ: إِنِّي لَمْ أَشْعُرْ بِهَذَا.

ثُمَّ التَفَتَ عُمَرُ إِلَى المِصْرِيِّ فَقَالَ: انْصَرِفْ رَاشِداً فَإِنْ رَابَكَ رَيْبٌ فَاكْتُبْ إِلَيَّ[١].

وَمِنَ الغَرِيبِ أَنَّ النَّاسَ يَحْتَجُّونَ بِهَذِهِ القِصَّةِ عَلَى سُوءِ تَصَرُّفِ عَمْرٍو وَعَلَى عَدَالَةِ عُمَرَ، فَالثَّانِيَةُ صَحِيحَةٌ وَهِيَ طَبِيعَةُ عُمَرَ، وَأَصْلٌ عِنْدَ المُؤْمِنِينَ، وَالأُولَى غَيْرُ صَحِيحَةٍ إِذِ اعْتَرَفَ عَمْرُو بِالحَقِّ، وَلَمْ يُجَادِلْ، وَاعْتَذَرَ وَهَذِهِ صِفَةُ المُؤْمِنِينَ ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ. أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ العَامِلِينَ﴾[٢]. لَمْ يُنَاقِشْ، وَلَمْ يُرَاوِغْ، وَهُوَ أَدْهَى النَّاسِ،

(١) ابن الجوزي.
(٢) سورة آل عمران ١٣٥ ـ ١٣٦.

وَلَمْ يَخْشَ عُمَر كَمَا يَتَصَوَّرُ بَعْضُهُمْ وَإِنَّمَا رَبَّ عُمَرَ.

مَعَ النِّيلِ :

وَقَالَ ابنُ عَبْدِ الحَكَمِ : لَمَّا فَتَحَ عَمْرُو بنُ العَاصِ مِصْرَ أَتَى أَهلُـهَا إِلَيْهِ حِينَ دَخَل (بُؤنَةَ)[1] فَقَالُوا لَهُ: أَيُّهَا الأَمِيرُ إِنَّ لِنِيلِنَا هَذَا سُنَّةٌ لاَ يَجْرِي إِلاَّ بِهَا، فَقَالَ لَهُمْ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالُوا: إِنَّهُ إِذَا كَانَ لِثِنْتَيْ عَشَرَةَ لَيْلَةً تَخْلُو مِنْ هَذَا الشَّهْرِ عَمِدْنَا إِلَى جَارِيَةٍ بِكْرٍ مِنْ عِنْدِ أَبَوَيْهَا، فَأَرْضَيْنَا أَبَوَيْهَا وَأَخَذْنَاهَا، وَجَعَلْنَا عَلَيْهَا مِنَ الحُلِـيِّ وَالثِّيَابِ أَفْضَلَ مَا يَكُونُ، ثُمَّ أَلْقَيْنَاهَا فِي النِّيلِ فَيَجْرِي. فَقَالَ لَهُمْ عَمْرُو: إِنَّ هَذَا لاَ يَكُونُ فِي الإِسْلاَمِ، وَإِنَّ الإِسْلاَمَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ، فَأَقَامُوا (بُؤْنَةَ) وَ (أَبِيبَ)[2] وَ (مَسرِي)[3] وَهُوَ لاَ يَجْرِي قَلِيلاً وَلاَ كَثِيراً حَتَّى هَمُّوا بِالجَلاَءِ. فَلَمَّا رَأَى عَمْرُو ذَلِكَ كَتَبَ إِلَى عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ بِذَلِكَ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ أَنْ قَدْ أَصَبْتَ، إِنَّ الإِسْلاَمَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ، وَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكَ بِبِطَاقَةٍ فَأَلْقِهَا فِي دَاخِلِ النِّيلِ إِذَا أَتَاكَ كِتَابِي. فَلَمَّا قَدِمَ الكِتَابُ إِلَى عَمْرٍ، فَتَحَ

(١) بونة: شهر من أشهر القبط يبدأ من ٢٥ آيار حتى ٢٣ حزيران.
(٢) أبيب: شهر من أشهر القبط يبدأ من ذط حزيران حتى ٢٣ تموز.
(٣) سري: شهر من أشهر القبط يبدأ من ٢٤ تموز حتى ٢٣ آب.

البِطَاقَةَ فَإِذَا فِيهَا : مِنْ عَبْدِ اللَّهِ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ إِلَى نِيلِ مِصْرَ، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنْ كُنْتَ تَجْرِي مِنْ قِبَلِكَ فَلاَ تَجْرِ، وَإِنْ كَانَ اللَّهُ الوَاحِدُ القَهَّارُ هُوَ الَّذِي يُجْرِيكَ فَنَسْأَلُ الوَاحِدَ القَهَّارَ أَنْ يُجْرِيكَ.

فَعَرَّفَهُمْ عَمْرُو بِكِتَابِ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ وَبِالبِطَاقَةِ، ثُمَّ أَلْقَى عَمْرُو البِطَاقَةَ فِي النِّيلِ قَبْلَ يَوْمِ الصَّلِيبِ[1] بِيَوْمٍ، وَقَدْ تَهَيَّأَ أَهْلُ مِصْرَ لِلْجَلاَءِ وَالخُرُوجِ مِنْهَا لأَنَّهُ لاَ يَقُومُ بِمَصْلَحَتِهِمْ فِيهَا إِلاَّ النِّيلُ فَأَصْبَحُوا يَوْمَ الصَّلِيبِ وَقَدْ أَجْرَاهُ اللَّهُ تَعَالَى سِتَّةَ عَشَرَ ذِرَاعاً فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ، وَقَطَعَ تِلْكَ السُّنَّةَ السُّوءَ عَنْ أَهْلِ مِصْرَ[2].

وَتُوفِّيَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ عَامَ ٢٣ هـ وَعَمْرُو بنُ العَاصِ وَالِيَاً عَلَى مِصْرَ مِنْ قِبَلِهِ.

---

(١) يوم الصليب عند القبط هو اليوم السابع عشر من شهر (تون) وهو ما يعادل ١٣ أيلول، وهو قبل يوم الصليب عند السريان بأسبوعٍ، وفي هذا الوقت يكون فيضان النيل قد انتهى وبدأ النهر يتناقص.

(٢) خطط المقريزي ١/ ٥٨ وتاريخ الخلفاء ص ٤٩، والنجوم الزاهرة ١/ ٣٥.

# مَعَ الخَلِيفَةِ ذِي النُّورَيْنِ عُثمَانَ بنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

تَوَلَّى أَمْرَ الخِلاَفَةِ عُثْمَانُ بنُ عَفَّانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَعَمْرُو بنُ العَاصِ أَمِيرُ مِصْرَ. وكَانَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَدْ مَنعَ وَالِيَهُ مِنَ الانْسِيَاحِ نَحْوَ الغَرْبِ في إفْرِيقِيَّةَ، فَلَمَّا تولَّى عُثْمَانُ سَمَحَ لَهُ بِذَلِكَ، فَأَرْسَلَ قُوَّةً بِإِمْرَةِ عَبْدِ اللَّهِ بنِ سَعْدِ بنِ أَبِي سرحٍ، فَاجْتَازَ طَرَابُلْسَ، وَاسْتَوْلَى عَلَى سُفُنٍ لِلرُّومِ كَانَتْ رَاسِيَةً هُنَاكَ عَلَى الشَّاطِىءِ، وَوَاصَلَ سَيْرَهُ فِي إفْرِيقِيَّةَ (تُونُسَ)، وَالتَقَى بجُيُوشٍ لِلْبِيزَنْطِيينَ فِي مَوْقِعٍ يُقَالُ لَهُ (سُبَيْطِلَةَ) فِي جَنُوبِ غَرْبِي مَوْقِعِ (القَيْرَوَانِ) الَّتِي لَمْ تَكُنْ قَدْ أُسِّسَتْ، وَقَدْ قَتَلَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ الزُّبَيْرِ، وكَانَ مَعَ المُجَاهِدِينَ فِي تِلْكَ المَوْقِعَةِ، قَتَلَ القَائِدَ البِيزَنْطِيَّ (جَرْجِيرَ)، وَعَقَدَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ سَعْدِ بنِ أَبِي سَرْحٍ مُعَاهَدَةً مَعَ البِيزَنْطِيينَ مُقَابِلَ جِزْيَةٍ سَنَوِيَّةٍ يَدْفَعُونَهَا مُقَابِلَ أَنْ يُخْلِيَ إفْرِيقِيَّةَ (تُونُسَ) وَذَلِكَ لأَنَّهُ اضْطَرَّ أَنْ يَسِيرَ إِلَى مِصْرَ لِمُوَاجَهَةِ النُّوبَةِ الَّذِينَ هَدَّدُوا مِصْرَ مِنْ نَاحِيَةِ الجَنُوبِ.

وَفِي عَامِ ٢٧ هـ عَزَلَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عُثْمَانُ بنُ عَفَّانَ عِنْ

مِصْرَ عَمْرو بنَ العَاص ، وَأَعْطَى الوِلاَيَةَ لِعَبْدِ اللَّهِ بن سَعْدٍ بن أَبِي سَرْحٍ ، فَسَارَ عَمْرو مِنْ مِصْرَ إِلَى الحِجَازِ حَيْثُ مَرَّ عَلَى الخَلِيفَةِ فِي المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ وَعَاتَبَهُ ، وَانْطَلَقَ مِنَ المَدِينَةِ إِلَى مَكَّةَ حَيْثُ أَقَامَ فِيهَا ، وَبَقِيَ حَتَّى انْتَهَتْ خِلاَفَةُ عُثْمَانَ بن عَفَّانَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

## مَعَ الخَلِيفَةِ عَلِيٍّ بن أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

بُويِعَ عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ بِالخِلاَفَةِ وَعَمْرُو بنُ العَاص مُقِيمٌ فِي مَكَّةَ وَعِنْدَهُ الرَّغْبَةُ لِلْعَوْدَةِ إِلَى إِمْرَةِ مِصْرَ ـ وَاللَّهُ أَعْلَمُ ـ ، وَلَكِنَّهُ لاَ يُمْكِنُهُ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهَا فِي خِلاَفَةِ عَلِيٍّ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، بَلْ إِنْ كَانَ يَحْلَمُ بِهَا مِنْ قَبْلُ فَإِنَّ حِلْمَهُ قَدْ تَبَخَّر بِتَسَلُّم عَلِيٍّ الخِلاَفَةَ لِذَا بَقِيَ مُقِيماً فِي مَكَّةَ ، لأَنَّ الأَنْظَار كَانَتْ تَتَجِهُ لِلَّذِينَ لَدَيْهِمْ حَمَاسَةٌ ، وَعَمْرُو كَانَ قَابِعاً فِي مَكَّةَ ، وَالأَحَدَاثُ عِنْدَمَا تَعْصِفُ لاَ يُنَاسِبُهَا إِلاَّ أَصْحَابُ الحَمَاسَةِ ، وَهَذَا مَا يُرِيدُهُ الخَلِيفَةُ الجَدِيدُ .

فَلَمَّا حَدَثَ الخِلاَفُ ، وَوَقَعَتْ مَعْرَكَةُ الجَمَل ، وَبَقِيَ وَالِي الشَّام مُعَاوِيَةُ بنُ أَبِي سُفْيَانَ عَلَى مَوْقِفِهِ مُتَمَسِّكاً بِالإِمْرَةِ ، وَيُطَالِبُ الخَلِيفَةَ بِقَتَلَةِ عُثْمَانَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَيَسِيرُ مَعَهُ أَهْلُ وِلاَيَتِهِ حَيْثُ لاَ تَصِلُ إِلَيْهِمُ الأَخْبَارُ إِلاَّ مُتَأَخِّرَةً ، وَلاَ

يَسْمَعُونَ رَأْيَ الخَلِيفَةِ وَحُجَّتَهُ، وَإِنَّمَا حُجَّةَ الَّذِينَ يُخَالِفُونَهُ.

دَعَا عَمْرُو بنُ العَاصِ وَلَدَيْهِ عَبْدَ اللَّهِ وَمُحَمَّداً فَقَالَ: قَدْ رَأَيْتُ رَأْياً، وَلَسْتُمَا بِاللَّذَيْنِ تَرُدَّانِي عَنْهُ، وَلَكِنْ أَشِيرَا عَلَيَّ، إِنِّي رَأَيْتُ العَرَبَ صَارُوا غَارَيْنِ [1] يَضْطَرِبَانِ، فَأَنَا طَارِحٌ نَفْسِي بَيْنَ جَزَّارِي مَكَّةَ، وَلَسْتُ أَرْضَى بِهَذِهِ المَنْزِلَةِ، فَإِلَى أَيِّ الفَرِيقَيْنِ أَعْمَدُ؟ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: إِنْ كُنْتَ لاَ بُدَّ فَاعِلاً فَإِلَى عَلِيٍّ، قَالَ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ، إِنِّي إِنْ أَتَيْتُهُ، قَالَ لِي: إِنَّمَا أَنْتَ رَجُلٌ مِنَ المُسْلِمِينَ، وَإِنْ أَتَيْتُ مُعَاوِيَةَ، خَلَطَنِي بِنَفْسِهِ، وَشَرَكَنِي فِي أَمْرِهِ، فَأَتَى مُعَاوِيَةَ[2].

وَقِيلَ: إِنَّهُ قَالَ لِعَبْدِ اللَّهِ: إِنَّكَ أَشَرْتَ عَلَيَّ بِالقُعُودِ، وَهُوَ خَيْرٌ لِي فِي آخِرَتِي. وَأَمَّا أَنْتَ يَا مُحَمَّدُ، فَأَشَرْتَ عَلَيَّ بِمَا أَنْبَهُ لِذِكْرِي، ارْتَحِلاَ، فَأَتَى مُعَاوِيَةَ، فَوَجَدَهُ يَقُصُّ وَيُذَكِّرُ أَهْلَ الشَّامِ فِي دَمِ الشَّهِيدِ. فَقَالَ لَهُ: يَا مُعَاوِيَةُ قَدْ أَحْرَقْتَ كَبِدِي بِقَصَصِكَ، أَتُرَى إِنْ خَالَفْنَا عَلِيّاً لِفَضْلٍ مِنَّا عَلَيْهِ، لاَ وَاللَّهِ! إِنْ هِيَ إِلاَّ الدُّنْيَا نَتَكَالَبُ عَلَيْهَا، أَمَا وَاللَّهِ لَتَقْطَعَنَّ لِي مِنْ

---

(١) غاران: فريقان.

(٢) تاريخ دمشق ـ ابن عساكر. ١٣/ ٢٦٠، وذلك لأن علياً خليفة على حين أن معاوية أمير معزول يرى انضمام ابن العاص إليه كبيراً.

دُنْيَاكَ أَوْ لأُنَـابِذَنَّكَ، فَأَعْطَاهُ مِصْـرَ. وَقَـدْ كَانَ أَهْلُهَـا بَعَثُـوا بِطَاعَتِهِمْ إِلَى عَلِيٍّ[1].

وَيُرْوَى أَنَّ مُعَاوِيَةَ وَعَمْـرَاً قَدْ كَتَبَـا بَيْنَهُمَـا عَهْـدَاً فِي بَيْتِ المَقْدِسِ وَقَدْ جَاءَ فِيْهِ «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . هَذَا مَا تَعَاهَدَ عَلَيْهِ مُعَاوِيَةُ بنُ أَبِي سُفْيَانَ وَعَمْرُو بنُ العَـاصِ بِبَيْتِ المَقْدِسِ مِنْ بَعْدِ قَتْلِ عُثْمَانَ بنِ عَفَّـانَ وَحَمَّـلَ كُلُّ وَاحِـدٍ مِنْهُمَـا صَاحِبَـهُ الأَمَانَـةَ، إِنَّ بَيْنَنَـا عَهْـدَ اللَّـهِ عَلَـى التَّنَاصُـرِ وَالتَّخَالُصِ وَالتَّنَاصُحِ فِي أَمْرِ اللَّهِ وَالإِسْـلاَمِ ، وَلاَ يَخْـذُلُ أَحَدُنَا صَاحِبَهُ بِشَيْءٍ وَلاَ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ وَلِيجَةً ، وَلاَ يَحُولُ بَيْنَنَا وَلَدٌ وَلاَ وَالِدٌ أَبَدَاً مَا حَيِينَا فِيمَا اسْتَطَعْنَاهُ ، فَإِذَا فُتِحَتْ مِصْرُ فَإِنَّ عَمْرَاً عَلَى أَرْضِهَا وَإِمَارَتُهُ الَّتِي أَمَّرَهُ عَلَيْهَا أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ[2] ، وَبَيْنَنَا التَّنَاصُحُ وَالتَّوَازُرُ وَالتَّعَاوُنُ عَلَى مَا نَابَنَا مِنَ الأُمُورِ، وَمُعَاوِيَةُ أَمِيرٌ عَلَى عَمْرِو بنِ العَاصِ فِي النَّاسِ وَفِي عَامَّـةِ الأَمْرِ حَتَّى يَجْمَعَ اللَّهُ الأُمَّـةَ ، فَإِذَا اجْتَمَعَـتِ الأُمَّـةُ فَإِنَّهُمَـا يَدْخُلاَنِ فِي أَحْسَنِ أَمْرِهَا عَلَى أَحْسَنِ الَّذِي بَيْنَهُمَا فِي أَمْرِ اللَّـهِ

---

(١) سير أعلام النبلاء ـ الذهبي ٣/ ٧٢.
(٢) أمير المؤمنين : يعني عمر بن الخطاب ، فمعاوية لم يناد بأمير المؤمنين إلا عام ٤١ بعد تنازل الحسن بن علي، رضي الله عنهما، له.

الَّذِي بَيْنَهُمَا مِنَ الشَّرْطِ فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ. وَكَتَبَ وَرْدَانُ سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَلاَثِينَ[1].

وَكَانَتْ مَعْرَكَةُ صِفِّينَ. وَكَانَ عَمْرُو بنُ العَاصِ يُبَاشِرُ القِتَالَ فِي القَلْبِ أَيَّامَ صِفِّينَ بِنَفْسِهِ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمٌ مِنْ تِلْكَ الأَيَّامِ اقْتَتَلَ أَهْلُ العِرَاقِ وَأَهْلُ الشَّامِ حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ، فَإِذَا كَتِيبَةٌ خَشْنَاءُ مِنْ خَلْفِ صُفُوفِنَا[2] أَرَاهُمْ خَمْسَمائَةٍ فِيْهَا عَمْرُو بنُ العَاصِ، وَيُقْبِلُ عَلِيٌّ فِي كَتِيبَةٍ أُخْرَى نَحْوٍ مِنْ عَدَدِ الَّذِيْ مَعَ عَمْرِو بنِ العَاصِ، فَاقْتَتَلُوا سَاعَةً مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى كَثُرَتِ القَتْلَى بَيْنَهُمْ، ثُمَّ صَاحَ عَمْرُو بِأَصْحَابِهِ الأَرْضَ يَا أَهْلَ الشَّامِ فَتَرَجَّلُوا، وَدَبَّ بِهِمْ، وَتَرَجَّلَ أَهْلُ العِرَاقِ، فَنَظَرْتُ إِلَى عَمْرِو بنِ العَاصِ يُبَاشِرُ القِتَالَ وَهُوَ يَقُولُ:

وَصَبَرْنَا فِي مَوَاطِنَ ضَنْكٍ
وَخُطُوبٍ تُرِي البَيَاضَ الوَلِيدَا

وَيُقْبِلُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ العِرَاقِ فَخَلَصَ إِلَى عَمْرٍ وَضَرَبَهُ

---

(١) الطبقات الكبرى ـ ابن سعد الجزء الرابع ـ القسم الثاني ٢ ـ ٣. غير أن في هذا خطأ، فهذا يجب أن يكون قبل معركة صفين، وقد جرت معركة صفين في النصف الثاني من شهر صفر من عام ٣٧ هـ، فهي قبل تاريخ هذا الاتفاق، فيجب الانتباه إلى هذا.

(٢) تعود إلى راوي الخبر.

ضَرْبَةً جَرَحَهُ عَلَى العَاتِقِ وَهُـوَ يَقُـولُ: أَنَـا أَبُـو السَّمْـرَاءِ، وَيُدْرِكُهُ عَمْرُو فضَرَبَهُ ضَرْبَةً أَثْبَتَهُ، وَانْحَازَ عَمْرُو فِي أَصْحَابِهِ وَانْحَازَ أَصْحَابُهُ. قَالَ: أَخبَرنَا مُحَمَّدُ بنُ عُمَرَ قَالَ: حَدَّثَنِي إِسْمَاعِيلُ بنُ عَبْدِ المَلِكِ عَنْ يَحْيَى بنِ شِبْلٍ، عَنْ أَبِـي جَعْفَرٍ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بنِ أَبِي رَافِعٍ قَالَ: نَظَرْتُ إِلَى عَمْرِو ابن العَاصِ يَوْمَ صِفِّينَ، وَقَدْ صُفَّتْ لَهُ الـكَرَادِيسُ يَصُـفُّ النَّاسَ بِنَفْسِهِ صُفُوفاً، وَيَقُولُ: كَقَصِّ الشَّارِبِ، وَهُوَ حَاسِرٌ، وَأَسْمَعُهُ وَأَنـا مِنْـهُ قَرِيبٌ يَقُـولُ: عَلَيْكُمْ بِالشَّيْخِ الأَزْدِيِّ أَوِ الدَّجَّالِ: يَعْنِي هَاشِمَ بنَ عُتْبَةَ[1]. قَالَ: أَخْبَرَنَـا مُحَمَّـدُ بنُ عُمَرَ، قَالَ: حَدَّثَنِي مَعْمَرُ بنُ رَاشِدٍ عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ: اقْتَتَلَ النَّاسُ بِصِفِّينَ قِتَالاً شَدِيداً لَمْ يَكُنْ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ مِثْلُهُ قَطُّ حَتَّى كَرِهَ أَهْلُ الشَّامِ وَأَهْلُ العِرَاقِ القِتَالَ وَمَلُّوهُ مِنْ طُولِ تَبَاذُلِهِمُ

(١) هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، ويُعرف بالرّغال، كان من أصحاب عليّ، وكان من أهل البأس، وقتل يوم صفين، وكانت عينه قد فقئت يوم اليرموك، وبقي بعينٍ واحدةٍ، ولذا شبهه بالدّجال أو هذا وجه الشبه كل منهما بعينٍ واحدةٍ.
أما ما يقال: إنّ علياً صرع عمراً فكشف سوأته فحوّل وجهه وتركه وبذا نجا عمرو فهذا افتراء ومن أكاذيب الرواة، وأحاديث القصاص، يُزّينون القصص ليُقبل الناس على أحاديثهم والاستماع إليهم، ويجب ألا ننسى أغراض بعضهم. وأصحاب رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أعزّ من هذا وأجلّ.

السَّيْفِ. فَقَالَ عَمْرُو بنُ العَاصِ ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ عَلَى القِتَالِ، لِمَعَاوِيَةَ: هَلْ أَنْتَ مُطِيعِي فَتَأْمُرَ رِجَالاً بِنَشْرِ المَصَاحِفِ، ثُمَّ يَقُولُونَ يَا أَهْلَ العِرَاقِ نَدْعُوكُمْ إِلَى القُرآنِ وَإِلَى مَا فِي فَاتِحَتِهِ إِلَى خَاتِمَتِهِ فَإِنَّكَ إِنْ تَفْعَلْ ذَلِكَ يَخْتَلِفُ أَهْلُ العِرَاقِ وَلاَ يَزِيدُ ذَلِكَ أَهْلَ الشَّامِ إِلاَّ اسْتِجْمَاعاً، فَأَطَاعَهُ مُعَاوِيَةُ فَفَعَلَ. وَأَمَرَ عَمْرٌ رِجَالاً مِنْ أَهْلِ الشَّامِ فَقُرِىءَ المُصْحَفُ ثُمَّ نَادَى: يَا أَهْلَ العِرَاقِ نَدْعُوكُمْ إِلَى القُرْآنِ. فَاخْتَلَفَ أَهْلُ العِرَاقِ فَقَالَتْ طَائِفَةٌ: أَوَلَسْنَا عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَبَيْعَتِنَا؟ وَقَالَ آخَرُونَ: أَجِبْنَا إِلَى كِتَابِ اللَّهِ. فَلَمَّا رَأَى عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، وَهْنَهُمْ وَكَرَاهَتَهُمْ لِلْقِتَالِ قَارَبَ مُعَاوِيَةَ فِيمَا يَدْعُوهُ إِلَيْهِ وَاخْتَلَفَ بَيْنَهُمُ الرُّسُلُ، فَقَالَ عَلِيٌّ، عَلَيْهِ السَّلاَمُ: قَدْ قَبِلْنَا كِتَابَ اللَّهِ فَمَنْ يَحْكُم بِكِتَابِ اللَّهِ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ؟ قَالَ: نَأْخُذُ رَجُلاً مِنَّا تَخْتَارُهُ وَتَأْخُذُ مِنْكُمْ رَجُلاً تَخْتَارُهُ. فَاخْتَارَ مُعَاوِيَةُ عَمْرَو بنَ العَاصِ ، وَاخْتَارَ عَلِيٌّ أَبَا مُوسَى الأَشْعَرِيَّ[1]. وَحُدِّدَ مَوْعِدُ لِقَاءِ الحكَمَيْنِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ في دَوْمَةِ الجَنْدِلِ أَي أَنَّ المَوْعِدَ قَدْ أُجِّلَ ثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ إِذْ كَانَ قِتَالُ صِفِّينَ فِي صَفَرَ، وَاجْتِمَاعُ الحكَمَيْنِ فِي رَمَضَانَ[2].

---

(١) الطبقات الكبرى ـ ابن سعد: الجزء ٤ القسم الثاني ص ٣ و ٤.
(٢) في هذه الأثناء انشقت الخوارج عن علي وقاتلهم في النهروان.

أَرْسَلَ كُلُّ طَرَفٍ الحَكَمَ مَعَ أَرْبَعِمِائَةِ رَجُلٍ . وَلَمْ يَتَّفِقِ الحَكَمَانِ عَلَى اخْتِيَارِ خَلِيفَةٍ غَيْرِ عَلِيٍّ، وَقَدْ عُرِضَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ عُمَرَ، وَعَبْدُ اللَّهِ بنُ الزُّبَيْرِ وَغَيْرُهُمَا، وَلَمْ يَحْدُثِ اتِّفَاقٌ، بَلْ أَصَرَّ أَنْصَارُ عَلِيٍّ عَلَى خِلاَفَةِ عَلِيٍّ وَأَنَّ مُعَاوِيَةَ وَالٍ عَلَيْهِ أَنْ يُطِيعَ كَيْ تَجْتَمِعَ كَلِمَةُ الأُمَّةِ، وَيُمكِنَ تَنْفِيذُ الأَحْكَامِ وَإِقَامَةُ الحُدُودِ، وَأَلَحّ جَمَاعَةُ مُعَاوِيَةَ عَلَى إِقَامَةِ الحُدُودِ عَلَى قَتَلَةِ عُثْمَانَ بن عَفَّانَ حَتَّى نَطْمَئِنَ فَنُعْطِيَ الطَّاعَةَ، وَخَرَجُوا عَلَى مَا دَخَلُوا عَلَيْهِ مِنْ خِلاَفٍ[1].

---

(١) كل ما قيل غير ذلك فهو ليس بصحيح. فالقول بخلع علي ومعاوية قول غريب وشاذ، فعليّ خليفة ومعاوية والٍ فكيف يتعادل الخلع من الخلافة والخلع من الإمارة. ولم يُناد معاوية بالخلافة حتى تنازل له الحسن بن علي، رضي الله عنهما، عام ٤١ هـ.

وإن الصورة التي أعطيت لكلام الحكمين بعيدةً عن الحقيقة إذ لم يكن أبو موسى الأشعري على هذه الصورة من البساطة والسذاجة ولم يكن في الوقت نفسه عمرو بن العاص على هذه الصورة من قلة الدين واللامبالاة بالخلق. وكلاهما صحابي أعزّ وأسمى من هذه الصور التي أعطيت لهم من قبل المغرضين والقصاص ورواة الأخبار الذين أخذوا ممن قصّ عليهم. وربما بعضهم كالطبري رحمه الله قد روى الروايات وسندها لأصحابها كي تتحقق من الخبر بعد معرفة الرجال الذي رووا الأحداث. ونلاحظ أنهم اختلقوا أحداثاً وقالوا: إن عمراً كان يقدم أبا موسى، ويقول له: أنت أسن مني، ويذكرون تحذير عبد الله بن عباس لأبي موسى من هذا التصرف. وما ذلك إلاّ لأنهم يتصورون أن أبا موسى أسنّ من عمر، والواقع أن عمراً أكبر سناً من أبي موسى بأكثر من عشرين سنة، ومما يؤسف له أن شيوخ المؤرخين وغالبيتهم قد نقلوا هذا من غير تحقيق ـ مع الأسف ـ.

سَارَ عَمْرُو بنُ العَاصِ إلى مِصْرَ، وَاسْتَطَاعَ أَنْ يَدْخُلَهَا بَعْدَ مَقْتَلِ مُحَمَّدِ بنِ أَبي بكرٍ الوَالِي عَلَيْهَا مِنْ قِبَلِ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عَلِيّ بنِ أَبِي طَالِبٍ[1].

رَأَى الخَوَارِجُ صَلاَحَ الأُمَّةِ بِقَتْلِ عَلِيٍّ بنِ أَبِي طَالِبٍ، وَمُعَاوِيَةَ بنِ أَبِي سُفْيَانَ، وَعَمْرِو بنِ العَاصِ، وَهَذَا هُوَ الضَّلَالُ، وَتَعَهَّدَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ مُلْجَمٍ بِقَتْلِ عَلِيٍّ، وَتَعَهَدَ البُرَكُ بنُ عَبْدِ اللَّهِ بِقَتْلِ مُعَاوِيَةَ بنِ أَبِي سُفْيَانَ، وَأَخَذَ عَمْرُو بنُ بَكْرٍ عَلَى نَفْسِهِ قَتْلَ عَمْرِو بنِ العَاصِ، وَتَوَاعَدُوا أَنْ تَكُونَ لَيْلَةُ التَّنْفِيذِ هِيَ السَّابِعَةَ عَشَرَةَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ مِنْ سَنَةِ أَرْبَعِينَ لِلْهِجْرَةِ، وَسَارَ كُلٌّ فِي طَرِيقِه حَتَّى تِلْكَ اللَّيْلَةِ.

وَجَاءَتْ لَيْلَةُ التَّنْفِيذِ، وَقُتِلَ عَلِيٌّ، وَأُصِيبَ مُعَاوِيَةُ فِي إِلْيَتِهِ. وَأَمَّا عَمْرُو بنُ العَاصِ فَقَدِ اشْتَكَى بَطْنَهُ تِلْكَ اللَّيْلَةِ،

---

(١) كان أهل مصر قد بعثوا بالبيعة لعلي بن أبي طالب، وسلّموا أمرهم لمحمد بن أبي حذيفة الذي أخذ البيعة لعلي غير أنه قتل، فأرسل علي والياً على مصر قيس بن سعد بن عبادة فملك مصر، وساس أهلها، فحدث خلاف في الرأي فغادرها وسار إلى الخليفة، فأرسل علي بن أبي طالب إلى مصر محمد بن أبي بكر ليتولّى أمرها فقتل عام ٣٨، وتسلّم الولاية عمرو بن العاص، ولم يصل إليها الأشتر النخعيّ إذ هلك في طريقه إليها فقيل مات مسموماً، وكان في مهمة تولّي إمرة مصر لعلي بن أبي طالبٍ مكان محمد بن أبي بكر الذي لم يستطع أن يسوس أهلها.

وَلَمْ يَخْرُجْ لِلصَّلاَةِ، وَأَمَرَ صَاحِبَ شُرْطَتِهِ خَارِجَةَ بنَ حُذَافَةَ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، فَشَدَّ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ فَقَتَلَهُ وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهُ عَمْرُو، وَعِنْدَمَا أُتِيَ بِهِ إِلَى عَمْرِو بنِ العَاصِ قَالَ لَهُ: أَرَدْتَنِي وَأَرَادَ اللَّهُ خَارِجَةَ، ثُمَّ قَتَلَهُ.

بَايَعَ أَهْلُ العِرَاقِ بَعْدَ مَقْتَلِ عَلِيٍّ ابْنَهُ الحَسَنَ بنَ عَلِيٍّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ثُمَّ إِنَّ الحَسَنَ قَدْ رَأَى حَقْنَ دِمَاءِ المُسْلِمِين فَتَنَازَلَ لِمُعَاوِيَةَ الَّذِي أَصْبَحَ بَعْدَهَا خَلِيفَةَ المُسْلِمِينَ، وَانْتَقَلَ الحَسَنُ إِلَى المَدِينَةِ.

لَمَّا صَارَ الأَمْرُ لِمُعَاوِيَةَ وَأَصْبَحَ خَلِيفَةً لِلْمُسْلِمِينَ [اسْتَكْثَرَ طُعْمَةَ مِصْرَ لِعَمْرٍ مَا عَاشَ وَرَأَى عَمْرُو أَنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ قَدْ صَلَحَ بِهِ وَبِتَدْبِيرِهِ وَعَنَائِهِ وَسَعْيِهِ فِيهِ، وَظَنَّ أَنَّ مُعَاوِيَةَ سَيَزِيدُهُ الشَّامَ مَعَ مِصْرَ، فَلَمْ يَفْعَلْ مُعَاوِيَةُ، فَتَنَكَّرَ عَمْرُو لِمُعَاوِيَةَ فَاخْتَلَفَا وَتَغَالَظَا وَتَمَيَّزَ النَّاسُ وَظَنُّوا أَنَّهُ لاَ يَجْتَمِعُ أَمْرُهُمَا، فَدَخَلَ بَيْنَهُمَا مُعَاوِيَةُ بنُ حُدَيْجٍ فَأَصْلَحَ أَمْرَهُمَا، وَكَتَبَ بَيْنَهُمَا كِتَاباً وَشَرَطَ فِيهِ شُرُوطاً لِمُعَاوِيَةَ وَعَمْرٍ خَاصَّةً وَلِلنَّاسِ عَلَيْهِ، وَأَنَّ لِعَمْرٍ وِلاَيَةَ مِصْرَ سَبْعُ سِنِينَ، وَأَنَّ عَلَى عَمْرٍ السَّمْعَ وَالطَّاعَةَ لِمُعَاوِيَةَ، وَتَوَاثَقَا وَتَعَاهَدَا عَلَى ذَلِكَ، وَأَشْهَدَا عَلَيْهِمَا بِهِ شُهُوداً. ثُمَّ مَضَى عَمْرُو بنُ العَاصِ إِلَى مِصْرَ وَالِياً عَلَيْهَا،

وَذَلِكَ فِي آخِرِ سَنَةِ تِسْعٍ وَثَلاَثِينَ، فَوَاللَّهِ مَا مَكَثَ بِهَا إِلاَّ سَنَتَيْنِ أَوْ ثَلاَثَاً حَتَّى مَاتَ][1].

## وَفَاةُ عَمْرِو بنِ العَاصِ

لَمَّا احْتُضِرَ عَمْرُو بنُ العَاصِ، نَظَرَ إِلَى صَنَادِيقَ، فَقَالَ: مَنْ يَأْخُذُهَا بِمَا فِيهَا؟ يا لَيْتَهُ كَانَ بَعْرَاً، ثُمَّ أَمَرَ الحَرَسَ، فَأَحَاطُوا بِقَصْرِهِ. فَقَالَ بَنُوهُ: مَا هَذَا؟ فَقَالَ: مَا تَرَوْنَ هَذَا يُغْنِي عَنِّي شَيْئَاً[2].

قَالَ مُعَاوِيَةُ بنُ حُدَيْجٍ: عُدْتُ عَمْرَو بنَ العَاصِ وَقَدْ ثَقُلَ فَقُلْتُ: كَيْفَ تَجِدُكَ؟ قَالَ: أَذُوبُ وَلاَ أَثُوبُ وَأَجِدُ نَجْوِي أَكْثَرَ مِنْ رُزْئِي، فَمَا بَقَاءُ الكَبِيرِ عَلَى هَذَا[3]؟

قَالَ عَمْرُو بنُ العَاصِ: عَجَبَاً لِمَنْ نَزَلَ بِهِ المَوْتُ وَعَقْلُهُ مَعَهُ كَيْفَ لاَ يَصِفُهُ؟ فَلَمَّا نَزَلَ بِهِ المَوْتُ، ذَكَّرَهُ ابْنُهُ

---

(١) الطبقات الكبرى ـ ابن سعد ج ٤ القسم الثاني ص ٥ و ٦.
يلاحظ الخطأ في التاريخ فإنه في هذا التاريخ كان علي لايزال هو الخليفة ولم يتجاوز لقب معاوية بعد الإمارة، ولايزال سلطانه محصوراً في الشام ومصر.
(٢) ابن عساكر ١٣/ ٢٦٧.
(٣) ابن سعد. ج ٤ القسم الثاني ص ٧.

بِقَوْلِهِ، وَقَالَ: صِفْهُ. قَالَ: يَا بُنَيَّ! المَوْتُ أَجَلُّ مِنْ أَنْ يُوصَفَ، وَلَكِنِّي سَأَصِفُ لَكَ، أَجِدُنِي كَأَنَّ جَبَلَ رَضْوَى عَلَى عُنُقِي، وَكَأَنَّ فِي جَوْفِي شَوْكَ السُّلاء، وَأَجِدُنِي كَأَنَّ نَفسِي يَخْرُجُ مِنْ إِبْرَةٍ[1].

وَقَالَ عَمْرُو بنُ العَاصِ حِينَ احْتُضِرَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَمَرتَ بِأُمُورٍ، وَنَهَيْتَ عَنْ أُمُورٍ، تَرَكْنَا كَثِيراً مِمَّا أَمَرْتَ، وَرَتَعْنَا فِي كَثِيرٍ مِمَّا نَهَيْتَ اللَّهُمَّ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ. ثُمَّ أَخَذَ بِإِبْهَامِهِ، فَلَمْ يَزَلْ يَهْلِكُ حَتَّى فَاضَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[2].

جَزِعَ عَمْرُو بنُ العَاصِ عِنْدَ المَوْتِ جَزَعاً شَدِيداً، فَقَالَ ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ: مَا هَذَا الجَزَعُ، وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُدْنِيكَ وَيَسْتَعْمِلُكَ! قَالَ: أَيْ بُنَيْ! قَدْ كَانَ ذَلِكَ، وَسَأُخْبِرُكَ، إِي وَاللَّهِ مَا أَدْرِي أَحُبّاً كَانَ أَمْ تَأَلُّفاً، وَلَكِنْ أَشْهَدُ عَلَى رَجُلَيْنِ أَنَّهُ فَارَقَ الدُّنْيَا وَهُوَ يُحِبُّهُمَا، ابْنُ سُمَيَّةَ[3]، وَابْنُ أُمِّ عَبْدٍ[4]. فَلَمَّا جَدَّ بِهِ، وَضَعَ يَدَهُ مَوْضِعَ الأَغْلاَلِ مِنْ ذَقْنِهِ وَقَالَ: اللَّهُمَّ أَمَرْتَنَا فَتَرَكْنَا، وَنَهَيْتَنَا فَرَكِبْنَا،

---

(١) ابن سعد.
(٢) ابن عساكر.
(٣) يقصد عمار بن ياسر، وأمه سمية.
(٤) يقصد عبد الله بن مسعود، وأمه هي أم عبد.

وَلاَ يَسَعُنَا إِلاَّ مَغْفِرَتُكَ، فَكَانَتْ تِلْكَ هِجِّيرَاهُ حَتَّى مَاتَ[1].

وَلَمَّا ثَقُلَ قَالَ لِصَاحِبِ شُرَطَتِهِ: أَدْخِلَ وُجُوهَ أَصْحَابِكَ، فَلَمَّا دَخَلُوا نَظَرَ إِلَيْهِمْ وَقَالَ: هَا قَدْ بَلَغْتُ هَذِهِ الحَالَ، رُدُّوهَا عَنِّي، فَقَالُوا: مِثْلُكَ أَيُّهَا الأَمِيرُ يَقُولُ هَذَا؟ هَذَا أَمْرُ اللَّهِ الَّذِي لاَ مَرَدَّ لَهُ. قَالَ: قَدْ عَرَفْتُ، وَلَكِنْ أَحْبَبْتُ أَنْ تَتَّعِظُوا، لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، فَلَمْ يَزَلْ يَقُولُهَا حَتَّى مَاتَ[2].

وَقِيلَ: لَمَّا كَانَ عَمْرُو بنُ العَاصِ فِي سِيَاقَةِ المَوْتِ حَوَّلَ وَجْهَهُ إِلَى الحَائِطِ يَبْكِي طَوِيلاً، وَابْنُهُ يَقُولُ لَهُ: مَا يُبْكِيكَ؟ أَمَا بَشَّرَكَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِكَذَا؟ أَمَا بَشَّرَكَ بِكَذَا؟ قَالَ وَهُوَ فِي ذَلِكَ يَبْكِي وَوَجْهُهُ إِلَى الحَائِطِ، ثُمَّ أَقْبَلَ بِوَجْهِهِ إِلَيْنَا فَقَالَ: إِنَّ أَفْضَلَ مَا تَعُدُّ عَلَيَّ شَهَادَةُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَكِنِّي قَدْ كُنْتُ عَلَى أَطْبَاقٍ ثَلاَثٍ: قَدْ رَأَيْتُنِي مَا مِنَ النَّاسِ أَبْغَضُ إِلَيَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلاَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ اسْتَمْكِنَ مِنْهُ فَأَقْتُلُهُ، فَلَوْ مِتُّ عَلَى تِلْكَ الطَّبَقَةِ لَكُنْتُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ. ثُمَّ جَعَلَ اللَّهُ الإِسْلاَمَ فِي قَلْبِي فَأَتَيْتُ

(١) مسند الإمام أحمد ٤/ ١٩٩ ـ ٢٠٠، وابن عساكر ١٣/ ٢٦٩.
(٢) ابن عساكر ١٣/ ٢٦٩.

رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ، لأُبَايِعَهُ فَقُلْتُ: ابْسُـطْ يَمِينَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَبسطَ يدَهُ ثُمَّ إِنِّـي قَبَضْـتُ يَدِي فَقَالَ: مَا لَكَ يَا عَمْـرُو؟ قَالَ: فَقُلْـتُ: أَرَدْتُ أَنْ أَشْتَـرِطَ، فَقَالَ: تَشْتَرِطُ مَاذَا؟ فَقُلْتُ: أَشْتَرِطُ أَنْ يُغْفَرَ لِي، فَقَالَ: أَمَـا عَلِمْـتَ يَا عَمْرُو أَنَّ الإِسْلاَمَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ، وَأَنَّ الهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا، وَأَنَّ الحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟ فَقَدْ رَأَيْتُنِي مَا مِنَ النَّاسِ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلاَ أَجَلَّ فِي عَيْنِي مِنْهُ، وَلَوْ سُئِلْتُ أَنْ أَنْعَتَهُ مَا أَطَقْتُ لأَنِّـي لَمْ أَكُنْ أُطِيقُ أَنْ أَمْلأَ عَيْنِي إِجْلاَلاً لَهُ فَلَوْ مِتُّ عَلَى تِلْكَ الطَّبَقَةِ رَجَوْتُ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ. ثُمَّ وُلِّينَا أَشْيَاءَ بَعْدُ فَلَسْتُ أَدْرِي مَا أَنَا فِيهَا أَوْ مَا حَالِي فِيهَا، فَإِذَا أَنَا مِتُّ فَلاَ تَصْحَبْنِي نَائِحَـةٌ وَلاَ نَارٌ، فَإِذَا دَفَنْتُمُونِي فَسُنُّوا عَلَيَّ التُّرَابَ سَناً، فَإِذَا فَرَغْتُمْ مِنْ قَبْرِي فَامْكُثُـوا عِنْدَ قَبْرِي قَدْرَ مَا يُنْحَرُ جَزُورٌ وَيُقْسَمُ لَحْمُهَا فَإِنِّي أَسْتَأْنِسُ بِكُمْ حَتَّى أَعْلَمَ مَاذَا أُرَاجِعُ بِهِ رُسُلَ رَبِّي(١).

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ عَمْرِو بنِ العَـاصِ: إِنَّ أَبَاهُ أَوْصَـاهُ قَالَ: يَا بُنَيَّ إِذَا مِتُّ فَاغْسِلْنِي غَسْلَةً بِالمَـاءِ، ثُمَّ جَفِّفْنِـي فِي ثَوْبٍ، ثُمَّ اغْسِلْنِي الثَّانِيَةَ بِمَاءٍ قَرَاحٍ ثُمَّ جَفِّفْنِي فِي ثَوْبٍ، ثُمَّ

---

(١) ابن سعد.

اغْسِلْنِي الثَّالِثَةَ بِماءٍ فِيْهِ شَيْءٌ مِنْ كَافُورٍ ثُمَّ جَفِّفْنِي فِي ثَوْبٍ، ثمَّ أَلْبِسْتَنِي الثِّيَابَ فَأَزِّرَ عَلَيّ فَإِنِّي مُخَاصَمٌ، ثُمَّ إِذَا أَنْتَ حَمَلْتَنِي عَلَى السَّرِيرِ فَامْشِ بِي بَيْنَ المِشْيَتَيْنِ وَكُنْ خَلْفَ الجِنَازَةِ فَإِنَّ مُقَدَّمَها لِلْمَلائِكَةِ وَخَلْفَهَا لِبَنِي آدَمَ، فَإِذَا أَنْتَ وَضَعْتَنِي فِي القَبْرِ، فَسُنَّ عَلَيَّ التُّرَابَ سَنًّاً. ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَمَرْتَنَا فَأَضَعْنَا، وَنَهَيْتَنَا فَرَكِبْنَا، فَلاَ بَرِيْءٌ فَأَعْتَذِرُ، وَلاَ عَزِيزٌ فَأَنْتَصِرُ، وَلَكِنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، وَمَازَالَ يَقُولُهَا حَتَّى مَاتَ[١].

وَتُوفِّيَ عَمْرُو بنُ العَاصِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بِمِصْرَ سَنَةَ ثَلاَثٍ وَأَرْبَعِينَ لِلْهِجْرَةِ[٢]. وَتَرَكَ أَمْوَالاً كَثِيرَةً.

تُوفِّيَ لَيْلَةَ عِيدِ الفِطْرِ، وَعُمْرُهُ سَبْعٌ وَثَمَانُونَ سَنَةً، فَكَانَ عُمْرُهُ يَومَ صِفِّينَ إِحْدَى وَثَمَانِينَ سَنَةً، وَهُوَ يَقُودُ الكَتَائِبَ، وَيُعَدُّ أَقْوَى رِجَالِ مُعَاوِيَةَ وَأَعْرَفَهُمْ بِأُمُورِ الحَرْبِ يَوْمَذَاكَ. وَبَلَغَ الثَّانِيَةَ وَالثَّمَانِينَ يومَ التَّحْكِيمِ وَمَعَ هَذَا فَالصُّورَةُ فِي ذِهْنِ النَّاسِ أَنَّه أَصْغَرُ مِنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ بِسَبَبِ أَخطَاءِ المُؤَرِّخِينَ[٣].

---

(١) ابن سعد، وابن عساكر.
(٢) وذكر غير ذلك دون دليل، وما أثبتناه هو الصحيح، والله أعلم.
(٣) انظر الطبقات لابن سعد، وتاريخ الطبري، والكامل لابن الأثير.

# عَمْرُو بنُ العَاصِ

كَانَ عَمْرُو قَصِيراً.

ـ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ابنَا العَاصِ مُؤْمِنَانِ عَمْرُو وَهِشَامُ»(١).

ـ وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَمْرُو بنُ العَاصِ مِنْ صَالِحِي قُرَيْشٍ، نِعْمَ أَهْلُ البَيْتِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، وَأُمُّ عَبْدِ اللَّهِ، وَعَبْدُ اللَّهِ»(٢).

ـ وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَسْلَمَ النَّاسُ، وَآمَنَ عَمْرُو بنُ العَاصِ»(٣).

رَوَى عَمْرُو بنُ العَاصِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَا يَقْرُبُ مِنْ أَرْبَعِينَ حَدِيثاً مَعَ المُكَرَّرِ. اتَّفَقَ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمُ عَلَى ثَلاثَةِ أَحَادِيثَ مِنْهَا. وَانْفَرَدَ البُخَارِيُّ بِحَدِيثٍ، وَمُسْلِمُ بِحَدِيثَيْنِ.

ـ قَالَ قَبِيصَةُ بنُ جَابِرٍ: قَدْ صَحِبْتُ عَمْرَو بنَ العَاصِ، فَمَا

---

(١) أخرجه أحمد ٢/ ٣٠٤ و ٣٢٧ و ٣٥٣، وابن سعد ٤/ ١٩١، والحاكم ٣/ ٢٤٠ و ٤٥٢ وابن عساكر ١٣/ ٢٥٢.

(٢) أخرجه أحمد ١/ ١٦١، والترمذي ٣٨٤٥، وابن عساكر ١٣/ ٢٥٣.

(٣) أخرجه أحمد ٤/ ١٥٥ والترمذي ٣٨٤٤.

رَأَيْتُ رَجُلاً أَبْيَنَ أَوْ أَنْصعَ رَأْياً، وَلاَ أَكْرَم جَلِيساً مِنْهُ، وَلاَ أَشْبَهَ سَرِيرَةً بِعَلاَنِيَةٍ مِنْهُ.

وَقَالَ الشَّعَبِيُّ: دُهَاةُ العَرَبِ أَرْبَعَةٌ: مُعَاوِيَةُ، وَعَمْرُو، وَالمُغِيرَةُ، وَزِيَادُ. أَمَّا مُعَاوِيَةُ فَلِلأَنَاةِ وَالحِلْمِ، وَأَمَّا عَمْرُو فَلِلْمُعْضِلاَتِ، وَالمُغِيرَةُ لِلْمُبَادَهَةِ، وَأَمَّا زِيَادُ فَلِلصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ.

وَقَالَ الذَّهَبِيُّ عَنْ عَمْرو: وَكَانَ مِنْ رِجَالِ قُرَيْشٍ رَأْياً، وَدَهَاءً، وَحَزْماً، وَكَفَاءَةً، وَبَصَراً بِالحُرُوبِ، وَمِنْ أَشْرَافِ مُلُوكِ العَرَبِ، وَمِنْ أَعْيَانِ المُهَاجِرِينَ، وَاللَّهُ يَغْفِرُ لَهُ وَيَعْفُو عَنْهُ، وَلَوْلاَ حُبُّهُ لِلدُّنْيَا وَدُخُولُهُ فِي أُمُورٍ، لَصَلُحَ لِلْخِلاَفَةِ، فَإِنَّ لَهُ سَابِقَةً لَيْسَتْ لِمُعَاوِيَةَ، وَقَدْ تَأَمَّرَ عَلَى مِثْلِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، لِبَصَرِهِ بِالأُمُورِ وَدَهَائِهِ.

وَكَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَصِيحاً. فَكَانَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إِذَا رَأَى رَجُلاً يَتَلَجْلَجُ فِي كَلاَمِهِ قَالَ: خَالِقُ هَذَا وَخَالِقُ عَمْرِو بنِ العَاصِ وَاحِدٌ.

بُنَاة دَوْلَةِ الإسْلام

- ٤٢ -

# عِكْرِمَة بن عَمْرِو بن هِشَام

رضي الله عنه

هُوَ عِكْرِمَةُ بنُ عَمْرِو بن هِشَامِ بن المُغِيرَةِ المَخْزُومِيُّ.

كَانَ أَبُوهُ عَمْرُو بنُ هِشَامٍ «أبو جهلٍ» ابنَ عمِّ خَالِدِ بن الوَلِيدِ، وَقَدْ آلَتْ إِلَيْهِ زَعَامَةُ مَخْزُومٍ بَعْدَ مَوْتِ عَمِّهِ الوَلِيدِ بن المُغِيرَةِ أَبِي خَالِدِ بن الوَلِيدِ، وَكَانَ أَحَدَ زُعَمَاءِ قُرَيْشٍ وَرُكْناً مِنْ أَرْكَانِ الكُفْرِ، وَأَبْرَزَ أَعْدَاءِ الإِسْلَامِ. قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ كَافِراً. وَغَدَا ابْنُهُ عِكْرِمَةُ سَيِّدَ بَنِي مَخْزُومٍ. وَأَمَّا أُمُّهُ فَهِيَ أُمُّ مُجَالِدٍ بِنْتُ يَرْبُوعٍ مِنْ بَنِي هِلَالِ بن عَامِرٍ.

كَانَ عِكْرِمَةُ كَأَبِيهِ أَحَدَ أَعْمِدَةِ الشِّرْكِ قَاتَلَ ضِدَّ الإِسْلَامِ فِي كُلِّ مَيْدَانٍ.

تَزَوَّجَ ابْنَةَ عَمِّهِ أُمَّ حَكِيمٍ بِنْتَ الحَارِثِ بن هِشَامٍ، وَكَانَتْ ذَاتَ عَقْلٍ وَحِكْمَةٍ وَرَأْيٍ سَدِيدٍ.

وُلِدَ عِكْرِمَةُ قَبْلَ الهِجْرَةِ بِإِحْدَى وَخَمْسِينَ سَنَةً فَهُوَ أَصْغَرُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِسَنَتَيْنِ.

وَقَفَ ضِدَّ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَحَارَبَهُ بِكُلِّ إِمْكَانَاتِهِ، كَمَا حَارَبَ كُلَّ مَنْ أَسْلَمَ.

وَهَاجَرَ المُسْلِمُونَ مِنْ مَكَّةَ إِلَى المَدِينَةِ فِرَاراً بِدِينِهِمْ لِمَا لاَقُوا مِنْ صَدٍّ مِنْ قُرَيْشٍ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ، وَلِمَا لَحِقَهُمْ مِنْ أَذىً وَاضْطِهَادٍ، وَهَاجَرَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَفِي المَدِينَةِ أُقِيمَتْ دَوْلَةُ الإِسْلاَمِ، وَبَدَأَتْ تُرْسِلُ السَّرَايَا، كَمَا تَقُومُ الغَزَوَاتُ إِلَى كُلِّ جِهَةٍ لِدِرَاسَةِ الأَرْضِ، وَمَعْرِفَةِ سُكَانِهَا، وَمُحَاوَلَةِ التَّحَالُفِ مَعَ قَبَائِلِهَا، وَكَمُنَاوَرَاتٍ عَسْكَرِيَّةٍ لإِثْبَاتِ الوُجُودِ وَتَثْبِيتِ دَعَائِمِ الدَّوْلَةِ، وَكَبِدَايَةٍ لِتَهْدِيدِ قُرَيْشٍ بِالسَّيْطَرَةِ عَلَى الطُّرُقِ التِّجَارِيَّةِ الَّتِي بَيْنَ مَكَّةَ وَالشَّامِ، وَالَّتِي تَسْلُكُهَا قَوَافِلُ قُرَيْشٍ ذَاهِبَةً وَآيِبَةً، وَالتِّجَارَةُ عِمَادُ حَيَاةِ قُرَيْشٍ، فَإِذَا سَيْطَرَ المُسْلِمُونَ عَلَى هَذِهِ الطُّرُقِ فَكَأَنَّمَا قَطَعُوا شِرْيَانَ الحَيَاةِ عَنْ قُرَيْشٍ.

أَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي شَهْرِ شَوَّال مِنَ السَّنَةِ الأُولَى لِلْهِجْرَةِ عُبَيْدَةَ بنَ الحَارِثِ بنِ المُطَّلِبِ عَلَى رَأْسِ سَرِيَّةٍ تَتَأَلَّفُ مِنْ ثَمَانِينَ رَاكِباً كُلُّهُمْ مِنَ المُهَاجِرِينَ لِتَعْتَرِضَ قَافِلَةً لِقُرَيْشٍ كَانَتْ بِإِمْرَةِ عِكْرِمَةَ بنِ عَمْرِو بنِ هِشَامٍ، وَمَعَهُ مِائَتَا رَاكِبٍ، فَالْتَقَى الفَرِيقَانِ قُرْبَ رَابِغٍ،

وَابْتَدَأَ القِتَالُ بِالرَّمِي بِالنَّبْلِ إلاَّ أَنَّهُ لَمْ يَسْتَمِرَّ إِذِ انْهَزَمَ عِكْرِمَةُ وَمَنْ مَعَهُ رَغْمَ كَثْرَتِهِمْ. انْهَزَمَ عِكْرِمَةُ رَغْمَ شَجَاعَتِهِ وَبُطُولَتِهِ وَرَغْمَ قُوَّتِهِ وَفُرُوسِيَّتِهِ وَشِدَّةِ بَأْسِ مَنْ مَعَهُ، فَإِنَّ الشَّجَاعَةَ وَالقُوَّةَ مَهْمَا بَلَغَتَا فَإِنَّهُمَا لاَ تَثْبُتَانِ أَمَامَ قُوَّةِ الإِيمَانِ. انْهَزَمَ عِكْرِمَةُ الفَارِسُ المَعْرُوفُ وَاحْتَجَّ بِأَنَّهُ كَانَ يَخْشَى أَنْ يَكُونَ المُسْلِمُونَ قَدْ نَصَبُوا لَهُ كَمِيناً إِذْ لاَ يَتَوَقَّعُ أَنْ يُنَازِلَ ثَمَانُونَ رَجُلاً مائَتَي رَاكِبٍ، وَرُبَّمَا كَانَ الحَقُّ مَعَهُ إِذْ لَمْ يَعْرِفْ بَعْدُ الرُّوحَ المَعْنَوِيَّةَ لَدَى المُسْلِمِينَ المُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَمْ يَتَذَوَّقْ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ بَعْدُ، وَلَمْ يَحْضَرْ مَوَاقِعَ المُسْلِمِينَ، وَلَمْ يَشْهَدْ قِتَالَهُمْ بَلْ لَمْ يَكُونُوا قَدْ بَرَزُوا بَعْدُ وَأَسْمَعُوا الدُّنْيَا بِمَوَاقِفِهِمْ.

وَخَرَجَ عِكْرِمَةُ مَعَ قُرَيْشٍ إِلى بَدْرٍ، وَقُتِلَ أَبُوهُ «أَبُو جَهْلٍ» يَوْمَذَاكَ، كَمَا قُتِلَ طُغَاةُ قُرَيْشٍ، وَجُنْدِلَ صَنَادِيدُهَا، وَلَمْ تَنْفَعْهَا قُوَّتَها، وَلَمْ يَفِدْهَا جَبَرُوتُهَا أَمَامَ الإِيمَانِ وَتَأْيِيد اللَّهِ الَّذِي لاَ يُغْلَبُ وَلاَ يُغَالَبُ. وَنَجَا عِكْرِمَةُ بِأَمْرِ اللَّهِ الَّذِيْ أَرَادَ لَهُ الحَيَاةَ، وَأَرَادَ لَهُ الخَيْرَ، وَأَرَادَ له الخَاتِمَةَ الحَسَنَةَ. وَكَانَ عِكْرِمَةُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَذْكُرُ هَذَا دَائِماً، فَكَانَ إِذَا اجْتَهَدَ فِي اليَمِينِ بَعْدَ إِسْلاَمِهِ يَقُولُ: لاَ وَالَّذِي نَجَّانِي يَوْمَ بَدْرٍ.

وَكَانَ عِكْرِمَـةُ يَوْمَ بَدْرٍ بِجَانِـبِ أَبِيهِ فَلَمَّـا ضَرَبَ مُعَاذُ بـنُ عَمْرِو بنِ الجَمُوحِ أَبَا جَهْلٍ فَقَطَعَ رِجْلَهُ أَسْـرَعَ عِكْرِمَـةُ لِيَنْصُرَ أَبَاه فَضَرَبَ يَدَ مُعَاذٍ فَطَرَحَهَا، وَلَكِنْ لَمْ يُجْدِ ذَلِكَ الأَبَ شَيْئاً إِذْ كَانَ مُعَوِّذُ ابْنُ عفْرَاءَ قَدْ ضَرَبَ أَبَا جَهْلٍ ضَرْبَةً أَثْبَتَتْهُ وَتَرَكَهُ وَبِهِ رَمَقٌ فَأَسْرَعَ عَبْدُ اللَّه بنُ مَسْعُودٍ وَأَجْهَزَ عَلَى أَبِي جَهْلٍ وَاحْتَزَّ رَأْسَهُ، وَكَانَ عِكْرِمَةُ قَدْ خَافَ بَعْدَ قَطْعِ يَدِ مُعَاذٍ فَوَلَّى، وَتَرَكَ أَبَاهُ صَرِيعاً.

وَرَجَعَتْ قُرَيْشٌ إِلَى دَارِهَا مَكْلُومَةً ذَلِيلَةً، وَسَارَ عِكْرِمَـةُ، وَصَفْوَانُ بنُ أُمَيَّةَ، وَعَبْدُ اللَّهِ بنُ أَبِي رَبِيعَةَ فِي رِجَالٍ مِنْ قُرَيْشٍ مِمَّنْ أُصِيبَ آبَاؤُهُمْ وَأَبْنَاؤُهُمْ وَإِخْوَانُهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ فَكَلَّمُوا أَبَا سُفْيَانَ بنَ حَرْبٍ، وَمَنْ كَانَتْ لَهُ فِي تِلْكَ العِيرِ مِنْ قُرَيْشٍ تِجَارَةٌ، فَقَالُـوا: يَا مَعْشَـرَ قُرَيْشٍ، إِنَّ مُحَـمَّـداً قَدْ وَتَرَكُمْ، وَقَتَلَ خِيَارَكُمْ، فَأَعِينُونَا بِهَذَا المَالِ عَلَـى حَـرْبِـهِ، فَلَعَلَّنَا نُدْرِكُ مِنْهُ ثَأْرَنَا بِمَنْ أَصَابَ مِنَّا فَفَعَلُوا.

اجْتَمَعَتْ قُرَيْشٌ لِحَـرْبِ رَسُـولِ اللَّـهِ، صَلَّـى اللَّـهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَخَرَجَتْ مِنْ مَكَّةَ، وَخَرَجَ عِكْرِمَةُ مَعَ بَنِـي قَوْمِـهِ مِنَ الكُفَّارِ، وَخَرَجَتْ مَعَهُ زَوْجُـهُ أُمُّ حَكِيمٍ بِنْـتُ الحَارِثِ بـنِ هِشَامٍ بنِ المُغِيرَةِ.

كَانَ عَدَدُ جَيْشِ المُشْرِكِينَ ثَلاثَةَ آلافِ مُقَاتِلٍ، وَمَعَهُمْ مِائَتَا فَرَسٍ وَقَدْ جعَلَوا خَالِدَ بنَ الوَلِيدِ عَلَى مَيْمَنَةِ الخَيْلِ وَعِكْرِمَةَ بنَ عَمْرٍ عَلَى مَيْسَرَتِهَا. أَمَّا المُسْلِمُونَ فَكَانَ عَدَدُهُمْ دُونَ سَبْعِمِائَةِ مُجَاهِدٍ وَلَيْسَ مَعَهُمْ سِوَى فَرَسَيْنِ أَحَدُهُمَا لِلزُّبَيْرِ بن العَوَّامِ وَالثَّانِيَةَ لِلْمِقْدادِ بنِ عَمْرٍ. وَاصْطَفَّ الطَّرَفَانِ، وَوَقَفَتِ الخَيْلُ أَمَامَ الخَيْلِ غَيْرَ أَنَّهُ مَنْظَرٌ يَسْتَدْعِي التَّأَمُّلَ مِائَتَا فَارِسٍ مُقَابِلَ اثْنَيْنِ فَلَيْسَ هُنَاكَ أَيُّ مَجَالٍ لِلْمُقَارَنَةِ حَسْبَ التَّقْدِيرَاتِ المَادِيَّةِ وَالاعْتِبَارَاتِ المَادِيَّةِ، وَرُبَّمَا كَانَ عَلَى خَيْلِ المُسْلِمِينَ أَوِ الفَارِسَيْنِ أَنْ يَنْسَحِبَا مِنَ المَيْدَانِ.

بَدَأَتِ المَعْرَكَةُ وَانْدَفَعَ الفَارِسَانِ المُسْلِمَانِ الزُّبَيْرُ وَالمِقْدَادُ عَلَى خَيْلِ المُشْرِكِينَ المِائَتَيْنِ وَالَّتِي يَقُودُهَا فَارِسَا قُرَيْشٍ بِلاَ مُدَافِعٍ خَالِدُ وَعِكْرِمَةُ فَوَلَّتْ خَيْلُ المُشْرِكِينَ الأَدْبَارَ، مِائَتَا فَارِسٍ فَرُّوا مِنْ فَرَسَيْنِ، اللَّهُ أَكْبَرُ مَا أَرْوَعَ الإِيمَانَ كَيْفَ يَصْقُلُ النُّفُوسَ وَيَجْعَلُهَا قَوِيَّةً شُجَاعَةً لاَ تُبَالِي بِشَيْءٍ وَلَكِنَّ الحَقِيقَةَ أَنَّ البَاطِلَ قَدْ هُزِمَ أَمَامَ الحَقِّ وَانْدَحَرَ. فَالزُّبَيْرُ بِإِيمَانِهِ أَقْوَى مِنْ خَالِدٍ مِنْ غَيْرِ إِيمَانٍ، والمِقْدَادُ بِإِيمَانِهِ أَقْوَى مِنْ عِكْرِمَةَ مَهْمَا بَلَغَتْ قُوَّةُ عِكْرِمَةَ مِنْ غَيْرِ إِيمَانٍ، وَلِذَا فَقَدِ انْهَزَمَ خَالِدُ وَعِكْرِمَةُ وَمَنْ مَعَهُمَا مِنْ عَدَدٍ كَبِيرٍ

مِنَ الفُرْسَانِ أَمَامَ اثْنَيْنِ ، فَلَمَّا آمَنَ خَالِدُ وَآمَنَ عِكْرِمَةُ تَسَاوَيَا مَعَ الزُّبَيْرِ وَالمِقْدَادِ وَغَدَا الفَارِقُ فِي الإِمْكَانِيَّةِ وَمَعرِفَةِ أَسَالِيبِ القِتَالِ.

انْتَصَرَ المُسْلِمُونَ فِي أَوَّلِ الأَمْرِ فِي مَعْرَكَةِ أُحُدٍ، ثُمَّ عُوقِبُوا بِمَا نَزَلَ بِهِمْ لِمُخَالَفَةِ بَعْضِهِمْ بَعْضَ أَوَامِرِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ مُخَالَفَةَ بَعْضِهِمْ دُونَ عُقُوبَةٍ وَهُمْ فِي دَوْرِ التَّرْبِيَةِ وَالإِعْدَادِ فَنَزَلَ بِالمُسْلِمِينَ بَلاَءٌ شَدِيدٌ خَرَجُوا مِنْهُ مُنْتَصِرِينَ بِإِذْنِ اللَّهِ بَعْدَ أَنْ أَصَابَهُمُ القَرْحُ فَثَابُوا إِلَى رُشْدِهِمْ وَرَجَعَتْ إِلَيْهِمْ مَعْنَوِيَّاتِهِمْ.

رَجَعَتْ قُرَيْشٍ إِلَى مَكَّةَ وَلَمْ تَظْفَرْ بِكُلِّ الَّذِي كَانَتْ تُرِيدُ، وَإِنْ أَوْهَمَتْ نَفْسَهَا أَنَّهَا حَصَلَتْ عَلَى شَيْءٍ كَثِيرٍ، وَضَخَّمَتْ مَا حَقَّقَتْهُ، وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّهَا شَحَنَتْ أَفْرَادَهَا بِأَحْقَادٍ عَظِيمَةٍ وَكَانَ كُلُّ رِجَالاَتِهَا يَتَمَنَّوْنَ أَنْ يَغْنَمُوا شَيْئَاً مِنَ المُسْلِمِينَ أَوْ تَقَعَ أَيْدِيهُمْ عَلَى بَعْضِ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا كَانَتْ حَادِثَةُ الرَّجِيعِ فِي السَّنَةِ الثَّالِثَةِ لِلْهِجْرَةِ، وَغَدَرَتْ عَضَلُ وَالقَارَةُ بِبَعْضِ الصَّحَابَةِ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَسَاعَدَتْ هُذَيْلُ عَلَى ذَلِكَ، وَقَبَضَتْ عَلَى خُبَيْبِ بنِ عَدِيٍّ، وَزَيْدِ بنِ الدَّثِنَّةِ وَبَاعَتْهُمَا لِقُرَيْشٍ. فَكَانَتْ قُرَيْشٌ تَجْتَمِعُ

عِنْدَمَا تُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَ الوَاحِدَ مِنْهُمَا وَتَـرَى زُعَمَاءَهَـا فِي حَرَكَةٍ دَائِبَةٍ، وَصِيَاحٍ وَعُنْفٍ عَلَى المُزْمَعِ قَتْلُهُ، وَكَأَنَّهَا إِثْرَ حَرْبٍ، وَحَقَّقَتْ نَصْـرَاً مُـؤَزَّرَاً، وَظَفِـرَتْ مِنْ أَعْدَائِهَـا بِمَـا تُرِيدُ، وَالأَسْرَى بَيْنَ يَدَيْهَا تُرِيدُ الانْتِقَامَ مِنْهُمْ، وَكَانُـوا قَدْ فَجَعُوهَـا بِقَادَتِهَا، وَكَانَ عِكْرِمَةُ مَعَ زُعَمَاءِ قُرَيْشٍ فِي هَذَا التَّصَرُّفِ بَلْ عَلَى رَأْسِهِمْ.

خَرَّبَتْ قُرَيْشُ الأَحْـزَابَ، وَاتَّفَقَـتْ مَعَ قَبَائِـلِ غَطَفَـانَ، وَتَفَاهَمَـتْ مَعَ بَنِـي قُرَيْظَـةَ، وَهُـمْ مَنْ بَقِـيَ مِنَ اليَهُـودِ فِي المَدِينَةِ، وَعَمِلَ الجَمِيعُ عَلَى اسْتِئْصَالِ شَأْفَةِ المُسْلِمِينَ -عَلَى زَعْمِهِمْ- وَسَارَتْ قُرَيْشُ نَحْوَ المَدِينَةِ، وَالْتَقَتْ مَعَ غَطَفَانَ، وَتَقَدَّمُـوا نَحْـوَ هَدَفِهِـمْ غَيْرَ أَنَّهُـمْ وَجَـدُوا الخَنْـدَقَ أَمَامَهُمْ فَوَقَفُوا عِنْدَهُ غَيْرَ أَنَّ بَعْضَ فُرْسَانِ قُرَيْشٍ وَجَدُوا مَكَانَاً ضَيِّقَـاً مِنَ الخَنْدَقِ، فَضَرَبُوا خَيْلَهُـمْ فَاقْتَحَمَتْهُ وَمِنْهُمْ: عَمْرُو بـنُ عَبْدِوُدٍّ، وَعِكْرِمَةُ بنُ عَمْرٍ، وَهُبَيْرَةُ بنُ أَبِي وَهَبٍ، وَضِرَارُ بنُ الخَطَّابِ بنُ مِرْدَاسَ، فَتَصَدَّى لَهُمْ عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِـبٍ فِي نَفَرٍ مِنَ المُسْلِمِينَ، وَبَرَزَ عَلِيٌّ لِعَمْرِو بن عَبْدِوُدٍّ وَقَتَلَـهُ، فَوَلَّـتْ خَيْلُ المُشْرِكِينَ هَارِبَةً مُقْتَحِمَةً الخَنْدَقَ مِنْ حَيْثُ أَتَـتْ، وَأَلْقَـى يَوْمَئِذٍ عِكْرِمَةُ بنُ عَمْرٍ رمْحَهُ مُنْهَزِماً عَنْ عَمْرِو بن عَبْدِوُدٍّ حَتَّى قَالَ حَسَّانُ بنُ ثَابِتٍ.

فَــرَّ وَأَلْقَــى لَنَــا رُمْحَهُ
لَعَلَّكَ عِكْرِمَ لَمْ تَفْعَلِ

وَوَلَّيْتَ تَعْدُو كَعَدْوِ الظَّلِيمِ مَا إِن تَجُورُ عَنِ المَعْدِلِ
وَلَــمْ تُلْــقِ ظَهْــرَكَ مُسْتَأْنِساً
كَأَنَّ قَفَــاكَ قَفَــا فُرْعُلِ

وَخَذَلَ اللَّهُ المُشْرِكِينَ وَأَلْقَى الرُّعْبَ فِي نُفُوسِ بَنِي قُرَيْظَةَ فَافْتَرَقَ الشَّمْلُ، فَأَرْسَلَ أَبُو سُفْيَانَ وَرُؤُوسُ غَطَفَانَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ عِكْرِمَةَ بنَ عَمْرِ بنِ هِشَامٍ فِي نَفَرٍ مِنْ قُرَيْشٍ وَغَطَفَانَ لِيَسْتَحِثُّوهُمْ عَلَى القِتَالِ وَالغَدْرِ بِعَهْدِ مُحَمَّدٍ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمْ يَجِدُوا عِنْدَهُمْ مَا يُرِيدُونَ نَتِيجَةَ الخَوْفِ بَلْ طَلَبُوا رَهَائِنَ مِنْ قُرَيْشٍ، وَبِذَا انْفَرَطَ عَقْدُ الحِلْفِ، وَأَرْسَلَ اللَّهُ الرِّيحَ فَعَصَفَتْ بِخِيَامِ المُشْرِكِينَ، وَكَفَأَتْ قُدُورَهُمْ، وَجَعَلَتْهُمْ فِي شَرِّ مُقَامٍ فَمَا كَانَ لَهُمْ إِلاَّ أَنْ يَنْسَحِبُوا وَيُغَادِرُوا مَوْقِعَهُمْ مُتَّجِهِينَ إِلَى دِيَارِهِمْ.

وَبَدَأَتْ أَرْضُ العَرَبِ تَخْضَعُ لِلْمُسْلِمِينَ تَدْرِيجِياً، وَتَدِينُ بِالإِسْلاَمِ، وَتَنْتَشِرُ الدَّعْوَةُ عَلَى رَكَائِزَ ثَابِتَةٍ، وَجَاءَ دَوْرُ مَكَّةَ، وَآنَ وَقْتُ الفَتْحِ، وَسَارَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِأَصْحَابِهِ إِلَيْهَا فِي العَاشِرِ مِنْ رَمَضَانَ مِنَ السَّنَةِ الثَّامِنَةِ وَفَتَحَهَا غَيْرَ أَنَّ بَعْضَ المُشْرِكِينَ قَدْ تَجَمَّعُوا، وَجَمَعُوا حَوْلَهُمْ بَعْضَ

العَنَاصِرِ، وَأَرَادُوا المُقَاوَمَةَ، وَعَلَى رَأْسِهِمْ عِكْرِمَةُ بنُ عَمْرٍو، وَصَفْوَانُ بنُ أُمَيَّةَ، وَسُهَيْلُ بنُ عَمْرٍو، وَحَشَدُوا جَمْعَهُمْ فِي مَوقِعٍ يُقَالُ لَهُ الخَنْدَمَةَ، فَالتَقَى بِهِمْ خَالِدُ بنُ الوَلِيدِ بِمَنْ مَعَهُ مِنَ المُسْلِمِينَ فَشَتَّتَ شَمْلَهُمْ وفَرَّ مَنْ فَرَّ وَقُتِلَ مَنْ قُتِلَ، وَكَانَ مِمَّنْ فَرَّ رَجُلٌ اسْمُهُ حِمَاسُ بنُ قَيْسٍ فَقَدْ هَرَبَ إِلَى بَيْتِهِ، وَقَال لامْرَأَتِهِ: اغْلِقِي عَلَيَّ البَابَ، فَقَالَتْ: أَيْنَ مَا كُنْتَ تَقُولُ؟ فقَالَ:

إِنَّكِ لَوْ شَهِدْتِ يَوْمَ الخَنْدَمَهْ
إِذْ فَرَّ صَفْوَانُ وَفَرَّ عِكْرِمَهْ
وَأَبُو يَزِيدَ[1] قَائِمٌ كَالمُوتِمَهْ[2]
وَاسْتَقْبَلَتْهُمْ بِالسُّيُوفِ المُسْلِمَهْ
يَقْطَعْنَ كُلَّ سَاعِدٍ وَجُمْجُمَهْ
ضَرْبَاً فَلاَ يُسْمَعُ إِلاَّ غَمْغَمَهْ
لَهُمْ نَهِيتٌ[3] خَلْفَنَا وَهَمْهَمَهْ
لَمْ تَنْطُقِي بِاللَّوْمِ أَدْنَى كَلِمَهْ

لَقَدْ فَرَّ عِكْرَمَةُ إِلَى اليَمَنِ بَعْدَ هَزِيمَةِ يَوْمِ الخَنْدَمَةِ. وَكَانَ

---

(١) أبو يزيد: سهيل بن عمرو.
(٢) الموتمة: المرأة التي مات زوجها وخلّف لها أيتاماً.
(٣) النهيت: صوت الصدر.

رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَدْ عَهِدَ إِلَى أُمَرَائِهِ مِنَ المُسْلِمِينَ، حِينَ أَمَرَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوا مَكَّةَ، أَنْ لاَ يُقَاتِلُوا إِلاَّ مَنْ قَاتَلَهُمْ، إِلاَّ أَنَّهُ أَمَرَ بِقَتْلِ نَفَرٍ سَمَّاهُمْ، وَإِنْ وُجِدُوا تَحتَ أَسْتَارِ الكَعْبَةِ، وَمِنْهُمْ عِكْرِمَةُ بنُ عَمْرٍ.

## إِسْلاَمُ عِكْرِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَكَّةَ، وَعَفَا عَنْ أَهْلِهَا، وَبَدَأَ سُكَّانُهَا يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً، وَكَانَ مِمَّنْ أَسْلَمَ أُمُّ حَكِيمٍ بِنْتُ الحَارِثِ بنِ هِشَامٍ زَوْجُ عِكْرِمَةَ، كَمَا أَسْلَمَ أَبُوهَا الحَارِثُ بنُ هِشَامٍ يَوْمَذَاكَ.

جَاءَتْ أُمُّ حَكِيمٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَطَلَبَتْ مِنْهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْ زَوْجِهَا عِكْرِمَةَ، فَوَافَقَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رَحْمَةً بِهَا وَبِزَوْجِهَا، وَهُوَ بُعِثَ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وَحُبّاً لِلْخَيْرِ إِذْ كَانَ يُحِبُّهُ لِلنَّاسِ جَمِيعاً وَحَتَّى لأَعْدَائِهِ وَيَتَمَنَّى أَنْ يُسْلِمَ مَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعاً لِيُنْقِذَهُمْ مِنَ النَّارِ. فَلَحِقَتْ أُمُّ حَكِيم بِزَوْجِهَا، وَأَخْبَرَتْهُ بِإِعْطَاءِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الأَمَانَ لَهُ، فَعَادَ مَعَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَيُرْوَى أَنَّ عِكْرِمَةَ قَدْ وَصَلَ إِلَى البَحْرِ فَارّاً وَقَدْ رَكِبَهُ

فَـأَصَابَهُمْ عَاصِفٌ فَقَـالَ أَصْحَـابُ السَّفِينَـةِ: أَخْلِصُـوا فَإِنَّ آلِهَتَكُمْ لاَ تُغْنِي عَنْكُمْ هَا هُنَا شَيْئاً، فَقَالَ عِكْرِمَةُ: وَاللَّهِ لَئِنْ لَمْ يُنْجِنِي فِي البَحْـرِ إِلاَّ الإِخْـلاَص لاَ يُنْجِينِـي فِي البَـرِّ غَيْرُهُ، اللَّهُمَّ إِنَّ لَكَ عَلَيَّ عَهْداً إِنْ عَافَيْتَنِي مِمَّا أَنَا فِيهِ أَنْ آتِيَ مُحَمَّداً حَتَّى أَضَعَ يَدِي فِي يَدِهِ فَلاَ أَجِدَنَّهُ إِلاَّ عَفُوّاً كَرِيماً(١). وَلَمَّا جَاءَ عِكْرِمَةُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ لَهُ: أَهْلاً بِالرَّاكِبِ المُهَاجِرِ.

وَقَالَ عِكْرِمَةُ: يَا مُحَمَّـدُ إِنَّ هَذِهِ (وَأَشَـارَ إِلَـى أُمِّ حَكِيمٍ زَوْجِهِ) أَخْبَرَتْنِي أَنَّكَ أَمَّنْتَنِـي. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: صَدَقَتْ، فَأَنْتَ آمِنٌ. فَقَالَ عِكْرِمَةُ فَإِلَى مَا تَدْعُو؟ قَالَ: أَدْعُوكَ إِلَى أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُـولُ اللَّهِ، وَأَنْ تُقِيمَ الصَّلاَةَ وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ... وَعَدَّ عَلَيْهِ وَاجِبَاتُ الإِسْلاَمِ.... فَشَهِدَ عِكْرِمَـةُ شَهَـادَةَ الحَـقِّ، ثُمَّ قَالَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: تَقُولُ أُشْهِدُ اللَّهَ وَأُشْهِدَ مَنْ حَضَرَ أَنِّي مُسْلِمٌ مُهَاجِرٌ مُجَـاهِدٌ. فَقَالَ عِكْرِمَةُ ذَلِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لاَ تَسْأَلْنِـي اليَوْمَ شَيْئاً أُعْطِيهِ أَحَداً إِلاَّ أَعْطَيْتُـكَهُ، فَقَـالَ عِكْرِمَـةُ: فَإِنِّـي أَسْأَلُكَ أَنْ تَسْتَغْفِرَ لِي كُلَّ عَدَاوَةٍ عَادَيْتُكَهَا، أَوْ مَسِيرٍ وَضَعْتُ

---

(١) الإصابة.

فِيْهِ، أَوْ مُقَامٍ لَقِيتُكَ فِيْهِ، أَوْ كَلاَمٍ قُلْتُهُ فِي وَجْهِكَ، أَوْ أَنْتَ غَائِبٌ عَنْهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ كُلَّ عَدَاوَةٍ عَادَانِيهَا، وَكُلَّ مَسِيرٍ سَارَ فِيْهِ إِلَى مَوْضِعٍ يُرِيدُ بِذَلِكَ المَسِيرِ إِطْفَاءَ نُورِكَ، فَاغْفِرْ لَهُ مَا نَالَ مِنِّي مِن عِرْضٍ فِي وَجْهِي أَوْ أَنَا غَائِبٌ عَنْهُ. فَقَالَ عِكْرِمَةُ: رَضِيتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: أَمَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لاَ أَدَعُ نَفَقَةً كُنْتُ أُنْفِقُهَا فِي صَدٍّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِلاَّ أَنْفَقْتُ ضِعْفَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَلاَ قِتَالاً فِي صَدٍّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِلاَّ أَبْلَيْتُ ضِعْفَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

وَعَنْ أُمِّ المُؤْمِنِينَ أُمِّ سَلَمَةَ هِنْدٍ بِنْتِ أَبِي أُمَيَّةَ المَخْزُومِيَّةِ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رَأَيْتُ لأَبِي جَهْلٍ عِذْقاً فِي الجَنَّةِ» فَلَمَّا أَسْلَمَ عِكْرِمَةُ قَالَ: «يَا أُمَّ سَلَمَةَ هَذَا هُوَ»[1].

لَمَّا أَسْلَمَ عِكْرِمَةُ خَلَعَ عَنْ نَفْسِهِ كُلَّ آثَارِ الوَثَنِيَّةِ وَالجَاهِلِيَّةِ وَالشِّرْكِ حَتَّى ثِيَابَهُ الَّتِي كَانَ يَلْبَسُهَا لَمْ يَعُدْ يَطِيقُ رُؤْيَتَهَا، وَيُقَالُ: إِنَّهُ لَمْ يَرْتَكِبْ مَعْصِيَةً بَعْدَ أَنْ أَسْلَمَ.

أَقَامَ عِكْرِمَةُ فِي مَكَّةَ وَانْصَرَفَ لِلتَّعْوِيضِ عَمَّا فَاتَهُ مِنَ

---

(١) الإصابة.

الإِسْلاَمِ ، وَفِي رِوَايَةٍ أَنَّهُ ارْتَحَلَ إِلَى المَدِينَةِ. وَفِي حَجَّةِ الوَدَاعِ اسْتَعْمَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلَى صَدَقَاتِ هَوَازِنَ، وَتُوفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعِكْرِمَةُ فِي تَبالَةَ.

## مَعَ الخَلِيفَةِ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

بَايَعَ المُسْلِمُونَ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، خَلِيفَةً لَهُمْ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. غَيْرَ أَنَّ العَرَبَ قَدِ ارْتَدَّتْ وَلَمْ يَثْبُتْ عَلَى الإِسْلاَمِ سِوَى مَكَّةَ وَالمَدِينَةِ والطَّائِفِ، وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ بَعَثَ أَبُو بَكْرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، جَيْشَ أُسَامَةَ إِلَى أَطْرَافِ الشَّامِ لأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ قَدْ جَهَّزَهُ وَمَا كَانَ لأَبِي بَكْرٍ أَنْ يُوقِفَ مَا حَرَصَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلَى بَعْثِهِ. وَلَمَّا رَجَعَ جَيْشُ أُسَامَةَ أَعَدَّ أَبُو بَكْرٍ الجُيُوشَ لِلْمُرْتَدِّينَ وَاخْتَارَ لَهَا القَادَةَ المَعْرُوفِينَ، وَكَانَ مِنْ بَيْنِهِمْ عِكْرِمَةُ بنُ عَمْرٍ.

### حَرْبُ الْمرتَدِّينَ:

أَرْسَلَ الصِّدِّيقُ إِلَى اليَمَامَةِ عِكْرِمَةَ بنَ عَمْرٍ حَيْثُ كَانَ مُسَيْلَمَةُ الكَذَّابُ هُنَاكَ قَدِ ارْتَدَّ وَادَّعَى النُّبُوَّةَ، وَطَلَبَ الصِّدِّيقُ

مِنْ عِكْرِمَةَ أَلاَّ يَبْدأَ القِتَالَ حَتَّى يَصِلَ إِلَيْهِ شُرَحْبِيلُ بنُ حَسَنَةَ بِالمَدَدِ، غَيْرَ أَنَّ عِكْرِمَةَ عَجَّلَ بِالحَرْبِ وَأَرَادَ الوُصُولَ إِلَى حَجْرِ اليَمَامَةِ عَنْ طَرِيقِ ثَنْيَةِ (دِيرَاب) وَلَكِنْ لَمْ يَتمَكَّنْ لِقُوَّةِ بَنِي حَنِيفَةَ حَيْثُ كَانُوا فِي أَرْبَعِينَ أَلْفاً مِنَ المُقَاتِلَةِ، فَنَالَ عِكْرِمَةَ وَمَنْ مَعَهُ قَرْحٌ مِنْ مُسْيَلَمَةَ، وَجَاءَ شُرَحْبِيلُ وَلَمْ يَتمَكَّنَا مِنَ التَّقَدُّمِ أَيْضاً حَتَّى جَاءَ خَالِدُ بنُ الوَلِيدِ وَقَهَرَ مُسَيْلَمَةَ، وَدَخَلَ اليَمَامَةَ، وَقُتِلَ مُسَيْلَمَةُ الكَذَّابُ.

وَكَانَ لَقِيطُ بنُ مَالِكٍ الأَزْدِيُّ (الجُلَنْدَى) قَدْ تَنَبَّأَ فِي عُمَانَ، وَتَغَلَّبَ عَلَى (جَيْفَرٍ) وَ (عَبْدٍ) وَأَلْجَأَهُمَا إِلَى أَطْرَافِ البِلاَدِ، فَبَعَثَ (جَيْفَرُ) إِلَى الصِّدِّيقِ بِالخَبَرِ، فَبَعَثَ لَهُ حُذَيْفَةَ بنَ مِحْصَنٍ الحِمْيَرِيَّ، وَعَرْفَجَةَ البَارِقِيَّ. وَكَتَبَ الصِّدِّيقُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إِلَى عِكْرِمَةَ فِي اليَمَامَةِ يَلُومُهُ عَلَى تَسَرُّعِهِ، وَقَالَ لَهُ: لاَ أَرَيَنَّكَ وَلاَ أَسْمَعَنَّ بِكَ إِلاَّ بَعْدَ بَلاَءٍ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَلْحَقَ بِحُذَيْفَةَ وَعَرْفَجَةَ إِلَى عُمَانَ، وَكُلٌّ مِنْكُمْ أَمِيرٌ عَلَى جَيْشِهِ، وَحُذَيْفَةُ مَا دُمْتُمْ بِعُمَانَ فَهُوَ أَمِيرُ النَّاسِ، فَإِذَا فَرَغْتُمْ فَاذْهَبُوا إِلَى (مَهْرَةَ)، فَإِذَا فَرَغْتُمْ فَاذْهَبْ إِلَى اليَمَنِ وَحَضْرَمُوتَ فَكُنْ مَعَ المُهَاجِرِ بنِ أَبِي أُمَيَّةَ، وَمَنْ لَقِيتَهُ مِنَ المُرْتَدَّةِ بَيْنَ عُمَانَ إِلَى حَضْرَمُوتَ وَاليَمَنِ فَنَكِّلْ بِهِ.

سَارَ عِكْرِمَةُ لِمَا أَمَرَهُ بِهِ الصِّدِّيقُ فَلَحِقَ حُذَيْفَةَ وَعَرْفَجَةَ قَبْلَ

أَنْ يَصِلاَ إِلَى عُمَانَ، وَقَدْ كَتَبَ إِلَيْهِمَا الصِّدِّيقُ: أَنْ يَنْتَهِيَا إِلَى رَأْيِ عِكْرِمَةَ بَعْدَ الفَرَاغِ مِنَ السَّيْرِ إِلَى عُمَانَ أَوْ المُقَامِ بِهَا. فَسَارُوا، فَلَمَّا اقْتَرَبُوا مِنْ عُمَانَ رَاسَلُوا (جَيْفَراً)، وَبَلَغَ لَقِيطَ بنَ مَالِكٍ مَجِيءُ الجَيْشِ، فَخَرَجَ فِي جُمُوعِهِ وَعَسْكَرَ فِي (دَبَا)، وَاجْتَمَعَ (جَيْفَرُ) وَ (عَبْدُ) في (صُحَارٍ) فَعَسَكَرَا بِهِ، وَبَعَثَا إِلَى أُمَرَاءِ الصِّدِّيقِ فَقَدِمُوا عَلَى المُسْلِمِينَ، وَتَقَابَلَ الطَّرَفَانِ، وَنَصَرَ اللَّهُ عِبَادَهُ وَهَزَمَ الكُفَّارَ.

وَلَمَّا فَرَغَ المُسْلِمُونَ مِنْ عُمَانَ سَارَ عِكْرِمَةُ بِالنَّاسِ إِلَى بِلاَدِ (مَهْرَةَ) بِمَنْ مَعَهُ مِنَ الجُيُوشِ وَمَنْ أُضِيفَ إِلَيْهَا، فَوَجَدَ أَهْلَ (مَهْرَةَ) قِسْمَيْنِ: قِسْمٌ وَهُوَ الأَكْثَرُ عَدَداً مَعَ زَعِيمٍ يُدْعَى (المُصَبِّحَ)، وَالقِسْمُ الآخَرُ مَعَ رَجُلٍ يُسَمَّى (شِخْرِيتَ) فَرَاسَلَ عِكْرِمَةُ (شِخْرِيتَ) فَأَجَابَهُ وَانْضَمَّ إِلَيْهِ، فَضَعُفَ بِذَلِكَ أَمْرُ (المُصَبِّحِ) فَبَعَثَ إِلَيْهِ عِكْرِمَةُ يَدْعُوهُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فَأَخَذَتْهُ العِزَّةُ بِالإِثْمِ، وَغَرَّتْهُ قُوَّتُهُ، فَسَارَ إِلَيْهِ عِكْرِمَةُ فَانْتَصَرَ عَلَيْهِ وَقَتَلَهُ - بِإِذْنِ اللَّهِ - وَغَنِمَ الكَثِيرَ، فَخَمَّسَ الغَنَائِمَ وَبَعَثَ الخُمْسَ إِلَى الصِّدِّيقِ مَعَ (شِخْرِيتَ)، وَعَادَ أَهْلُ (مَهْرَةَ) إِلَى الإِسْلاَمِ.

سَارَ عِكْرِمَةُ إِلَى اليَمَنِ بَعْدَ أَنِ انْتَهَى مِنْ (مَهْرَةَ) فَوَجَدَ أَنَّ

المُهَاجِرَ بنَ أَبِي أُمَيَّةَ قَدْ أَنْهى أَمْرَ اليَمَنِ ، فَعَادَ عِكْرِمَةُ إِلَى المَدِينَةِ .

## فُتُوحُ الشَّامِ :

بَعْدَ أَنْ قَضَى الخَلِيفَةُ الصِّدِّيقُ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَلَى المُرْتَدِّينَ اتَّجَهَ إِلَى أَطْرَافِ الجَزِيرَةِ لِيَقْضِيَ عَلَى الظُّلْمِ القَائِمِ هُنَاكَ وَالَّذِيْ يَحُولُ دُون نَشْرِ الدَّعْوَةِ ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَدْ بَعَثَ الكُتُبَ إِلَى مُلُوكِ وَأُمَرَاءِ تِلْكَ الجِهَاتِ فَلَمْ يُلَبُّوا الدَّعْوَةَ وَلَمْ يُقْلِعُوا عَنِ الظُّلْمِ .

وَجَّهَ أَبُو بَكْرٍ الجُيُوشَ إِلَى العِرَاقِ وَالشَّامِ ، وَكَانَ عِكْرِمَةُ قَدِ اخْتِيرَ لِيَكُونَ بَيْنَ الجُنْدِ المُتَحَرِّكَةِ نَحْوَ الشَّامِ .

بَعَثَ أَبُو بَكْرٍ أَرْبَعَةَ جُيُوشٍ إِلَى الشَّامِ ، وَكَانَ أُمَرَاؤُهَا : أَبُو عُبَيْدَةَ بنُ الجَرَّاحِ ، وَيَزِيدُ بنُ أَبِي سُفْيَانَ ، وَشُرَحْبِيلُ بنُ حَسَنَةَ ، وَيَضُمُّ كُلُّ جَيْشٍ مِنْ خَمْسَةِ إِلَى سِتَّةِ آلآفِ مُقَاتِلٍ إِلاَّ جَيْشَ يَزِيدَ فَإِنَّهُ كَانَ يَضُمُّ سَبْعَة آلآفٍ لأَنَّ جِهَتَهُ دِمَشْقُ مَقَرُّ الحُكْمِ الرُّومَانِيِّ . وَيُضَافُ إِلَى هَذِهِ القُوَّاتِ فِرْقَةٌ احْتِيَاطِيَّةٌ تَضُمُّ أَيْضاً سِتَّةَ آلآفٍ عَلَى رَأْسِهَا عِكْرِمَةُ بنُ عَمْرٍ ، وَتُرَابِطُ جَنُوبَ

بِلاَدِ الشَّامِ لِتَتَدَخَّلَ فِي المَعْرَكَةِ فِي الوَقْتِ المُنَاسِبِ، وَالمَكَانِ المَطْلُوبِ دَعْمُهُ.

حَشَدَ الرُّومُ قُوَّاتٍ ضَخْمَةً لِمُوَاجَهَةِ المُسْلِمِينَ، فَتَجَمَّعَتِ الجُيُوشُ الإِسْلاَمِيَّةُ وَطَلَبَتْ مِنَ الخَلِيفَةِ الدَّعْمَ، فَأَمَرَ الخَلِيفَةُ أَنْ يَنْضَمَّ عِكْرِمَةُ إِلَى إِخْوَانِهِ وَأَنْ يَسِيرَ إِلَيْهِمْ خَالِدُ مِنَ العِرَاقِ بِجُزْءٍ مِنْ قُوَّاتِهِ هُنَاكَ.

الْتَقَى المُسْلِمُونَ بِالرُّومِ فِي مَيْدَانِ اليَرْمُوكِ، وَقَسَّمَ خَالِدُ بنُ الوَلِيدِ قَائِدُ المُسْلِمِينَ يَوْمَذَاكَ الخَيَّالَةَ إِلَى كَتَائِبَ وَأَوْكَلَ إِلَى كُلِّ كَتِيبَةٍ دَعْمَ لِوَاءٍ. فَكَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ فِي القَلْبِ وَتَدْعَمُهُ كَتِيبَةُ القَعْقَاعِ بنِ عَمْرٍ التَّمِيمِيِّ مِنْ المَيْمَنَةِ وَكَتِيبَةُ عِكْرِمَة بنِ عَمْرٍ المَخْزُومِيِّ مِنَ المَيْسَرَةِ. وكَتِيبَةُ خَالِدٍ وَالحَرَسُ المُتَحَرِّكُ تَدْعَمُ لِوَاءَ عَمْرِو بنِ العَاصِ، وَهُوَ عَلَى المَيْمَنَةِ، وكَتِيبَةُ قَيْسِ بنِ هُبَيْرَةَ تَدْعَمُ لِوَاءَ يَزِيدَ بنِ أَبِي سُفْيَانَ، وَهُوَ عَلَى المَيْسَرَةِ.

وَكَانَتْ مُهِمَّةُ كَتِيبَةِ عِكْرِمَةَ أَيْضاً أَنْ تَدعَمَ لِوَاءَ يَزِيدَ إِذَا دَعَتِ الحَاجَةُ إِلَى ذَلِكَ، كَمَا يَدْعَمُ القَعْقَاعُ لِوَاءَ عَمْرٍ. وَقَدِ اشْتَدَّ الهُجُومُ الرُّومِيُّ فِي اليَوْمِ الرَّابِعِ مِنَ المَعْرَكَةِ عَلَى مَيْسَرَةِ المُسْلِمِينَ حَيْثُ يُوجَدُ لِوَاءَ يَزِيدَ فَدَعَمَهُ عِكْرِمَةُ بِبَسَالَةٍ وَصَمَدَ لِلأَعْدَاءِ. وَقَالَ: مَنْ يُبَايِعُنِي عَلَى المَوْتِ، فَبَايَعَهُ عَمُّهُ

الحَارِثُ بنُ هِشَامٍ ، وَضِرَارُ بـنُ الأَزْوَرِ وَعَدَدٌ مِنْ فُرْسَـانِ المُسْلِمِينَ فَانْطَلَقَ بِهِمْ حَتَّى أَزَاحَ الرُّومَ عَنْ مَوَاقِعِهِمْ، وَقَـدِ اسْتُشْهِدَ، رَضِـيَ اللَّـهُ عَنْـهُ، يَوْمَـذَاكَ، كَمَـا اسْتُشْهِـدَ عَمُّـهُ الحَارِثُ، وَضِرَارُ بنُ الأَزْوَرِ. وَقَدْ وُجِـدَ فِي عِكْرِمَـةَ بِضْـعٌ وَسَبْعُونَ مَا بَيْنَ ضَرْبَةٍ وَرَمْيَةٍ وَطَعْنَةٍ.

كَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُكَنَّى بِأَبِي عُثْمَانَ، وَلَيْسَ لَهُ عَقِبٌ.

وَقَدْ حَرَصْتُ أَنْ أَذْكُرَ اسْمَ عِكْرِمَةَ وَاسْمَ أَبِيهِ، وَلَمْ أَتَعَرَّضْ لِلَقَبِ أَبِيهِ الَّذِي عَـرَفَـهُ المُسْلِمُونَ بِهِ، وَهُوَ «أَبُو جَهْلٍ» لأَنَّ فِيهِ شَتِيمَةً، وَقَدْ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَنْ سَبِّ أَبِيهِ قَائِلاً: «لاَ تَسُبُّوا أَبَاهُ فَإِنَّ سَبَّ المَيِّتِ يُـؤْذِي الحَيَّ وَلاَ يَبْلُغَ المَيِّتَ». لَمْ أَذْكُرْ كَلِمَةَ (أَبَا جَهْلٍ) عِنْـدَ التَّعْـرِيفِ بِعِكْرِمَةَ، أَمَّا عَدَا ذَلِكَ فَلاَ أَذْكُرُهُ إِلاَّ فِي الاسْمِ الَّذِي عَرَفَـهُ المُسْلِمُونَ بِهِ، فَلاَ أَقُولَ إِلاَّ أَبَا جَهْلٍ.

وَأَخِيراً فَإِنَّ عِكْرِمَةَ بنَ عَمْرِ بنِ هِشَامٍ كَانَ لَهُ دَوْرٌ فِي القَضَاءِ عَلَى المُرْتَدِّينَ وَإِعَادَةِ جَزِيرَةِ العَرَبِ إِلَى حَوْزَةِ الإِسْلاَمِ، كَمَا كَانَ لَهُ دَوْرٌ فِي الفَتْحِ وَنَشْرِ الإِسْلاَمِ إِضَافَةً إِلَى السُّلُـوكِ المُسْـتَقِيمِ الَّذِيْ امْتَازَ بِهِ بَعْدَ إِسْلاَمِهِ فَهُوَ فِعْلاً أَحَدُ بُنَاةِ دَوْلَةِ الإِسْلاَمِ الَّتِي شَعَّ مِنْهَا الخَيْرُ إِلَى العَالَمِ أَجْمَع.

بُنَاة دَوْلَةِ الإِسْلام

- ٤٣ -

# شُرَحْبيل بن حَسَنَة

رضي الله عنه

هُـوَ شُرَحْبِيلُ بنُ عَبْدِ اللَّهِ بـنِ المُطَاحِ بـنِ عَـمْرٍ بـنِ كِنْدَةَ، حَلِيفُ بَنِي زُهْرَةَ، وَيُكَنَّى أَبَا عَبْدِ اللَّهِ.

أَمَّا أَمُّهُ فَهِيَ حَسَنَـةُ، وَيُنْسَـبُ لَهَـا، وَهِـيَ عَدَوِيَّةٌ. وَقَـدْ تَزَوَّجَتْ سُفْيَانَ بنَ مَعْمَرٍ بنِ حَبِيبٍ بنِ حُذَافَةَ بنِ جُمَحٍ. وكَانَ لَهُ مِنْهَا خَالِدٌ وَجُنَادَةُ ابْنَا سُفْيَانَ. وَمِنْ هُنَا كَانَ مِنَ المُؤَرِّخِينَ مَنْ يَضَعَهُ فِي عِدَادِ بَنِي زُهْرَةَ مَا دَامَ حَلِيفاً لَهُمْ، وَمَنْ يَضَعَهُ فِي بَنِي جُمَحٍ مَا دَامَ قَدْ عَاشَ بَيْنَهُمْ.

وُلِدَ شُرَحْبِيلُ فِي السَّنَةِ التَّاسِعَةِ وَالأَرْبَعِينَ قَبْلَ الهِجْرَةِ، فَهُوَ أَصْغَـرُ مِنْ رَسُـولِ اللَّـهِ، صَلَّـى اللَّـهُ عَلَيْهِ وَسَلَّـمَ، بِأَرْبَـعِ سَنَوَاتٍ، وَقَدْ كَانَ هَادِئاً قَلِيلَ الكَلاَمِ، كَثِيرَ الحَيَاءِ، شُجَاعاً، وَلَمْ تُعْرَفْ شَجَـاعَتُهُ إِلاَّ عِنْدَمَـا خَاضَ المَعَـارِكَ، وَقَـدْ قُدِّمَ بَعْدَهَا.

أَسْلَمَ فِي وَقْتٍ مُبكِّرٍ، وَرُبَّمَا كَانَ إِسْلاَمُهُ فِي السَّنَةِ الثَّالِثَةِ

لِلْبِعْثَةِ، وَقَدْ هَاجَرَ إِلَى الحَبَشَةِ مَعَ المَجْمُوعَةِ الثَّانِيَةِ الَّتِي انْطَلَقَتْ مَعَ جَعْفَرِ بن أَبِي طَالِبٍ، وَبَعْدَهُ، وَبَقِيَ فِي الحَبَشَةِ مَعَ أُمِّهِ وَزَوْجِهَا سُفْيَانَ بن مَعْمَرٍ، وَأَخَوَيْهِ مِنْهَا خَالِدٍ وَجُنَادَةَ ابْنَيْ سُفْيَانَ.

وَكَانَ فِيمَنَ هَاجَرَ إِلَى الحَبَشَةِ عُبَيْدُ اللَّهِ بنُ جَحْشٍ ابنُ عَمَّةِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَعَهُ زَوْجُهُ أُمُّ حَبِيبَةَ رَمْلَةُ بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ، غَيْرَ أَنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ قَدِ ارْتَدَّ هُنَاكَ وَتَنَصَّرَ، فَفَارَقَتْهُ زَوْجُهُ أُمُّ حَبِيبَةَ وَتَمَسَّكَتْ بِعَقِيدَتِهَا، فَأَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِكْرَامَهَا لِمُحَافَظَتِهَا عَلَى دِينِهَا، فَطَلَبَ مِنَ النَّجَاشِيِّ أَنْ يَخْطِبَهَا لَهُ فَقَامَ بِالدَّوْرِ، وَأَمْهَرَهَا، وَكَانَ خَالِدُ بنُ سَعِيدِ بنِ العَاصِ وَلِيَّ أَمْرِهَا، وَانْتَقَلَتْ إِلَى المَدِينَةِ مَعَ شُرَحْبِيلَ بنِ حَسَنَةَ وَوَالِدَتِهِ.

وَصَلَ شُرَحْبِيلُ وَمَنْ مَعَهُ إِلَى المَدِينَةِ، وَسُرَّ بِلِقَاءِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَعْدَ غِيَابٍ دَامَ مَا يَقْرُبُ مِنْ عَشْرِ سَنَوَاتٍ، كَمَا سُرَّ بِلِقَاءِ إِخْوَانِهِ المُؤْمِنِينَ، فَعَاشَ مَعَهُمْ بِسَعَادَةٍ وَشَارَكَهُمْ فِي كُلِّ المُشْكِلَاتِ الَّتِي تَعْتَرِضُهُمْ، وَكَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي كُلِّ الغَزَوَاتِ الَّتِي غَزَاهَا فَظَهَرَتْ شَجَاعَتُهُ وَتَضْحِيَتُهُ، وَظَهَرَ إِقْدَامُهُ وَعَبْقَرِيَّتُهُ

فِي الحُرُوبِ، وَبَقِيَ، رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، هَادِئاً صَامِتاً فِي كُلِّ تَصرُّفَاتِهِ، وَتُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ عَنْهُ رَاضٍ.

وَتَولَّى أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَمْرَ المُسْلِمِينَ، وَلَكِنَّ العَرَبَ قَدِ ارْتَدَّتْ، فَوَجَّهَ الصِّدِّيقُ لِكُلِّ جَمَاعَةٍ مِنْهُمْ جَيْشاً اخْتَارَ لَهُ قَائِداً مُحَنَّكاً، وَكَانَ شُرَحْبِيلُ مِمَّنْ وَقَعَ عَلَيْهِمُ الاخْتِيَارُ حَيْثُ بَعَثَهُ عَلَى رَأْسِ جَيْشٍ لِدَعْمِ عِكْرِمَةَ بنِ عَمْرِو بنِ هِشَامٍ الَّذِي سَارَ لِلْقَضَاءِ عَلَى مُسَيْلَمَةَ الكَذَّابِ الَّذِي ارْتَدَّ وَتَنَبَّأَ فِي بَنِي حَنِيفَةَ فِي اليَمَامَةِ، وَطَلَبَ الخَلِيفَةُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مِنْ عِكْرِمَةَ أَلاَّ يُنْشِبَ القِتَالَ حَتَّى يَصِلَ إِلَيْهِ شُرَحْبِيلُ، غَيْرَ أَنَّهُ تَعَجَّلَ فَنُكِبَ، وَطَلَبَ الخَلِيفَةُ مِنْ شُرَحْبِيلَ أَلاَّ يَبْدَأَ الحَرْبَ مَعَ بَنِي حَنِيفَةَ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ خَالِدُ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَلْتَحِقَ بِجُنْدِ خَالِدٍ، غَيْرَ أَنَّهُ تَعَجَّلَ أَيْضاً فَنُكِبَ، فَفَعَلَ فِعْلَ عِكْرِمَةَ، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِ خَالِدُ لاَمَهُ.

كَتَبَ الصِّدِّيقُ إِلَى شُرَحْبِيلَ: إِذَا قَدِمَ عَلَيْكَ خَالِدُ، ثُمَّ فَرَغْتُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فَالْحَقْ بِقُضَاعَةَ حَتَّى تَكُونَ أَنْتَ وَعَمْرُو بنُ العَاصِ عَلَى مَنْ أَبَى مِنْهُمْ وَخَالَفَ.

وَانْتَهَى أَمْرُ اليَمَامَةِ، وَسَارَ شُرَحْبِيلُ إِلَى بِلاَدِ قُضَاعَةَ غَيْرَ أَنَّ

الصِّدِّيقَ قَدْ نَدَبَ النَّاسَ مَعَهُ، وَاسْتَعْمَلَهُ عَلَى عَمَلِ الوَلِيدِ بنِ عُقْبَةَ، وَهُوَ إِمْرَةُ الأُرْدُنِ وَقَدْ كَانَ عَلَى نِصْفِ صَدَقَاتِ قُضَاعَةَ، وَسَارَ شُرَحْبِيلُ إِلَى الأُرْدُنِ وَكَانَ هَذَا المَسِيرُ لِفَتْحِ بِلاَدِ الشَّامِ مَعَ إِخْوَانِهِ أَبِي عُبَيْدَةَ بنِ الجَرَّاحِ، وَيَزِيدَ بنِ أَبِي سُفْيَانَ، وَعَمْرِو بنِ العَاصِ.

نَزَلَ شُرَحْبِيلُ فِي البَلْقَاءِ (مَنْطِقَةِ عَمَّانَ اليومَ)، غَيْرَ أَنَّ الرُّومَ لَمَّا بَلَغَهُمْ مَسِيرُ المُسْلِمِينَ إِلَى الشَّامِ حَشَدُوا حُشُوداً ضَخْمَةً، وَكَانَ عَلَى المُسلِمِينَ أَنْ تَجْتَمِعَ جُيُوشُهُمْ، وَتَوَاعَدُوا عَلَى اللِّقَاءِ فِي مَنْطِقَةِ اليَرْمُوكِ، وَفِي الوَقْتِ نَفْسِهِ طَلَبُوا المَدَدَ مِنَ الخَلِيفَةِ، فَأَمَرَ الصِّدِّيقُ خَالِدَ بنَ الوَلِيدِ أَنْ يَنْتَقِلَ بِجُزْءٍ مِمَّنْ مَعَهُ فِي العِرَاقِ إِلَى الشَّامِ، وَأَنْ يَتولَّى قِيَادَةَ المَعْرَكَةِ، كَمَا أَمَرَ عِكْرِمَةَ بنَ عَمْرِو بنِ هِشَامٍ أَنْ يَنْضَمَّ إِلَى إِخْوَانِهِ بِقُوَاتِهِ الاحْتِيَاطِيَّةِ، كَمَا نَدَبَ النَّاسَ إِلَى الجِهَادِ وَالسَّيْرِ إِلَى الشَّامِ.

وَصَلَ خَالِدُ بنُ الوَلِيدِ إِلَى مَكَانِ الْتِقَاءِ الجُيُوشِ الإِسْلامِيَّةِ عَلَى الضِّفَّةِ اليُمْنَى لِنَهْرِ اليَرْمُوكِ، وَتَوَلَّى أَمْرَ القِيَادَةِ.

قَسَّمَ خَالِدُ الجَيْشَ الإِسْلاَمِيَّ فَكَانَ عَمْرُو بنُ العَاصِ عَلَى المَيْمَنَةِ، وَعَلَى جَنَاحِهِ الأَيْسَرِ شُرَحْبِيلُ بنُ حَسَنَةَ، أَمَّا

القَلْبُ فَكَانَ بِإِمْرَةِ أَبِي عُبَيْدَةَ، وَكَانَ عَلَى المَيْسَرَةِ يَزِيدُ بنُ أَبِي سُفْيَانَ.

كَانَ ضَغْطُ الرُّومِ عَلَى مَيْمَنَةِ المُسْلِمِينَ لِوَاءِ عَمْرِو بنِ العَاصِ، وَكَانَ هَذَا الضَّغْطُ عَلَى أَشُدِّهِ فِي الأَيَّامِ الثَّانِي، وَالثَّالِثِ، وَالرَّابعِ مِنْ أَيَّامِ المَعْرَكَةِ، وكَانَ عَمْرُو يَضْطَرُّ أَحْيَاناً إِلَى التَّرَاجُعِ، ثُمَّ يَأْتِيهِ الدَّعْمُ مِنْ كَتِيبَةِ فُرْسَانِ خَالِدٍ وَالحَرَسِ المُتَحَرِّكِ الَّذِي يَقُودُهُ خَالِدُ أَيْضاً، وَيُصَدُّ الهُجُومُ الرُّومِيُّ. وَفِي اليَوْمِ الرَّابعِ تَرَاجَعَ عَمْرُو أَمَامَ السَّلافِ ثُمَّ صَمَدَ لَهُمْ، أَمَّا شُرَحْبِيلُ فَقَدْ تَرَاجَعَ أَمَامَ الأَرْمَنِ وَالنَّصَارَى العَرَبِ بِإِمْرَةِ جَبَلَةَ بنَ الأَيْهَمِ وَدَعَمَ خَالِدُ هَذَا الجَنَاحَ فَتَوَقَّفَ هُجُومُ العَدُوِّ، وَقَامَ المُسْلِمُونَ بِهُجُومٍ مُعَاكِسٍ انْتَهَى فِي اليَوْمِ الخَامِسِ بِهَزِيمَةِ الرُّومِ وَانْتِصَارِ المُسْلِمِينَ.

وَبَعْدَ اليَرْمُوكِ سَارَ المُسْلِمُونَ إِلَى دِمَشْقَ وَحَاصَرُوهَا وَنَزَل شُرَحْبِيلُ بنُ حَسَنَةَ عَلَى بَابِ السَّلَامِ وَبَابِ الفَرَادِيسِ (العَمَارَة)، وَأَخِيراً اضْطَرَّ الرُّومُ إِلَى التَّسْلِيمِ وَفَتْحِ أَبْوَابِ المَدِينَةِ لِلْمُسْلِمِينَ القَادِمِينَ.

وَبَعْدَ فَتْحِ دِمَشْقَ اتَّجَهَ كُلُّ أَمِيرٍ إِلَى الجِهَةِ المُعَيَّنَةِ لَهُ، فَسَارَ شُرَحْبِيلُ إِلَى الأُرْدُنِ، وَأَنْهَى فَتْحَ مَا بَقِيَ مِنْ جِهَاتٍ لَمْ

يَدْخُلْهَا المُسْلِمُونَ، كَمَا كَانَ عَلَيْهِ مُعَاوَنَةُ عَمْرِو بنِ العَاصِ فِي فِلِسْطِينَ، لِذَا كَانَ كَثِيراً مَا يَنْتَقِلُ إِلَيْهَا فَيُسَاعِدُ القُوَّاتِ فِيْهَا، كَمَا يَسِيرُ إِلَيْهَا عِنْدَمَا يَأْتِي أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ إِلَيْهَا، سَوَاءٌ أَجَاءَ لِلتَّفَقُّدِ أَمْ لاِسْتِلاَمِ بَيْتِ المَقْدِسِ وَفِي السَّنَةِ الثَّامِنَةِ عَشَرَةَ انْتَشَرَ مَرَضُ الطَّاعُونِ فِيْهَا، وَهُوَ الَّذِي عُرِفَ بِطَاعُونِ (عَمْوَاسَ)[1] حَيْثُ أَولَ مَا ظَهَرَ المَرَضُ فِيْهَا. وَكَانَ شُرَحْبِيلُ فِي فِلِسْطِينَ فَمَا كَانَ لَهُ أَنْ يَخْرُجَ مِنْهَا، فَرَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «إِذَا سَمِعْتُمْ بِهَذَا الوَبَاءِ فِي بَلَدٍ فَلاَ تُقْدِمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ وَأَنْتُمْ بِهِ فَلاَ تَخْرُجُوا فِرَاراً مِنْهُ».

أُصِيبَ شُرَحْبِيلُ بِالطَّاعُونِ، وَأَبُو عُبَيْدَةُ بِيَوْمٍ وَاحِدٍ، وَتُوُفِّيَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَعُمْرُهُ سَبْعٌ وَسِتُّونَ سَنَةً.

رَوَى حَدِيثَيْنِ، أَحَدُهُمَا ذَكَرَهُ ابْنُ مَاجَه فِي بَابِ الوُضُوءِ.

وَأَخِيراً فَإِنَّ شُرَحْبِيلَ كَانَ أَحَدَ الَّذِينَ غَادَرُوا دِيَارَهُمْ

---

(١) عمواس: بلدة تقع إلى الغرب من القدس، وعلى مقربةٍ منها، إذ لا تزيد المسافة بينهما على خمسة عشر كيلومتراً.

مُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. وَأَحَدَ الَّذِينَ قَضَوْا عَلَى حَرَكَةِ الرِّدَّةِ الَّتِي كَادَتْ تَعْصِفُ بِالدَّوْلَةِ الإِسْلامِيَّةِ، وَأَحَدَ الَّذِينَ جَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَكانَ لَهُمْ دَوْرٌ فِي فَتْحِ الشَّامِ فَهُوَ بِذَلِكَ أَحَدُ بُنَاةِ دَوْلَةِ الإِسْلَامِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ.

بُنَاة دَوْلَةِ الإسْلام

- ٤٤ -

# عَبْدُ اللهِ بنُ قَيْسٍ

## أبو مُوسى الأَشْعَرِيُّ

رضي الله عنه

هُـوَ عَبْـدُ اللَّهِ بـنُ قَيْسٍ بــنِ سُلَيْمٍ بنِ حَضَّارٍ بــنِ حَرْبٍ بنِ عَامِرٍ وَيَنْتَهِـي نَسَبُـهُ إلَـى كَهْـلاَنَ بـنِ سَبَإٍ بـن يَشْجُبٍ بنِ يَعْرُبٍ بنِ قَحْطَانَ.

أُمُّهُ ظَبْيَةُ بِنْتُ وَهَبٍ مِنْ قَبِيلَـةِ عَكٍّ، وَكَانَـتْ قَدْ أَسْلَمَـتْ بِالمَدِينَةِ وَمَاتَتْ بِهَا.

جَاءَ إلَى مَكَّةَ وَهُوَ فِي مُقْتَبَلِ العُمْـرِ حَيْثُ لَمْ يَكُنْ عُمْـرُهُ لِيَزِيدَ عَلَى أَرْبَعَةَ عَشَـرَ عَامـاً، فَحَـالَفَ سَعِيدَ بـنَ العَـاصِ الْمَعْرُوفِ بِأَبِي أُحَيْحَةَ الَّذِي كَانَ أَبْنَاؤُهُ خَالِدٌ وَعَمْرُو قَدْ أَسْلَمَا فَتَأَثَّرَ أَبُو مُوسَى بِهِمَا وَأَسْلَمَ، وَلَمَا قَسَا أَبُو أُحَيْحَةَ عَلَى وَلَدَيْهِ غَادَرَ أَبُو مُوسَى مَكَّةَ آيِباً إلى بَلَدِهِ فِي اليَمَـنِ، وَبَـدَأَ هُنَـاكَ يُعَرِّفُ بِإسْلاَمِهِ وَيَدْعُو النَّاسَ إلَيْهِ حَتَّى أَخَوَاهُ أَبُو رُهْمٍ، وَأَبُو بُرْدَةَ، وَهُمَا أَكْبَرُ مِنْهُ سِنّاً، كَمَا أَسْلَمَ عَدَدٌ آخَرُ مِنْ أَبْنَاءِ بَلَدِهِ، وَكَانَ أَبُو مُوسَى فِي ذَلِكَ يَتَقَصَّى أَخْبَارَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَخْبَارَ إِخْوَانِهِ المُؤْمِنِينَ، وَجَاءَتْـهُ الْمَعْلُومَـاتُ أَنَّ بَعْضَ الْمُسْلِمِينَ قَدْ هَاجَرَ إِلَى الحَبَشَةِ مِنَ ظُلْـمِ قُرَيْشٍ لَهُمْ، وَخَوْفاً مِنْ أَنْ تَفْتِنَهُمْ عَنْ دِينِهِمْ وَمِنْهِمْ خَالِدُ وَعَمْرُو ابْنَا سَعِيدِ بن العَاصِ فَرَغِبَ فِي اللَّحَاقِ بِهِمْ، فَرَكِبَ وَأَخَـوَاهُ وَآخَرُونَ مِنْ مُسْلِمِي بَلَدِهِ، يَجْعَلُهُمْ بَعْضُ الْمُؤَرِّخِينَ بِضْعَـاً وَخَمْسِينَ مُسْلِمَاً، سَفِينَةً قَادَتْهُمْ إِلَى سَاحِلِ الحَبَشَـةِ فَنَزَلُـوا هُنَاكَ حَيْثُ كَانَ المُهَاجِرُونَ الْمُسْلِمُونَ، وَتَخْتَلِفُ الرِّوَايَاتُ هُنَا، فَبَعْضُهَا يَجْعَلُ وُصولَهُمْ بَعْدَ وُصُولِ مُهَاجِرِي مَكَّةَ بِأَشْهُرٍ قَلِيلَةٍ، وَبَعْضُهَا يَجْعَلُ نُزولَهُمْ عَلَى سَاحِلِ الحَبَشَةِ فِي الوَقْتِ الَّذِيْ كَانَ فِيْهِ مُهَاجِرُو الحَبَشَةِ عَلَى السَّاحِلِ يَسْتَعِدُّونَ لِلسَّفَرِ إِلَـى رَسُـولِ اللَّـهِ، صَلَّـى اللَّـهُ عَلَيْهِ وَسَلَّـمَ، فِي المَدِينَـةِ، فَسَافَرُوا مَعَاً، وَهَذَا مَا نَمِيلُ إِلَيْهِ، وَفِـي كِلاَ الحَـالَتَيْنِ كَانَ وُصُولُ أَبِي مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ إِلَى المَدِينَةِ وَرَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي خَيْبَرَ قَدْ سَارَ لِفَتْحِهَا، وَهُنَاكَ مَنْ لاَ يَذْكُرُ هَذِهِ الأَخْبَارَ كُلَّهَا.

## مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وَصَلَ أَبُو مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ مَعَ جَعْفَرِ بنِ أَبِي طَالِبٍ إِلَـى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَعْدَ فَتْحِ خَيْبَـرَ بِثَلاَثَـةِ

أَيَّامٍ. وَقَدْ سُرَّ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِوُصُولِ جَعْفَرٍ، وَقَالَ لأَصْحَابِهِ: «يُقْدِمُ عَلَيْكُمْ غَداً قَوْمٌ هُمْ أَرَقُّ قُلُوباً لِلإِسْلاَمِ مِنْكُمْ» فَقَدِمَ الأَشْعَرِيُّونَ، فَلَمَّا دَنَوْا جَعَلُوا يَرْتَجِزُونَ:

غَداً نَلْقَى الأَحِبَّهْ مُحَمَّداً وَحِزْبَهْ

فَلَمَّا أَنْ قَدِمُوا تَصَافَحُوا، فَكَانُوا أَوَّلَ مَنْ أَحْدَثَ المُصَافَحَةَ(١).

وَصَحِبَ أَبُو مُوسَى رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ مَعَهُ فِي غَزَوَاتِهِ كُلِّهَا، وَقَدْ مَشَى مَعَهُ إِلَى فَتْحِ مَكَّةَ، وَانْطَلَقَ إِلَى حُنَيْنٍ، وَلَمَّا انْهَزَمَ الْمُشْرِكُونَ فِي حُنَيْنٍ أَتَوْا الطَّائِفَ، وَمَعَهُمْ مَالِكُ بنُ عَوْفٍ، وَعَسْكَرَ بَعْضُهُمْ بِأَوْطَاسٍ، وَتَوَجَّهَ بَعْضُهُمْ إِلَى نَخْلَةَ.

وَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَبَا عَامِرٍ الأَشْعَرِيَّ فِي آثَارِ مَنْ تَوَجَّهَ إِلَى أَوْطَاسٍ فَقَاتَلَهُمْ أَبُو عَامِرٍ، وَلَكِنَّهُ رُمِيَ بِسَهْمٍ فَقُتِلَ. فَجَاءَ أَبُو مُوسَى إِلَى أَبِي عَامِرٍ، وَهُوَ ابنُ عَمِّهِ، وَكَانَ مَعَهُ، وَقَالَ لَهُ: مَنْ رَمَاكَ؟ فَأَشَارَ إِلَيْهِ فَقَصَدَهُ

---

(١) أخرجه أحمد ٣/ ١٥٥ و ٢٢٣، وابن عساكر: ٤٥٦، وابن سعد ٤/ ١٠٦.

يَقُولُ أَبُو مُوسى: فَلَمَّا رَآنِي وَلَّى ذَاهِباً. فَجَعَلْتُ أَقُولُ لَهُ: أَلاَ تَسْتَحِي؟ أَلَسْتَ عَرَبِيًّاً؟ أَلاَ تَثْبُتُ؟ قَالَ: فَكَفَّ، فَالْتَقَيْتُ أَنَا وَهُوَ، فَاخْتَلَفْنَا ضَرْبَتَيْنِ، فَقَتَلْتُهُ. ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى أَبِي عَامِرٍ فَقُلْتُ: قَدْ قَتَلَ اللَّهُ صَاحِبَكَ. قَالَ: فَانْزِعْ هَذَا السَّهْمَ. فَنَزَعْتُهُ، فَنَزَا مِنْهُ المَاءُ. فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي، انْطَلِقْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَقْرِهِ مِنِّي السَّلاَمَ، وَقُلْ لَهُ: يَسْتَغْفِرُ لِي. وَاسْتَخْلَفَنِي أَبُو عَامِرٍ عَلَى النَّاسِ، فَمَكَثَ يَسِيراً، ثُمَّ مَاتَ. فَلَمَّا قَدِمْنَا، وَأَخْبَرْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تَوَضَّأَ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ يَوْمَ القِيَامَةِ فَوْقَ كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِكَ» فَقُلْتُ: وَلِي يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِ اللَّهِ بنِ قَيْسٍ ذَنْبَهُ، وَأَدْخِلْهُ يَوْمَ القِيَامَةِ مُدْخَلاً كَرِيماً»(١).

وَرَوَى أَبُو مُوسَى فَقَالَ: كُنْتُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِالجِعْرَانَةِ، فَأَتَى أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: أَلاَ تُنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي؟ قَالَ: «أَبْشِرْ» قَالَ: قَدْ أَكْثَرْتَ مِنَ البُشْرَى. فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيَّ وَعَلَى بِلاَلٍ، فَقَالَ: «إِنَّ هَذَا قَدْ رَدَّ البُشْرَى

---

(١) أخرجه البخاري ٨/ ٣٤ في المغازي باب غزوة أوطاس، ومسلم ٢٤٩٨ في فضائل الصحابة.

فَاقْبَلاَ أَنْتُمَا»، فَقَالاَ: قَبِلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَدَعَا بِقَدَحٍ، فَغَسَلَ يَدَيْهِ وَوَجْهَهُ فِيْهِ، وَمَجَّ فِيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «اشْرَبَا مِنْهُ، وَأَفْرِغَا عَلَى رُؤُوسِكُمَا وَنُحُورِكُمَا» فَفَعَلاَ! فَنَادَتْ أُمُّ سَلَمَةَ مِنْ وَرَاءِ السِّتْرِ: أَنْ فَضِّلاَ لأُمِّكُمَا، فَأَفْضَلاَ لَهَا مِنْهُ[1].

كَانَ أَبُو مُوسَى حَسَنَ الصَّوْتِ، حَسَنَ الأَدَاءِ، حَسَنَ التَّرْتِيلِ. قَالَ بُرَيْدَةُ: خَرَجْتُ لَيْلَةً مِنَ المَسْجِدِ، فَإِذَا النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عِنْدَ بَابِ المَسْجِدِ قَائِمٌ، وَإِذَا رَجُلٌ يُصَلِّي، فَقَالَ لِي: «يَا بُرَيدَةُ، أَتَرَاهُ يُرَائِي؟» قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «بَلْ هُوَ مُؤْمِنٌ مُنِيبٌ، لَقَدْ أُعْطِيَ مِزْمَاراً مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ» فَأَتَيْتُهُ، فَإِذَا هُوَ أَبُو مُوسَى؛ فَأَخْبَرْتُهُ[2].

وَرَوَى بُرَيْدَةُ فَقَالَ: جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَى المَسْجِدِ، وَأَنَا عَلَى بَابِ المَسْجِدِ، فَأَخَذَ بِيَدِي فَأَدْخَلَنِي المَسْجِدَ، فَإِذَا رَجُلٌ يُصَلِّي يَدْعُو، يَقُولُ: اللَّهُمَّ، إِنِّي أَسْأَلُكَ، بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ اللَّهُ، لاَ إِلَه إِلاَّ أَنْتَ الأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِيْ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ. قَالَ: «وَالَّذِيْ نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ سَأَلَ اللَّهَ بِاسْمِهِ الأَعْظَمِ، الَّذِيْ

---

(١) أخرجه البخاري ٨/ ٣٧، ومسلم ٢٤٩٧.
(٢) أخرجه مسلم.

إذَا سُئِـلَ بِهِ أَعْطَـى، وَإِذَا دُعِـيَ بِهِ أَجَـابَ». وَإِذَا رَجُلٌ يَقْرأ، فَقَالَ: «لَقَدْ أُعْطِيَ هَذَا مِزْمَـاراً مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أُخْبِرُهُ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ لِي: لاَ تَزَالُ لِي صَدِيقاً. وَإِذَا هُوَ أَبُو مُوسَى[1].

وَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّـهُ عَلَيْهِ وَسَلَّـمَ، أَبَـا مُوسَـى وَمُعَـاذاً إِلَى زَبِيدٍ وَعَدَنٍ وَذَلِكَ قَبْلَ حَجَّةِ الوَدَاعِ.

وَتُوفِّي رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّـى اللَّـهُ عَلَيْهِ وَسَلَّـمَ، وَهُـوَ عَنْـهُ رَاضٍ.

وَلأَبِي مُوسَى تِسْعَةٌ وَأَرْبَعُونَ حَدِيثاً فِي الصَّحِيحَيْنِ، تَفَرَّدَ البُخَارِيُّ بِأَرْبَعَةٍ مِنْهَا، وَمُسْلِمٌ بِخَمْسَةَ عَشَـرَ حَدِيثَـاً، وَاتَّفَقَـا عَلَى ثَلاَثِينَ مِنْهَـا. وَلَـهُ فِي مُسْنَـدِ بَقِيِّ بـنِ مَخْلَـدٍ ثَلاَثُمائَـةٍ وَسِتُّونَ حَدِيثاً.

قَالَ أَبُو مُوسَى: وَوُلِدَ لِي غُلاَمٌ، فَأَتَيْتُ بِهِ رَسُـولَ اللَّـهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَمَّاهُ إِبْرَاهِيمَ وَحَنَّكَهُ بِتَمْـرَةٍ. وَكَانَ أَكْبَرَ وَلَدِ أَبِي مُوسَى.

---

(١) أخرجه أحمد ٥/ ٣٤٩.

# مَعَ الخَلِيفَةِ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

لَمَّا تُوُفِّي رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّـهُ عَلَيْهِ وَسَلَّـمَ، كَانَ أَبُـو مُوسَى قَدْ بَلَغَ الثَّانِيَةَ وَالثَّلاَثِينَ مِنْ عُمْرِهِ، وَلَمْ تَكُنْ قَدْ عُرِفَتْ شَجَاعَتُهُ إِذْ لَمْ يَدْخُلْ غِمَارَ مَعَارِكَ جَرَى فِيهَا قِتَالٌ ضَارٍ كَغَزْوَةِ بَدْرٍ أَوْ أُحُدٍ إِذْ كَانَ يَوْمَهَا فِي الحَبَشَةِ، وَلَمْ يَجْرِ قِتَـالٌ قَاسٍ فِيمَا بَعْدُ فِي المَعَارِكِ الَّتِي اشْتَرَكَ فِيهَا مِثْلَ فَتْحِ مَكَّةَ، وَغَزْوَةِ تَبُوكَ و. . . وَلَكِنْ عُرِفَ فِي هَذِهِ المَرْحَلَةِ أَيَّامَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّـى اللَّـهُ عَلَيْهِ وَسَلَّـمَ، بِحُسْـنِ أَدَاءِ القُـرْآنِ الـكَرِيمِ، وَالصَّوْتِ الحَسَنِ، كَمَا بَرَزَ فِي مَعْرِفَتِهِ لِلأَحْكَامِ. فَلَمَّا تَوَلَّى أَبُو بَكْرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَانْطَلَقَتِ الجُيُوشُ انْخَرَطَ فِيهَـا، وَسَارَ لِلْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَكَانَ بَيْنَ الَّذِينَ اتَّجَهُوا نَحْـوَ العِرَاقِ، فَبَرَزَ يَوْمَهَا، وَظَهَـرَتْ شَجَاعَتُـهُ، وَبَـدَتْ كَفَاءَتُـهُ القِتَالِيَّةُ، وَكَانَتْ قَدْ تَقَدَّمَتْ سِنُّهُ، وَغَدَا مُؤَهَّلاً لِلْقِيَادَةِ، فَلَمَّا جَاءَتْ خِلاَفَةُ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، تَوَجَّهَتْ إِلَيْهِ الأَنْظَارُ، وَأُسْنِدَتْ إِلَيْهِ القِيَادَةُ.

# مَعَ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رَضِيَّ اللَّـهُ عَنْهُ

بَعَثَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ إِلَى سَعْدِ بـنِ أَبِي وَقَّاصٍ : إنَّ اللَّهَ قَدْ فَتَحَ عَلَى المُسْلِمِينَ الشَّـامَ وَالعِـرَاقَ، فَابْعَثْ مِنْ عِنْـدِكَ جُنْـداً إِلَـى الجَـزِيرَةِ، وَأَمِّـرْ عَلَيْهِـمْ أَحَـدَ الثَّلاَثَةِ: خَالِدَ بنَ عُرْفُطَةَ، أَوْ هَاشِمَ بنَ عُتْبَةَ، أَوْ عِيَاضَ بنَ غَنْمٍ . فَأَرْسَلَ سَعْدُ إِلَى الجَزِيرَةِ عِيَاضَ بنَ غَنْمٍ ، فَنزَلَ عَلَى الرُّهَاء فَصَالَحَهُ أَهْلُهَا عَلَـى الجِـزْيَةِ، وَصَالَحَـتْ حَرَّانُ، ثُمَّ بَعَثَ أَبَا مُوسَى الأَشْعَرِيَّ إِلَى نَصِيبِينَ فَفَتَحَهَا، وَكَانَ ذَلِكَ فِي السَّنَةِ السَّابِعَةِ عَشْرَةَ لِلْهِجْرَةِ.

الْتَحَـقَ عِيَاضُ بـنُ غَنْـمٍ وَأَبُـو مُوسَـى الأَشْعَـرِيُّ بِأَبِـي عُبَيْدَةَ بنِ الجَرَّاحِ بِالشَّامِ وَكَانَ أَبُو مُوسَى مَعَ أَبِـي عُبَيْدَةَ، وَكَتَبَ عُمَرُ إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ يَوْمَ وَقَعَ طَاعُونُ عَمْـوَاسَ: سَلاَمٌ عَلَيْكَ، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّكَ أَنْزَلْتَ النَّاسَ أَرْضاً غَمِقَةً، فَارْفَعْهُمْ إِلَـى أَرْضٍ مُرْتَفِعَةٍ نَزِهَةٍ. فَلَمَّا أَتَاهُ الكِتَابُ دَعَا أَبَا مُوسَى، فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا مُوسَى، إنَّ كِتَابَ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ قَدْ جَاءَنِي بِمَا تَرَى، فَاخْرُجْ فَارْتَدْ لِلنَّاسِ مَنْزِلاً حَتَّى أَتْبَعكَ بِهِمْ، فَرَجَعَ أَبُو مُوسَى إِلَى مَنْزِلِهِ لِيَرْتَحِلَ، فَوَجَدَ صَاحِبَتَهُ قَدْ أُصِيبَتْ، فَرَجَعَ

إلَيْهِ، وَقَالَ لَهُ: وَاللَّهِ لَقَدْ كَانَ فِي أَهْلِي حَدْثٌ، فَقَالَ: لَعَلَّ صَاحِبَتَكَ أُصِيبَتْ، فَقَالَ: نَعَم. فَأَمَرَ أَبُو عُبَيْدَةَ بِبَعِيرِهِ فَرُحِلَ لَهُ، فَلَمَّا وَضَعَ رِجْلَهُ فِي غَرْزِهِ طُعِنَ.

شَكَا بَعْضُ أَهْلِ البَصْرَةِ إلَى عُمَرَ بن الخَطَّاب عَامِلَهُ عَلَى مَدِينَتِهِمْ المُغِيرَةَ بنَ شُعْبَةَ، فَبَعَثَ عُمَرُ إلَى أَبِي مُوسَى: يَا أَبَا مُوسَى، إنِّي مُسْتَعْمِلُكَ، إنِّي أَبْعَثُكَ إلَى أَرْضٍ قَدْ بَاضَ بِهَا الشَّيْطَانُ وَفَرَّخَ، فَالْزَمْ مَا تَعْرِفُ، وَلاَ تَسْتَبْدِلْ فَيَسْتَبْدِلُ اللَّهُ بِكَ. فَقَالَ أَبُو مُوسَى: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، أَعِنِّي بِعِدَّةٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، فَإِنِّي وَجَدْتُهُمْ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ وَهَذِهِ الأَعْمَالِ كَالمِلْحِ لاَ يَصْلُحُ الطَّعَامُ إلاَّ بِهِ. فَقَالَ لَهُ: اسْتَعِنْ بِمَنْ شِئْتَ، فَاسْتَعَانَ بِتِسْعَةٍ وَعِشْرِينَ رَجُلاً مِنْهُمْ: أَنَسُ بنُ مَالِكٍ. ثُمَّ خَرَجَ أَبُو مُوسَى فِيهِمْ حَتَّى أَنَاخَ بِالمِرْبَدِ. وَبَلَغَ المُغِيرَةَ أَنَّ أَبَا مُوسَى قَدْ أَنَاخَ بِالمِرْبَدِ فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا جَاءَ أَبُو مُوسَى زَائِراً وَلاَ تَاجِراً وَلَكِنَّهُ جَاءَ أَمِيراً. فَإِنَّهُمْ لَفِي ذَلِكَ. إذْ جَاءَ أَبُو مُوسَى حَتَّى دَخَلَ عَلَيْهِمْ، فَدَفَعَ أَبُو مُوسَى إلَى المُغِيرَةِ كِتَابَ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ وَفِيهِ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّهُ بَلَغَنِي نَبَأٌ عَظِيمٌ، فَبَعَثْتُ أَبَا مُوسَى أَمِيراً، فَسَلِّمْ إلَيْهِ مَا فِي يَدِكَ، وَالعَجَلَ.

وَكَتَبَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ إلَى أَهْلِ البَصْرَةِ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي قَدْ

بَعَثْتُ أَبَا مُوسَى أَمِيراً عَلَيْكُمْ، لِيَأْخُذَ لِضَعِيفِكُمْ مِنْ قَوِيِّكُمْ، وَلِيُقَاتِلَ بِكُمْ عَدُوَّكُمْ، وَلِيَدْفَعَ عَنْ ذِمَّتِكُمْ، وَلِيُحْصِيَ لَكُمْ فَيْئَكُمْ ثُمَّ لِيَقْسِمَهُ بَيْنَكُمْ، وَلِيُنَقِّيَ لَكُمْ طُرُقَكُمْ.

ثُمَّ إِنَّ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ قَدْ نَقَلَ أَبَا مُوسَى أَمِيراً مِنَ البَصْرَةِ إلى الكُوفَةِ، وَحَلَّ مَكَانَهُ عُمَرَ بنَ سُرَاقَةَ، وَلَكِنْ لَمْ يَمْضِ العَامُ حَتَّى رَجَعَ كُلٌّ إِلَى إِمَارَتِهِ الأُولَى، أَبُو مُوسَى إِلَى البَصْرَةِ، وَعُمَرُ بنُ سُرَاقَةَ إِلَى الكُوفَةِ. وَكَانَ أَبُو مُوسَى فِي إِمْرَتِهِ يَقُودُ أَهْلَ البَصْرَةِ فِي جِهَادِ الفُرْسِ، وَكَانَ لَهُ دَوْرٌ بَارِزٌ فِي فَتْحِ الأَهْوَازِ وَأَصْبَهَانَ وَغَيْرِهِمَا، وَكَانَ إِذَا خَرَجَ إِلَى الجِهَادِ وَالفَتْحِ وَلَّى أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ مَكَانَ أَبِي مُوسَى عَلَى إِمْرَةِ البَصْرَةِ، فَإِنْ رَجَعَ مِنَ الجِهَادِ عَادَ إِلَى إِمَارَتِهِ.

وَتُوُفِّيَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ وَأَبُو مُوسَى أَمِيرُ البَصْرَةِ.

قَالَ أَنَسُ بنُ مَالِكٍ: بَعَثَنِي الأَشْعَرِيُّ إِلَى عُمَرَ، فَقَالَ عُمَرُ: كَيْفَ تَرَكْتَ الأَشْعَرِيَّ؟ فَقُلْتُ: تَرَكْتُهُ يُعَلِّمُ النَّاسَ القُرْآنَ، فَقَالَ: أَمَا أَنَّهُ كَبِيرٌ، وَلاَ تُسْمِعْهَا إِيَّاهُ[1].

قَالَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ: بِالشَّامِ أَرْبَعُونَ رَجُلاً مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ كَانَ يَلِي أَمْرَ أُمَّةٍ إِلاَّ أَجْزَاهُ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ فَجَاءَ رَهْطٌ

---

(١) طبقات ابن سعد.

مِنْهُمْ فِيهِمْ أَبُو مُوسَى الأَشْعَرِيُّ فَقَالَ: إِنِّي أَرْسَلْتُ إِلَيْكُمْ لأُرْسِلَكَ إِلَى قَوْمٍ عَسْكَرَ الشَّيْطَانُ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ، قَالَ: فَلاَ تُرْسِلْنِي، فَقَالَ: إِنَّ بِهَا جِهَاداً أَوْ إِنَّ بِهَا رِبَاطاً، قَالَ: فَأَرْسَلَهُ إِلَى البَصْرَةِ[1].

وَأَوْصَى عُمَرُ أَنْ يُتْرَكَ أَبُو مُوسَى بَعْدَهُ سَنَةً، أَيْ فِي عَمَلِهِ[2].

كَانَ عُمَرُ يَقُولُ لأَبِي مُوسَى: ذَكِّرْنَا رَبَّنَا، فَيَقْرَأُ أَبُو مُوسَى عَلَيْهِ القُرْآنَ، وَكَانَ حَسَنَ الصَّوْتِ[3].

وَكَتَبَ عُمَرُ إِلَى أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ: إِنَّ العَرَبَ هَلَكَتْ فَابْعَثْ إِلَيَّ بِطَعَامٍ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ بِطَعَامٍ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ: إِنِّي بَعَثْتُ إِلَيْكَ بِكَذَا وَكَذَا مِنَ الطَّعَامِ، فَإِنْ رَأَيْتَ يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ أَنْ تَكْتُبَ إِلَى الأَمْصَارِ فَيَجْتَمِعُونَ فِي يَوْمٍ فَيَخْرُجُونَ فِيهِ فَيَسْتَسْقُونَ. فَكَتَبَ عُمَرُ إِلَى أَهْلِ الأَمْصَارِ، فَخَرَجَ أَبُو مُوسَى فَاسْتَسْقَى وَلَمْ يُصَلِّ[4].

---

(١، ٢، ٣، ٤) طبقات ابن سعد.

# مَعَ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ بن عَفَّانَ رَضِـيَ اللّـهُ عَنْهُ

أَقَرَّ عُثْمَانُ عَلَى وِلاَيَةِ البَصْرَةِ أَبَا مُوسَى فَكَانَ نِعْمَ الوَالِي، وَنِعْمَ المُرَبِّي، وَنِعْـمَ المُعَلِّـمُ، إِذَا كَانَ الجِهَـادُ كَانَ اللَّيْثَ الهَصُورَ حَتَّى يَظُنُّ المَرْءُ أَنَّهُ لاَ يَعْرِفُ اللِّينَ، فَإِذَا رَجَعَ مِنَ الجِهَادِ كَانَ مُعَلِّماً لِرَعِيَّتِهِ يُقْرِئُهُمُ القُرْآنَ، وَيُفَقِّهُهُمْ، وَيَرْعَى شُؤونَهُمْ حَتَّى لَيَتَوَقَّعُ الإِنْسَانُ أَنَّهُ لاَ يَعْرِفُ الشِّدَّةَ وَلاَ يُمْكِنُـهُ القِتَالُ. غَيْرَ أَنَّ سُكَّانَ البَصْرَةِ يَوْمَذَاكَ لاَ يَصْلُحُ مَعَهُمُ اللِّينُ، وَلاَ يَخْضَعُونَ إِلاَّ بِالشِّدَّةِ، وَكَانَ قَدْ بَلَغَ أَبُو مُوسَى الخَمْسِينَ مِنَ العُمْرِ، وَاشْتَعَلَ رَأْسُهُ شَيْباً، وَكَانَ قَصِيراً مِمَّا جَعَلَ سُكَّانَ البَصْرَةِ يُبَالِغُونَ فِي سِنِّهِ، فَطَلَبُوا مِنْ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ تَوْلِيَةَ شَابٍ عليهم كَيْ يَكُونَ حَازِماً، وَتَوَهَّمُوا أَنَّ لِينَ أَبِي مُوسَى بِسَبَبِ عُمْرِهِ فَعَزَلَهُ عُثْمَانُ عَامَ تِسْعَةٍ وَعِشْرِينَ لِلْهِجْرَةِ، وَوَلَّى مَكَانَهُ عَبْدَ اللَّهِ بنَ عَامِرِ بن كُرَيْزٍ.

انْتَقَلَ أَبُو مُوسَـى إِلَـى الكُوفَـةِ وَأَقَـامَ فِيْهَـا، وَكَانَ عَلَيْهَـا الوَلِيدُ بنُ عُقْبَةَ ثُمَّ سَعِيدُ بنُ العَاصِ، وَكَانَ سَعِيدُ شَابّاً، فِيهِ حَيَوِيَّةُ الشَّبَابِ، وَفِيهِ حَمَاسَةُ الشَّبَابِ، وَهَذَا لاَ يُنَاسِبُ أَهْلَ الكُوفَةِ يَوْمَذَاكَ، وَقَـدْ بَدَأَتِ الفِتْنَـةُ وَخَضَـدَ سَعِيدُ شَوْكَتَهَـا،

فَحَاصَ مَنْ فِيْهَا مِنْ أَهْلِ الشّرِّ، حَتَّى إِذَا اسْتَدْعَى الخَلِيفَةُ أُمَرَاءَ الأَمْصَارِ إِلَى المَدِينَةِ لِلْمُشَاوَرَةِ وَمِنْهُمْ سَعِيدُ تَحَرَّكَ المُفْسِدُونَ، وَحَالُوا دُونَ عَوْدَةِ أَمِيرِهِمْ، وَطَلَبُوا مِنَ الخَلِيفَةِ تَوْلِيَةَ أَبِي مُوسَى عَلَيْهِمْ، فَوَافَقَهُمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَمَّرَهُ، وَذَلِكَ عَامَ أَرْبَعَةٍ وَثَلاَثِينَ لِلْهِجْرَةِ. وَقُتِلَ الخَلِيفَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَامَ خَمْسَةٍ وَثَلاَثِينَ (١٨ ذي الحجة) وَأَبُو مُوسَى أَمِيرُ الكُوفَةِ، وَأَهْلُهَا رَاضُونَ عَنْهُ.

## مَعَ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

عَظُمَ عَلَى أَبِي مُوسَى مَا حَلَّ بِالمُسْلِمِينَ، وَصَعُبَ عَلَيْهِ أَنْ يَرَاهُمْ فِرْقَتَيْنِ، وَعَلَى رَأْسِ كُلِّ فِرْقَةٍ أَحَدُ المُبَشَّرِينَ بِالجَنَّةِ، عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ، ابنُ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَزَوْجُ ابْنَتِهِ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ، وَخَلِيفَةُ المُسْلِمِينَ اليَوْمَ عَلَى رَأْسِ فِرْقَةٍ، وَالزُّبَيْرُ بنُ العَوَّامِ، ابنُ عَمَّةِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، صَفِيَّةَ، وَمَعَهُ طَلْحَةُ بنُ عُبَيْدِ اللَّهِ، وَكِلاَهُمَا مُبَشَّرٌ بِالجَنَّةِ كَعَلِيٍّ، هَذَا إِضَافَةً إِلَى أُمِّ المُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، لِذَا فَقَدْ رَأَى أَبُو مُوسَى العُزْلَةَ رَيْثَمَا تُفْرَجُ الغُمَّةُ وَتَتَّفِقُ الأُمَّةُ.

بَعَثَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ إلَى أَهْلِ الكُوفَةِ مُحَمَّدَ بنَ أَبِي بكْرٍ وَمُحَمَّدَ بنَ عَوْنٍ، وَكَتَبَ مَعَهُمَا إلَى أَهْلِ الكُوفَةِ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي اخْتَرْتُكُمْ وَالنُّزُولَ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ لِمَا أَعْرِفُ مِنْ مَوَدَّتِكُمْ وَحُبِّكُمْ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَنْ جَاءَنِي وَنَصَرَنِي فَقَدْ أَجَابَ الحَقَّ وَقَضَى الَّذِي عَلَيْهِ.

جَاءَ النَّاسُ إلَى أَبِي مُوسَى يَسْتَشِيرُونَهُ فِي الخُرُوجِ ، فَقَالَ أَبُو مُوسَى : أَمَّا سَبِيلُ الآخِرَةِ فَأَنْ تُقِيمُوا، وَأَمَّا سَبِيلُ الدُّنْيَا فَأَنْ تَخْرُجُوا، وَأَنْتُمْ أَعْلَمُ. وَبَلَغَ المُحَمَّدَيْنِ قَوْلُ أَبِي مُوسَى، فَبَايَنَاهُ وَأَغْلَظَا لَهُ، فَقَالَ: أَمَا وَاللَّهِ إنَّ بَيْعَةَ عُثْمَانَ فِي عُنُقِي وَعُنِقِ صَاحِبِكُمَا الَّذِي أَرْسَلَكُمَا، إنْ أَرَدْنَا أَنْ نُقَاتِلَ لاَ نُقَاتِلُ حَتَّى لاَ يَبْقَى أَحَدٌ مِنْ قَتَلَةِ عُثْمَانَ.

أَرْسَلَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ إلَى أَبِي مُوسَى عَبْدَ اللَّهِ بنَ عَبَّاسٍ ، وَالأَشْتَرَ النَّخْعِيَّ، فَقَدِمَا الكُوفَةَ، وَكَلَّمَا أَبَا مُوسَى، وَاسْتَعَانَا عَلَيْهِ بِأُنَاسٍ مِنَ الكُوفَةِ، فَجَمَعَ أَبُو مُوسَى النَّاسَ فَخَطَبَهُمْ وَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إنَّ أَصْحَابَ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الَّذِينَ صَحِبُوهُ فِي المَوَاطِنِ أَعْلَمُ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَبِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِمَّنْ لَمْ

يَصْحَبْهُ، وَإِنَّ لَكُمْ عَلَيْنَا حَقّاً فَأَنَا مُؤَدِّيهِ إِلَيْكُمْ. كَانَ الرَّأْيُ أَلاَّ تَسْتَخِفُّوا بِسُلْطَانِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلاَ تَجْتَرِئُوا عَلَى اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ، وَكَانَ الرَّأْيُ الثَّانِي أَنْ تَأْخُذُوا مَنْ قَدِمَ عَلَيْكُمْ مِنَ المَدِينَةِ فَتَرُدُّوهُمْ إِلَيْهَا حَتَّى يَجْتَمِعُوا، وَهُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ تَصْلُحُ لَهُ الإِمَامَةُ مِنْكُمْ، وَلاَ تَكَلَّفُوا الدُّخُولَ فِي هَذَا، فَأَمَّا إِذَا كَانَ مَا كَانَ فَإِنَّهَا فِتْنَةٌ صَمَّاءُ، النَّائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ اليَقْظَانِ، وَاليَقْظَانُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ القَاعِدِ، وَالقَاعِدُ خَيْرٌ مِنَ القَائِمِ، وَالقَائِمُ خَيْرٌ مِنَ الرَّاكِبِ، فَكُونُوا جُرْثُومَةً مِنْ جَرَاثِيمِ العَرَبِ، فَأَغْمِدُوا السُّيُوفَ، وَأَنْصِلُوا الأَسِنَّةَ، وَاقْطَعُوا الأَوْتَارَ، وَآوُوا المَظْلُومَ وَالمُضْطَهَدَ حَتَّى يَلْتَئِمَ هَذَا الأَمْرُ، وَتَنْجَلِيَ هَذِهِ الفِتْنَةُ.

رَجَعَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ عَبَّاسٍ وَالأَشْتَرُ إِلَى أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ وَأَخْبَرَاهُ بِمَا كَانَ، فَدَعَا عَلِيٌّ ابْنَهُ الحَسَنَ وَبَعَثَهُ وَمَعَهُ عَمَّارُ بنُ يَاسِرٍ إِلَى أَبِي مُوسَى وَأَهْلِ الكُوفَةِ. فَقَالَ الحَسَنُ: يَا أَبَا مُوسَى، لِمَ تُثَبِّطُ النَّاسَ عَنَّا! فَوَاللَّهِ مَا أَرَدْنَا إِلاَّ الإِصْلاَحَ، وَلاَ مِثْلُ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ يُخَافُ عَلَى شَيْءٍ. فَقَالَ: صَدَقْتَ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي! وَلَكِنَّ المُسْتَشَارَ مُؤْتَمَنٌ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنَةٌ، القَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ القَائِمِ، وَالقَائِمُ خَيْرٌ مِنَ المَاشِي، وَالمَاشِي خَيْرٌ مِنَ

الرَّاكِبِ» ؛ قَدْ جَعَلَنَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِخْوَاناً ، وَحَرَّمَ عَلَيْنَا أَمْوَالَنَا وَدِمَاءَنَا ، وَقَالَ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالبَاطِلِ إلاَّ أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلاَ تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً ﴾[1] . وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ ﴾[2] . وَقَامَ عَمَّارُ يَتَكَلَّمُ ، وَقَامَ غَيْرُهُ ، وَحَدَثَ تَبَايُنٌ فِي الآرَاءِ ، وَفِي هَذِهِ الأَثْنَاءِ جَاءَ الأَشْتَرُ النَّخْعِيُّ ، وَدَخَلَ قَصْرَ الإِمَارَةِ وَتَسَلَّمَ الوِلاَيَةَ . وَكَانَ الحَسَنُ بنُ عَلِيٍّ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، وَقَفَ فَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ أَنَا غَادٍ فَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَخْرُجَ مَعِي عَلَى الظَّهْرِ ، وَمَنْ شَاءَ فَلْيَخْرُجْ فِي المَاءِ ، فَنَفَرَ مَعَهُ تِسْعَةُ آلافٍ[3] . وَاعْتَزَلَ أَبُو مُوسَى ، وَبَقِيَ فِي الكُوفَةِ .

وَحَدَثَتْ مَعْرَكَةُ الجَمَلِ وَلَمْ يَشْتَرِكْ فِيهَا أَبُو مُوسَى ، ثُمَّ كَانَتْ وَقْعَةُ صِفِّينَ وَلَمْ يُشَارِكْ فِيهَا أَيْضاً ، وَلَمْ يُؤَيِّدْ طَرَفاً دُونَ الآخَرِ ، وَلَمْ يَتَوَقَّفِ القِتَالُ فِي هَذِهِ المَعْرَكَةِ إلاَّ بِالتَّفَاهُمِ عَلَى التَّحْكِيمِ .

رَفَضَ أَهْلُ الكُوفَةِ أَنْ يُمَثِّلَهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بنُ عَبَّاسٍ إذْ عَدُّوهُ

---

(١) سورة النساء الآية ٢٩.
(٢) سورة النساء الآية ٩٣.
(٣) تاريخ الطبري.

كَأَنَّهُ عَلِيٌّ نَفْسُهُ، كَمَا رَفَضُوا الأَشْتَرَ النَّخْعِيَّ لأِنَّهُ كَانَ أَشَدَّهُمْ عَلَى خُصُومِهِمْ، وَيَرونَهُ أَنَّهُ لاَ يَعْرِفُ حَلاً سِوَى السَّيْفِ، وَأَصَرُّوا أَنْ يَكُونَ أَبُو مُوسَى هُوَ المُمَثِّلُ لَهُمْ فِي التَّحْكِيمِ فَهُوَ الَّذِي يُرِيدُ الإِصْلاَحَ وَوَقْفِ سَفْكِ دِمَاءِ المُسْلِمِينَ، وَاضْطَرَّ عَلِيٌّ أَنْ يَرْضَخَ لِرَأْيِ هَذِهِ الفِئَةِ مِنْ جَمَاعَتِهِ، وَكَانَ أَبُو مُوسَى مُمَثِّلاً طَرَفَ عَلِيٍّ. وَلَمْ يَكُنْ عَلِيٌّ فِي قَرَارَةِ نَفْسِهِ مُوَافِقاً عَلَى هَذَا الاخْتِيَارِ وَلَكِنْ لاَ رَأْيَ لِمِنْ لاَ يُطَاعُ.

وَجَاءَ المَوْعِدُ المَضْرُوبُ لِلتَّحْكِيمِ وَهُوَ شَهْرُ رَمَضَانَ مِنْ عَامِ سَبْعَةٍ وَثَلاَثِينَ وَالْتَقَى الحَكَمَانِ فِي دَوْمَةِ الجَنْدَلِ، وَمَعَ كُلِّ طَرَفٍ جَمْعٌ مِنْ أَنْصَارِهِ.

لَمْ يَكُنْ أَبُو مُوسَى، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ذَلِكَ الرَّجُلُ الَّذِي يُصَوِّرُهُ الَّذِينَ يَتَكَلَّمُونَ فِي التَّارِيخِ أَنَّهُ رَجُلٌ بَسِيطٌ، يُلْعَبُ عَلَيْهِ، وَيُؤْخَذُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ، وَلَكِنَّهُ كَانَ فِي الوَاقِعِ رَجُلاً فَذّاً عَارِفاً لِلأُمُورِ مُحِيطاً بِأَبْعَادِهَا، فَكَانَ يَرَى أَنَّ اجْتِمَاعَ كَلِمَةِ الأُمَّةِ أَسَمَى مِنْ مَصْلَحَةِ الرِّجَالِ وَالمَرَاكِزِ مَهْمَا كَانَ أُولَئِكَ الرِّجَالُ، لِذَلِكَ كَانَ يَرَى أَنَّهُ لاَ مَانِعَ مِنْ أَنْ يَتَخَلَّى عَلِيٌّ عَنِ الخِلاَفَةِ وَيُعْزَلَ مُعَاوِيَةُ مِنَ الإِمْرَةِ حَتَّى يَلْتَئِمَ صَفُّ المُسْلِمِينَ وَتَعُودَ إِلَيْهِمْ وَحْدَتُهُمْ، مَعَ يَقِينِهِ بِأَهْلِيَّةِ عَلِيٍّ وَصَلاَحِهِ، وَحَقِّهِ

وَشَرْعِيَّةِ خِلاَفَتِهِ غَيْرَ أَنَّ وَحْدَةَ المُسْلِمِينَ أَفْضَلُ مِنَ الرِّجَالِ. وَيَجِبُ أَنْ تُقَدَّمَ، وَيُعْمَلَ لَهَا وَيُسعَى مِنْ أَجْلِهَا. وَمَعَ اعْتِرَافِهِ بِأَنَّ مُعَاوِيَةَ لَيْسَ سِوَى أَمِيرٍ، وَلاَ عَلاَقَةَ لَهُ بِالخِلاَفَةِ وَإِنَّمَا مَوْضُوعُ الخِلاَفَةِ مَحْصُورٌ فِي صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِنْ أَهْلِ المَدِينَةِ فَهُمُ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ مَنِ الَّذِي يَصْلُحُ لِلإِمَامَةِ، وَمَعَ اعْتِرَافِهِ بِخَطَإِ اجْتِهَادِ مُعَاوِيَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَلَمْ يَكُنْ أَبُو مُوسَى، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ذَلِكَ الشَّيْخُ الهَرِمُ كَمَا يُصَوِّرُهُ المُؤَرِّخُونَ، إِذْ لَمْ تَكُنْ سِنُّهُ لِتَزِيدَ عَلَى التَّاسِعَةِ وَالخَمْسِينَ، وَإِنْ كَانَ شَيْبُهُ وَقِصَرُهُ لَيُوحِيَانِ بِأَنَّهُ أَكْبَرُ مِنْ هَذَا، وَكَانَ عَمْرُو بنُ العَاصِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَكْبَرَ مِنْهُ بِتِسْعٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً عَلَى خِلاَفِ مَا تَرْوِي كُتُبُ التَّارِيخِ.

وَلَمْ يَكُنْ عَمْرُو بنُ العَاصِ كَمَا يُصَوِّرُهُ المُؤَرِّخُونَ ذَلِكَ الرَّجُلَ المُخَادِعَ الَّذِي يَبِيعُ دِينَهُ وَلاَ يَرَى إِلاَّ مَصْلَحَتَهُ، وَإِنَّمَا كَانَ فِي الوَاقِعِ يَرَى أَنَّ الَّذِينَ اتُّهِمُوا فِي قَتْلِ عُثْمَانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رَغْمَ انْتِقَادِهِ لِتَصَرُّفَاتِ عُثْمَانَ يَوْمَ كَانَ حَيّاً، لاَ يَزَالُونَ أَحْيَاءَ لَمْ يُقَمْ عَلَيْهِمْ حَدٌّ، وَلَمْ تُبَرَّأْ سَاحَتُهُمْ، وَهُمْ فِي جَيْشِ عَلِيٍّ وَمِنْ أَصْحَابِ الكَلِمَةِ، وَمِنْهُمْ: الأَشْتَرُ النَّخْعِيُّ،

وَعَمَّارُ بنُ يَاسِرٍ وَغَيْرِهِمَا، لِذَا كَانَ يَرى إبْقَاءَ مُعَاوِيَةَ فِي إمْرَتِهِ مَا دَامَ يُمَثِّلُ المُطَالَبَةَ بإقَامَةِ الحَدِّ عَلَى القَتَلَةِ، وَيَجِبُ أَلاَّ يُعْزَلُ، ومَا عزَلَهُ عَلِيٌّ الخَلِيفَةُ الجَدِيدُ إلاَّ لِهَذَا، ولَكِنْ يَجِبُ التَّمَسُّكُ بِهِ.

وَلاَ شَكَّ أَنَّ التَّبَايُنَ فِي وِجْهَاتِ النَّظَرِ سَيُؤَدِّي إلى فَشَلِ التَّحْكِيمِ، وَهَذَا مَا تَمَّ، غَيْرَ أَنَّ المُؤَرِّخِينَ قَدْ قَدَّمُوا مَوْضُوعَ التَّحْكِيمِ لِلنَّاسِ بِطَرِيقَةٍ قَصَصِيَّةٍ مُشَوَّهَةٍ تَمَاماً.

فَشِلَ الحَكَمَانِ في الوُصُولِ إلَى اتِّفَاقٍ وَعَادَ كُلُّ طَرَفٍ إلى مَقَرِّهِ، وَانْشَقَّ الخَوَارِجُ عَنْ عَلِيٍّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَاتَلَهُمْ وَنَكَبَهُمْ، وَأَخِيراً قَرَّرُوا التَّخَلُّصَ مِنْ عَلِيٍّ، وَمُعَاوِيَةَ، وَعَمْرٍ، وَحَدَّدُوا يَوْمَ السَّابعِ عَشَرَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ مِنْ عامِ أَرْبَعِين لِلْهِجْرَةِ مَوْعِداً لِتَنْفِيذِ مُؤَامَرَتِهِمْ. وَجَاءَ المَوْعِدُ المَضْرُوبُ، وَقُتِلَ عَلِيٌّ، وَأُصِيبَ مُعَاوِيَةُ، وَنَجَا عَمْرٌو إذِ اشْتَكَى يَوْمَهَا بَطْنَهُ، وَلَمْ يَخْرُجْ لِلصَّلاَةِ، وَأَوْكَلَ خَارِجَةَ بِالصَّلاَةِ فَقُتِلَ خَارِجَةُ وَنَجَا هُوَ.

بَايَعَ أَهْلُ العِرَاقِ الحَسَنَ بنَ عَلِيٍّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مَكَانَ أَبِيهِ، غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ وَجَدَ فِي اجْتِمَاعِ كَلِمَةِ المُسْلِمِينَ خَيْراً مِنْ بَقَاءِ الفِرْقَةِ، وَلَوْ كَانَ فِيْهِ تَنَازُلٌ، فَصَالَحَ

مُعَاوِيَةَ بنَ أَبِي سُفْيَانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَتَنَازَلَ لَهُ، فَالتَأَمَ شَمْلُ الأُمَّةِ، وَغَدَا مُعَاوِيَةُ خَلِيفَةَ المُسْلِمِينَ.

## مَعَ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ مُعَاوِيَةَ بن أَبِي سُفْيَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

بَعْدَ تَنَازُلِ الحَسَنِ بنِ عَلِيٍّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَصْبَحَ مُعَاوِيَةُ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، وَلَمْ يَعُدْ عُذْرٌ لأَبِي مُوسَى فِي العُزْلَةِ فَجَاءَ وَبَايَعَ.

قَدِمَ أَبُو مُوسَى عَلَى مُعَاوِيَةَ، فَنَزَلَ فِي بَعْضِ الدُّورِ بِدِمَشْقَ، فَخَرَجَ مُعَاوِيَةُ مِنَ اللَّيْلِ لِيَسْتَمِعَ قِرَاءَتَهُ.

كَانَ مُعَاوِيَةُ يُحِبُّ أَبَا مُوسَى، وَإِنْ كَانَ عَلَى خِلافٍ مَعَهُ، وَكَذَا كَانَ الصَّحَابَةُ جَمِيعاً يُحِبُّ بَعْضُهُمْ بَعْضاً وَإِنْ تَبَايَنَ اجْتِهَادُهُمْ، وَإِنْ وَقَعَ قِتَالٌ بَيْنَهُمْ بِسَبَبِ هَذَا الاجْتِهَادِ. فَالحُبُّ فِي اللَّهِ وَاجِبٌ وَلَيْسَ مِنَ الضَرُورَةِ أَنْ يَكُونَ رَأْيُ الجَمِيعِ وَاحِداً. قَالَ أَبُو بُرْدَةَ بنُ أَبِي مُوسَى: دَخَلْتُ عَلَى مُعَاوِيَةَ بنِ أَبِي سُفْيَانَ حِينَ أَصَابَتْهُ قَرْحَتُهُ فَقَالَ: هَلُمَّ يَا ابْنَ أَخِي تَحَوَّلْ فَانْظُرْ، قَالَ: فَتَحَوَّلْتُ فَنَظَرْتُ فَإِذَا هِيَ قَدْ سُبِرَتْ (يَعْنِي قَرْحَتَهُ) فَقُلْتُ: لَيْسَ عَلَيكَ بَأْسٌ يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، قَالَ: إِذْ دَخَلَ يَزِيدُ بنُ مُعَاوِيَةَ، فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ: إِنْ وُلِّيتَ

مِنْ أَمْرِ النَّاسِ شَيْئاً فَاسْتَوْصِ بِهَذَا فَإِنَّ أَبَاهُ كَانَ أَخاً لِي، أَوْ خَلِيلاً أَوْ نَحْوِ هَذَا مِنَ القَوْلِ، غَيْرَ أَنِّي قَدْ رَأَيْتُ فِي القِتَالِ مَا لَمْ يَرَ[١].

وَقَالَ أَبُو بُرْدَةَ: فَلَمَّا وُلِّيَ مُعَاوِيَةُ أَتَيْتُهُ، فَمَا أَغْلَقَ دُونِي بَاباً، وَلاَ كَانَتْ لِي حَاجَةٌ إلاَّ قُضِيَتْ[٢].

كَانَ أَبُو مُوسَى حَرِيصاً جِدّاً عَلَى المَوْعِدِ دَقِيقاً فِي تَنْفِيذِ مَا يَعْزِمُ عَلَيْهِ، قَالَ أَنَسُ بنُ مَالِكٍ: قَالَ الأَشْعَرِيُّ، وَهُوَ عَلَى البَصْرَةِ، جَهِّزْنِي فَإِنِّي خَارِجٌ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا، فَجَعَلْتُ أُجَهِّزُهُ فَجَاءَ ذَلِكَ اليَوْمُ وَقَدْ بَقِيَ مِنْ جَهَازِهِ شَيْءٌ لَمْ أَفْرُغْ مِنْهُ، فَقَالَ: يَا أَنَسُ إنِّي خَارِجٌ، فَقُلْتُ: لَوْ أَقَمْتَ حَتَّى أَفْرُغَ مِنْ بَقِيَّةِ جَهَازِكَ، فَقَالَ: إنِّي قُلْتُ لأَهْلِي إنِّي خَارِجٌ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا، وَإنِّي إنْ كَذَبْتُ أَهْلِي كَذَبُونِي، وَإِنْ خُنْتُهُمْ خَانُونِي، وَإِنْ أَخْلَفْتُهُمْ أَخْلَفُونِي. فَخَرَجَ وَقَدْ بَقِيَ مِنْ حَوَائِجِهِ بَعْضُ شَيْءٍ لَمْ يُفْرَغْ مِنْهُ[٣].

كَانَ شَدِيدَ الحَيَاءِ. قَالَ أَنَسُ بنُ مَالِكٍ: كَانَ أَبُو مُوسَى

---

(١) طبقات ابن سعد.
(٢) سير أعلام النبلاء.
(٣) طبقات ابن سعد.

الأَشْعَرِيُّ إِذَا نَامَ لَبِسَ تُبَّاناً عَنْدَ النَّومِ مَخَافَةَ أَنْ تَنْكَشِفَ عَوْرَتَهُ. وَقَالَ قَتَادَةُ: كَانَ أَبُو مُوسَى إِذَا اغْتَسَلَ فِي بَيْتٍ مُظْلِمٍ تَجَاذَبَ وَحَنَى ظَهْرَهُ حَتَّى يَأْخُذَ ثَوْبَهُ، وَلاَ يَنْتَصِبُ قَائِماً. وَقَالَ أَبُو مُوسَى: إِنِّي لأَغْتَسِلُ فِي البَيْتِ المُظْلِمِ فَأَحْنِي ظَهْرِي حَيَاءً مِنْ رَبِّي. وَكَانَ يَقُولُ: إِنِّي لأَغْتَسِلُ فِي البَيْتِ الخَالِي فَيَمْنَعُنِي الحَيَاءُ مِنْ رَبِّي أَنْ أُقِيمَ صُلْبِي[1].

وَكَانَ أَبُو مُوسَى حَكِيماً، وَقَاضِياً عَادِلاً، يُضْرَبُ المَثَلُ بِعَدْلِهِ، وَيُشْهَرُ بِعِلْمِهِ، وَكَانَ يَقُولُ: لاَ يَنْبَغِي لِلْقَاضِي أَنْ يَقْضِيَ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُ الحَقُّ كَمَا يَتَبَيَّنُ اللَّيْلُ مِنَ النَّهَارِ، وَقَدْ بَلَغَ ذَلِكَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ فَقَالَ: صَدَقَ أَبُو مُوسَى. وَكَانُوا يَقُولُونَ عَنْ كَلاَمِهِ: مَا كُنَّا نُشَبِّهُ كَلاَمَ أَبِي مُوسَى إِلاَّ بِالجَزَّارِ الَّذِيْ لاَ يُخْطِىءُ المِفْصَلَ.

وَكَانَ زَاهِداً فِي المَالِ مِعْطَاءً لَهُ، فَيَقُولُ ابْنُهُ أَبُو بُرْدَةَ: حَدَّثَتْنِي أُمِّي قَالَتْ: خَرَجَ أَبُو مُوسَى حِينَ نُزِعَ عَنِ البَصْرَةِ وَمَا مَعَهُ إِلاَّ سِتُّمائَةِ دِرْهَمٍ عَطَاءُ عِيَالِهِ.

قَالَ الأَسْوَدُ بنُ يَزِيدَ: لَمْ أَرَ بِالكُوفَةِ أَعْلَمَ مِنْ عَلِيٍّ وَأَبِي مُوسَى[2].

---

(١) طبقات ابن سعد. (٢) ابن عساكر.

وَقَالَ مَسْرُوقٌ: كَانَ القَضَاءُ فِي الصَّحَابَةِ إِلَى سِتَّةٍ: عُمَرَ، وَعَلِيٍّ، وابْنِ مَسْعُودٍ، وَأُبَيٍّ، وَزَيْدٍ، وَأَبِي مُوسَى[1].

وَقَالَ الشَّعْبِيُّ: يُؤْخَذُ العِلْمُ عَنْ سِتَّةٍ: عُمَرَ، وَعَبْدِ اللَّـهِ، وَزَيْدٍ، يُشبِهُ عِلْمُهُمْ بَعْضُهُ بَعْضاً، وَكَانَ عَلِيٌّ، وَأُبِيٌّ، وَأَبُو مُوسَى يُشْبِهُ عِلْمُهُمْ بَعْضُهُ بَعْضَاً، يَقْتَبِسُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ[1].

وَقَالَ الشَّعْبِيُّ: قُضَاةُ الأُمَّةِ: عُمَرُ، وَعَلِيٌّ، وَزَيْدٌ، وَأَبُو مُوسَى[1].

وَقَالَ صَفْوَانُ بنُ سُلَيمٍ: لَمْ يَكُنْ يُفْتِي فِي المَسْجِدِ زَمَنَ رَسُولِ اللَّـهِ، صَلَّى اللَّـهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، غَيْرُ هَؤُلاءِ، عُمَرُ، وَعَلِيٌّ، وَمُعَاذٌ، وَأَبُو مُوسَى.

كَانَ أَبُو مُوسَى إِذَا صَلَّى الصُّبْحَ، اسْتَقْبَلَ الصُّفُوفَ رَجُلاً رَجُلاً يُقْرِئُهُمْ.

قَالَ الذَّهَبِيُّ: قَدْ كَانَ أَبُو مُوسَى صَوَّامَاً رَبَّانِيَّاً زَاهِدَاً عَابِدَاً، مِمَّنْ جَمَعَ العِلْمَ وَالعَمَلَ وَالجِهَادَ وَسَلاَمَةَ الصَّدْرِ، لَمْ تُغَيِّرْهُ الإِمارَةُ، وَلاَ اغْتَرَّ بِالدُّنْيَا[2].

---

(١) ابن عساكر.

(٢) سير أعلام النبلاء.

# وَفَاةُ أَبِي مُوسَى

لَمَّا حَضَرَ أَبَا مُوسَى المَوْتُ دَعَا بَنِيهِ فَقَالَ: انْظُرُوا إِذَا أَنَا مِتُّ فَلا تُؤْذِنُنَّ بِي أَحَداً وَلاَ يَتْبَعَنِّي صَوْتٌ وَلاَ نَارٌ، وَلْيَكُنْ مُمْسِي أَحَدِكُمْ بِحِذَاءِ رُكْبَتَيَّ مِنَ السَّرِيرِ.

وَلَمَّا أُغْمِيَ عَلَيْهِ بَكَتْ عَلَيْهِ زَوْجُهُ ابْنَةُ الدُّومِيِّ أُمُّ أَبِي بُرْدَةَ فَقَالَ: أَبْرَأُ إِلَيْكُمْ مِمَّنْ حَلَقَ وَسَلَقَ وَخَرَقَ.

وَقَالَ أَبُو مُوسَى لِبَنِيهِ: أَعْمِقُوا لِي قَبْرِي.

كَانَ أَبُو مُوسَى، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَصِيراً خَفِيفَ اللَّحْمِ، وَتُوفِّيَ فِي خِلاَفَةِ مُعَاوِيَةَ بنِ أَبِي سُفْيَانَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ[1].

وَأَخِيراً فَإِنَّ أَبَا مُوسَى الأَشْعَرِيَّ كَانَ لَهُ دَوْرٌ فِي الهِجْرَةِ مِنْ بَلَدِهِ فِي سَبِيلِ الإِسْلاَمِ، وَلَهُ دَوْرٌ فِي الجِهَادِ وَالفُتُوحِ فِي العِرَاقِ، وَالجَزِيرَةِ، وَالأَهْوَازِ وَأَصْبَهَانَ. وَلَهُ دَوْرٌ فِي تَعْلِيمِ النَّاسِ كِتَابَ اللَّهِ، وَتَفْقِيهِ الرَّعِيَّةِ، كَمَا كَانَ لَهُ دَوْرٌ فِي إِدَارَةِ الدَّوْلَةِ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعَ عَشَرَةَ سَنَةً، وَقَدْ بَذَلَ جُهْداً فِي جَمْعِ كَلِمَةِ الأُمَّةِ وَسَوَاءٌ وُفِّقَ أَمْ لَمْ يُوَفَّقْ فَإِنَّ لَهُ أَجْرَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. وَبِذَا فَهُوَ أَحَدُ بُنَاةِ الدَّوْلَةِ الإِسْلاَمِيَّةِ.

---

(١) يوجد خلاف في سنة وفاته.

بُنَاة دَوْلَـةِ الإِسْلام

- ٤٥ -

# عِيَاضُ بنُ غَنْمٍ

رضي الله عنه

هُـوَ عِيَاضُ بنُ غَنْمٍ بـنِ زُهَيْرٍ بـنِ أَبِـي شَدَّادٍ بـنِ رَبيعَةَ بنِ هِلاَلِ بنِ مَالِكٍ بنِ ضَبَّةَ بنِ الحَارِثِ بنِ فِهْرٍ، وَفِهْرُ هُوَ قُرَيْشٌ.

قَـرِيبُ أَبِـي عُبَيْدَةَ بـنِ الجَـرَّاحِ يَلْتَقِـي مَعَـهُ فِي الجَـدِّ السَّابعِ ، وَهُو مِنْ أُسْرَةٍ كَرِيمَةٍ، فَعَمُّهُ يُدْعَى عِيَاضَـاً أَيْضَـاً، وَهُوَ عِيَاضُ بنُ زُهَيْرٍ، مِنَ المُسْلِمِينَ الأَوَائِلِ ، هَاجَـرَ إِلَـى الحَبَشَةِ، وَبَقِيَ فِيْهَا مُدَّةً حَتَّى تَهَيَّأَتْ ظُرُوفُ السَّفَـرِ بَعْـدَ أَنِ ارْتَحَلَ عَنْهَا جَعْفَرُ بنُ أَبِي طَالِبٍ وَمَنْ مَعَهُ، وَإِنْ كَانَتْ هُنَاكَ رِوَايَاتٌ تَذْكُرُ أَنَّهُ قَدْ هَاجَرَ إِلَى المَدِينَةَ وَشَهِدَ بَدْراً مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ شَهِدَ بَقِيَّةَ المَشاهِـدِ مَعَـهُ، وَتُوُفِّيَ فِي خِلاَفَةِ عُثْمَانَ بنِ عَفَّانَ سَنَةَ ثَلاَثِينَ لِلْهِجْرَةِ.

وُلِدَ عِيَاضُ بنُ غَنْمٍ فِي سَنَـةِ أَرْبَعِينَ قَبْلَ الهِجْرَةِ، فَهُوَ أَصْغَرُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِثَلاَثَ عَشَرَةَ

سَنَةً. وَأَسْلَمَ بَعْدَ غَزْوَةِ الخَنْدَقِ ، وَكَانَتْ أَوَّلَ المَشَاهِدِ الَّتِي حَضَرَهَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، صُلْحُ الحُدَيْبِيَّةِ، وَشَهِدَ بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ، غَيْرَ أَنَّ بَعْضَ الرِّوَايَاتِ تَعُدُّهُ مِنْ أَصْحَابِ بَدْرٍ أَيْضاً. ثُمَّ حَضَرَ الغَزَوَاتِ كُلَّهَا بَعْدَ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ. وَتُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ عَنْهُ رَاضٍ ، وَلَمْ تَكُنْ لَهُ مَوَاقِفُ بَارِزَةٌ أَيَّامَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَلَكِنْ بَرَزَ فِي عَهْدِ الخَلِيفَةِ الصِّدِّيقِ .

يُعَدُّ عِيَاضُ بنُ غَنْمٍ مِنْ فُرْسَانِ العَرَبِ المَشْهُورِينَ، وَقَدْ شَارَكَ فِي القَضَاءِ عَلَى حَرَكَةِ الرِّدَّةِ، وَكَانَ عَلَى رَأْسِ قُوَّةٍ فِي الحِجَازِ لإِعَادَةِ بَعْضِ القَبَائِلِ إِلَى جَادَّةِ الصَّوَابِ بَعْدَ أَنِ انْحَرَفَتْ مَعَ مَنِ انْحَرَفَ مِنَ المُرْتَدِّينَ. وَلَمَّا انْتَهَى مِنْ مُهِمَّتِهِ جَاءَ إِلَيْهِ الأَمْرُ مِنَ الخَلِيفَةِ أَنْ يَسِيرَ إِلَى العِرَاقِ ، وَأَنْ يَدْخُلَهَا مِنَ الأَعْلَى، وَأَنْ يَتَّجِهَ نَحْوَ الحِيرَةِ لِيَلْتَقِيَ مَعَ خَالِدِ بنِ الوَلِيدِ الَّذِيْ وُجِّه إِلَيْهِ الأَمْرُ أَنْ يَنْطَلِقَ مِنَ اليَمَامَةِ، وَكَانَ قَدْ قَضَى عَلَى مُسَيْلَمَةَ الكَذَّابِ فِيْهَا، إِلَى العِرَاقِ وَأَنْ يَدْخُلَهَا مِنْ أَسْفَلِهَا عَنْ طَرِيقِ الأُبُلَّةِ[1] ، وَأَنْ يَسِيرَ إِلَى الحِيرَةِ لِيَجْتَمِعَ هُنَاكَ مَعَ عِيَاضِ بنِ غَنْمٍ ، وَأَيُّهُمَا سَبَقَ الآخَرَ فَهُوَ الأَمِيرُ.

---

(١) موقع البصرة.

سَارَ عِيَاضُ حَيْثُ وُجِّهَ إِلَيْهِ الأَمْـرُ، غَيْرَ أَنَّ قَبَائِـلَ شَمَـالِ جَزِيرَةِ العَرَبِ المُرْتَدَّةِ وَالمُتَنَصِّرَةِ وَيَدْعَمُهَـا نَصَـارَى الشَّـامِ وَمِنْ وَرَائِهِمُ الرُّومُ قَدْ قَطَعُوا عَلَيْهِ الطَّرِيقَ فِي دَوْمَةِ الجَنْدَلِ فَحَاصَرَهُمْ وَحَاصَرُوهُ فَتَأَخَّرَ عَنِ العِرَاقِ. وَكَانَ خَالِدُ قَدْ فَتَحَ السَّوَادَ وَانْتَصَرَ فِي عَيْنِ التَّمْرِ فَجَاءَهُ الأَمْـرُ بِدَعْـمِ عِيَاضٍ فَسَارَ إِلَيْهِ، وَوَصَلَ الخَبَـرُ إِلَـى الأَعْـدَاءِ فِي دَوْمَـةِ الجَنْـدَلِ فَانْفَرَطَ عِقْدُهُمْ وَضَعُفَ أَمْرُهُمْ، وَافْتَرَقُوا فِرْقَتَيْنِ، وَقَـدْ هَزَمَ خَالِدُ مَنْ قِبَلَهُ، وَانْتَصَرَ عِيَاضُ عَلَى الفِرْقَةِ الَّتِي تَلِيهِ، وَسَـارَ عِيَاضُ مَعَ خَالِدٍ إِلَى العِرَاقِ، وَاشْتَرَكَ هُنَاكَ فِي الفَتْحِ.

وَجَاءَتْ أَوَامِرُ الخَلِيفَةِ الصِّدِّيقِ، رَضِيَ اللَّـهُ عَنْـهُ، إِلَـى خَالِـدٍ بِالتَّحَـرُّكِ بِقِسْـمٍ مِنْ قُوَّاتِـهِ فِي العِـرَاقِ إِلَـى الشَّـامِ لِـدَعْمِ أَبِي عُبَيْدَةَ، فَسَارَ خَالِدُ بِسُرْعَةٍ تَنْفِيذاً لِلأَوَامِرِ، وَكَانَ عِيَاضُ بنُ غَنْمٍ أَحَدَ الأُمَرَاءِ الخَمْسَةِ الَّذِينَ سَارُوا مَعَهُ إِلَى الشَّامِ.

التَقَى المُسْلِمُـونَ مَعَ الـرُّومِ فِي اليَرْمُـوكِ، وَكَانَ عِيَاضُ عَلَى رَأْسِ كِرْدُوسٍ مِنْ كَرَادِيسِ المُسْلِمِينَ، وَكَانَ يَنْطَلِـقُ إِلَى صُفُوفِ الرُّومِ وَيَعْمَلُ فِيهِمْ حَصْداً، وَيُعَدُّ مِنَ المُسْلِمِينَ الَّـذِينَ قَدَّمُـوا تَضْـحِيَاتٍ كَبِيرَةً، وَكَانَـتِ النَتِيجَـةُ أَنِ انْتَصَـرَ

المُسْلِمُونَ نصْرَاً مُؤَزَّراً، وَهُزِمَ الرُّومُ هَزِيمَةً مُنْكَرَةً وَولُّوا الأَدْبَارَ.

سَارَ المُسْلِمُونَ بَعْدَ اليَرْمُوكِ نَحْوَ دِمَشْقَ بِقِيَادَةِ أَبِي عُبَيْدَةَ بنِ الجَرَّاحِ، وَهُوَ الَّذِيْ سَارَ فِي المَيْسَرَةِ، وَعَمْرُو بنُ العَاصِ فِي المَيْمَنَةِ، وَخَالِدُ بنُ الوَلِيدِ فِي القَلْبِ، وَكَانَ عِيَاضُ بنُ غَنْمٍ عَلَى الخَيْلِ، وَشُرَحْبِيلُ بنُ حَسَنَةَ عَلَى المُشَاةِ. وَتَمَكَّنَ المُسْلِمُونَ مِنْ فَتْحِ دِمَشْقَ، وَلَعِبَ عِيَاضُ دَوْرَاً فِي الحِصَارِ وَالفَتْحِ.

وَاتَّجَهَ فَرِيقٌ مِنَ المُسْلِمِينَ نَحْوَ (فِحْلَ) لِدَعْمِ المُجَاهِدِينَ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ الرُّومَ المُتَجَمِّعِينَ فِيْهَا، وَكَانَ عِيَاضُ بنُ غَنْمٍ قَائِدَ المُشَاةِ فِي هَذَا السَّيْرِ، غَيْرَ أَنَّ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ قَدْ بَعَثَ كِتَابَاً إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ يَأْمُرُهُ فِيْهِ بِتَسْرِيحِ القُوَّاتِ الَّتِي جَاءَتْ مِنَ العِرَاقِ إِلَيْهَا مَعَ بَقَاءِ خَالِدٍ إِلَى جَانِبِهِ، فَرَجَعَ عِيَاضُ بنُ غَنْمٍ إِلَى العِرَاقِ مَعَ مَنْ رَجَعَ لِدَعْمِ سَعْدِ بنِ أَبِي وَقَّاصٍ وَمَنْ مَعَهُ فِي حُرُوبِهِمْ ضِدَّ الفُرْسِ.

اشْتَرَكَ عِيَاضُ بنُ غَنْمٍ فِي القِتَالِ الَّذِي جَرَى فِي العِرَاقِ وَكَانَ لَهُ دَوْرٌ كَبِيرٌ بِدْءاً مِنْ مَعْرَكَةِ القَادِسِيَّةِ وَلِمُدَّةِ سَنَوَاتٍ بَعْدَهَا.

نَقَضَ أَهْلُ حِمْصَ عَهْدَهُمْ مَعَ أَبِي عُبَيْدَةَ بن ِ الجَرَّاحِ ، وَحَاصَرُوهُ، وَدَعَمَهُمُ الرُّومُ، فَكَتَبَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ إِلَى سَعْدِ بنِ أَبِي وَقَّاصٍ وَأَمَرَهُ أَنْ يُرْسِلَ القَعْقَاعَ بنَ عَمْرٍ التَّمِيمِيَّ فِي كَتِيبَةٍ بِسُرْعَةٍ إِلَى حِمْصَ دَعْماً لأَبِي عُبَيْدَةَ بن ِ الجَرَّاحِ ، وَفِي الوَقْتِ نَفْسِهِ أَمَرَهُ أَنْ يُسَيِّرَ عِيَاضَ بنَ غَنْمٍ لِفَتْحِ الجَزِيرَةِ وَلِتَخْفِيفِ ضَغْطِ الرُّومِ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ فِي حِمْصَ.

انْطَلَقَ القَعْقَاعُ فِي أَرْبَعَةِ آلاَفٍ فَوَصَلُوا فِي أَيَّامٍ قَلِيلَةٍ إِلَى حِمْصَ وَلَكِنْ بَعدَ المَعْرَكَةِ بِثَلاَثَةِ أَيَّامٍ. كَمَا جَاءَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ مَدَداً وَنَزَلَ الجَابِيَةَ وَلَكِنْ بَلَغَهُ أَنَّ المُسْلِمِينَ قَدْ نَصَرَهُمُ اللَّهُ. وَسَارَ عِيَاضُ بنُ غَنْمٍ بِجُنْدِهِ حَتَّى نَزَلَ الرُّهَا فَصَالَحَهُ أَهْلُهَا، وَصَالَحَ أَهْلُ حَرَّانَ كَذَلِكَ، وَبَعَثَ عِيَاضُ إِلَى نَصِيبِينَ أَبَا مُوسَى الأَشْعَرِيَّ فَافْتَتَحَهَا، كَمَا بَعَثَ عُمَرَ بنَ سَعْدٍ بن ِ أَبِي وَقَّاصٍ إِلَى رَأْسِ العَيْنِ ، وَعُثْمَانَ بنَ أَبِي العَاصِ إِلَى أَرْمِينِيَّةَ ، وَسَارَ سُهَيْلُ بنُ عَدِيٍّ إِلَى الرِّقَّةِ، ثُمَّ انْطَلَقَ عِيَاضُ إِلَى دَارَا. وَلَمَّا سَمِعَ أَهْلُ الجَزِيرَةِ الَّذِينَ هُمْ فِي حِمْصَ يُقَاتِلُونَ أَبَا عُبَيْدَةَ أَنَّ الكَتَائِبَ الإِسْلاَمِيَّةَ قَدْ طَرَقَتْ مُدُنَهُمْ وَقُرَاهُمْ انْفَضُّوا عَنْ حِمْصَ، وَاتَّجَهَ كُلٌّ إِلَى بَلَدِهِ فَكَانَ أَنْ

ضَعُفَ أَعْدَاءُ المُسْلِمِينَ فَانْتَصَرَ عَلَيْهِمُ الفَاتِحُونَ وَمَكَّنَ اللَّهُ لَهُمْ.

كَانَتِ الجَزِيرَةُ أَسْهَلَ البُلْدَانِ أَمْراً، وَأَيْسَرَهَا فَتْحاً، وَيَقُولُ عِيَاضُ بنُ غَنْمٍ:

مَنْ مُبْلِغِ الأَقْوَامَ أَنَّ جُمُوعَنَا
حَوَتِ الجَزِيرَةَ يَوْمَ ذَاتِ زِحَامِ
جَمَعُوا الجَزِيرَةَ وَالغِيَاثَ فَنَفَّسُوا
عَمَّنْ بِحِمْصَ غَيَابَةَ القُدَّامِ
إِنَّ الأَعِزَّةَ وَالأَكَارِمَ مَعْشَرٌ
فَضُّوا الجَزِيرَةَ عَنْ فِرَاخِ الهَامِ
غَلَبُوا المُلُوكَ عَلَى الجَزِيرَةِ فَانْتَهَوْا
عَنْ غَزْوِ مَنْ يَأْوِي بِلاَدَ الشَّامِ

وَلَمَّا انْتَهَى المُسْلِمُونَ مِنْ حِمْصَ أَمَرَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ حَبِيبَ بنَ مَسْلَمَةَ الفِهْرِيَّ أَنْ يَسِيرَ دَعْماً لِعِيَاضِ بنِ غَنْمٍ.

وَرَجَعَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ مِنَ الجَابِيَةِ إِلَى المَدِينَةِ، وَسَارَ خَالِدُ بنُ الوَلِيدِ بِأَمْرِ عُمَرَ إِلَى المَدِينَةِ، فَكَتَبَ أَبُو عُبَيْدَةَ إِلَى عُمَرَ يَسْأَلُهُ أَنَ يَضُمَّ إِلَيْهِ عِيَاضَ بنَ غَنْمٍ مَكَانَ خَالِدٍ، فَوَافَقَ، وَجَاءَ عِيَاضُ إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ.

وَوَقَعَ طَاعُونُ عَمْوَاسَ، وَأُصِيبَ أَبُو عُبَيْدَةَ، فَوَلَّى مَكَانَهُ عِيَاضَ بنَ غَنْمٍ، وَوَافَقَ الخَلِيفَةُ عَلَى ذَلِكَ، وَبَقِيَ عِيَاضُ أَمِيرَ جُيُوشِ الشَّامِ حَتَّى تُوُفِّيَ عَامَ عِشْرِينَ لِلْهِجْرَةِ أَيْ بَقِيَ مَا يَقْرُبُ مِنْ سَنَتَيْنِ.

تُوُفِّيَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَعْدَ أَنْ بَلَغَ مِنَ العُمْرِ سِتِّينَ سَنَةً، قَضَى أَكْثَرَ مِنْ ثُلْثِهَا فِي الجِهَادِ. وَبَقِيَ تِسْعَ سَنَوَاتٍ مُتَوَالِيَةٍ يَنْتَقِلُ مِنْ مَيْدَانِ جِهَادٍ إِلَى آخَرَ، وَبَيْنَ المَيْدَانِ وَالثَّانِي أَكْثَرَ مِنْ سِتِّمِائَةِ كِيلُومِتْرٍ، لَقَدِ انْتَقَلَ مَرَّتَيْنِ مِنَ العِرَاقِ إِلَى الشَّامِ وَمِثْلُهَا مِنَ الشَّامِ إِلَى العِرَاقِ، كَمَا سَارَ إِلَى الجَزِيرَةِ أَمِيراً فَاتِحاً، وَكُلُّ هَذَا الانْتِقَالِ كَانَ عَلَى جَنَاحِ السُّرْعَةِ، إِذْ كَانَ فِي كُلِّ مَرَّةٍ دَعْماً لِضَعْفٍ أَوْ إِنْقَاذاً لِوَضْعٍ قَدْ يَنْتُجُ عَنْهُ مَأْزَقٌ. فَهُوَ لِلإِنْقَاذِ لِذَا يُعَدُّ بِحَقٍّ مِنْ بُنَاةِ دَوْلَةِ الإِسْلاَمِ لِمَا كَانَ لَهُ مِنْ جُهْدٍ فِي الفَتْحِ وَدَوْرٍ فِي الجِهَادِ.

بُنَاة دَوْلَةِ الإِسْلَام

- ٤٦ -

# جَرِيرُ بنُ عَبْدِ اللهِ البَجَلِيُّ

رضي الله عنه

هُوَ جَرِيرُ بنُ عَبْدِاللَّهِ بنِ جَابِرٍ بنِ مَالِكٍ بنِ نَصْرٍ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ جُشَمٍ بنِ عَوْفٍ. مِنْ قَبِيلَةِ بَجِيلَةَ اليَمَانِيَّةِ المَعْرُوفَةِ، وَبَجِيلَةُ مِنْ قَسْرٍ، وَقَسْرُ مِنْ قَحْطَانَ.

وَمَا تُذْكَرُ بَجِيلَةُ إلاَّ وَيُذْكَرُ جَرِيرُ فَهُوَ أَشْهَرُ رِجَالِهَا فِي صَدْرِ الإِسْلاَمِ، وَأَبْرَزُ الصَّحَابَةِ فِيهَا، وهُوَ سَيِّدُهَا أَيَّامَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَمَا يُذْكَرُ جَرِيرُ بنُ عَبْدِاللَّهِ، إلاَّ وَيُذْكَرُ الحُسْنُ وَالجَمَالُ، يَقُولُ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ: مَا رَأَيْتُ رَجُلاً أَحْسَنَ مِنْ هَذَا إلاَّ مَا بَلَغَنَا عَنْ صُورَةِ يُوسُفَ.

أَسْلَمَ جَرِيرُ بنُ عَبْدِاللَّهِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ مِنَ السَّنَةِ العَاشِرَةِ أَيْ قُبَيْلَ حَجَّةِ الوَدَاعِ، وَقَدِمَ المَدِينَةَ وَرَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، يَخْطُبُ. وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ: لَمَّا دَنَوْتُ مِنَ المَدِينَةِ، أَنَخْتُ رَاحِلَتِي، وَحَلَلْتُ عَيْبَتِي، وَلَبِسْتُ حُلَّتِي

ثُمَّ دَخَلْتُ المَسْجِدَ، فَإِذَا بِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَخْطُبُ، فَرَمَانِي النَّاسُ بِالحَدَقِ. فَقُلْتُ لِجَلِيسِي: يَا عَبْدَاللَّهِ، هَلْ ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ مِنْ أَمْرِي شَيْئاً؟ قَالَ: نَعَمْ، ذَكَرَكَ بِأَحْسَنِ الذِّكْرِ، بَيْنَمَا هُوَ يَخْطُبُ، إِذْ عَرَضَ لَهُ فِي خُطْبَتِهِ فَقَالَ: «إِنَّهُ سَيَدْخُلُ عَلَيْكُمْ مِنْ هَذَا الفجِّ مِنْ خَيْرِ ذِي يَمَنٍ، أَلاَ وَإِنَّ عَلَى وَجْهِهِ مِسْحَةُ مَلَكٍ». قَالَ: فَحَمَدْتُ اللَّهَ[1].

وَكَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: مَا رَآنِي رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلاَّ تَبَسَّمَ فِي وَجْهِي وَقَالَ: «يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ مِنْ هَذَا البَابِ رَجُلٌ مِنْ خَيْرِ ذِي يَمَنٍ، عَلَى وَجهِهِ مِسْحَةُ مَلَكٍ»[2].

وَلَمَّا جَاءَ جَرِيرٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ مَعَهُ مِائَةٌ وَخَمْسُونَ مِنْ قَوْمِهِ، فَأَسْلَمُوا جَمِيعاً. وَعِنْدَمَا دَخَلَ جَرِيرٌ عَلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَلْقَى لَهُ وِسَادَةً، فَجَلَسَ عَلَى الأَرْضِ، فَقَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

---

(١) مسند أحمد ٤/ ٣٦٤، ٤/ ٣٥٩ و ٤/ ٣٦٠ وأخرجه الطبراني برقم(٢٤٨٣).

(٢) أخرجه البخاري ٧/ ٩٩، ومسلم ٢٤٧٥، وأخرجه الحميدي في مسنده رقم (٨٠٠).

وَسَلَّمَ: «أَشْهَدُ أَنَّكَ لاَ تَبْغِي عُلُوّاً فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَاداً» فَأَسْلَمَ. ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا أَتَاكُمْ كَرِيمُ قَوْمٍ فَأَكْرِمُوهُ»[1].

وَعَنْ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَقْبَلَ جَرِيرُ بنُ عَبْدِاللَّهِ، فَضَنَّ النَّاسُ بِمَجَالِسِهِمْ، فَلَمْ يُوسِعْ لَهُ أَحَدٌ، فَرَمَى إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِبُرْدَةٍ كَانَتْ مَعَهُ حَبَاهُ بِهَا، وَقَالَ: «دُونَكَهَا يَا أَبَا عَمْرٍو»، فَاجْلِسْ عَلَيْهَا. فَتَلَقَّاهَا فِي صَدْرِهِ وَنَحْرِهِ، وَقَالَ: أَكْرَمَكَ اللَّهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَمَا أَكْرَمْتَنِي.

وَرَوَى مَا يَقْرُبُ مِنْ مِائَةِ حَدِيثٍ، اتَّفَقَ الشَّيْخَانِ عَلَى ثَمَانِيَةِ أَحَادِيثَ مِنْهَا، وَانْفَرَدَ البُخَارِيُّ بِحَدِيثَيْنِ، وَمُسْلِمٌ بِسِتَّةِ أَحَادِيثَ.

وَرَوَى جَرِيرٌ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ لَهُ: «أَلاَ تُرِيحُنِي مِنْ ذِي الخَلَصَةِ - بَيْتُ خَثْعَمَ». وَكَانَ يُسَمَّى الكَعْبَةَ اليَمَانِيَّة. قَالَ جَرِيرُ: فَانْطَلَقْتُ فِي خَمْسِينَ وَمِائَةِ فَارِسٍ مِنْ أَحْمَسَ. فَخَرَّبْنَاهُ أَوْ حَرَّقْنَاهُ

---

(١) رواه ابن ماجه (٣٧١٢) وابن خزيمة (٢٢٦٦) والطبراني (٢٣٥٥).

حَتَّى تَرَكْنَاهُ كَالجَمَلِ الأَجْرَبِ. وَبَعَثَ إِلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُبَشِّرُهُ، فَبَرَّكَ عَلَى خَيْلِ أَحْمَسَ وَرِجَالِهَا خَمْسَ مَرَّاتٍ.

وَقَالَ جَرِيرٌ لِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي رَجُلٌ لاَ أَثْبُتُ عَلَى الخَيْلِ، فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى صَدْرِهِ وَقَالَ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ هَادِياً مَهْدِيّاً».

قَالَ جَرِيرُ بنُ عَبْدِاللَّهِ: كُنْتُ عِنْدَ عُمَرَ، فَتَنَفَّسَ رَجُلٌ ـ يَعْنِي: أَحْدَثَ ـ فَقَالَ عُمَرُ: عَزَمْتُ عَلَى صَاحِبِ هَذِهِ، لَمَا قَامَ، فَتَوَضَّأَ. فَقَالَ جَرِيرٌ: اعْزِمْ عَلَيْنَا جَمِيعاً. فَقَالَ: عَزَمْتُ عَلَيَّ وَعَلَيْكُمْ، لَمَا قُمْنَا. فَتَوَضَّأْنَا، ثُمَّ صَلَّيْنَا فَقَالَ عُمَرُ بَعْدَهَا: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، نِعْمَ السَّيِّدُ كُنْتَ فِي الجَاهِلِيَّةِ، وَنِعْمَ السَّيِّدُ كُنْتَ فِي الإِسْلاَمِ.

## فِي الجِهَادِ:

كَانَتِ الجَبْهَةُ الشَّرْقِيَّةُ مَيْدَانَ جِهَادِ جَرِيرِ بنِ عَبْدِاللَّهِ البَجَلِيِّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. فَبَعْدَ مَعْرَكَةِ الجِسْرِ الَّتِي اسْتُشْهِدَ فِيهَا أَبُو عُبَيْدٍ الثَّقَفِيُّ أَرْسَلَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ مَدَداً إِلَى المُثَنَّى فِيهِمْ جَرِيرُ بنُ عَبْدِاللَّهِ فِي قَوْمِهِ بَجِيلَةَ كُلِّهَا. وَكَانَ

المُثَنَّى يَعُدُّ نَفْسَهُ الأَمِيرَ وَأَنَّ جَرِيراً قَدْ جَاءَهُ مَدَداً، أَمّا جَرِيرُ فَيَعُدُّ نَفْسَهُ أَنَّهُ الأَمِيرُ، وَمَا بُعِثَ إِلاَّ أَمِيراً.

وَجَرَتْ مَعْرَكَةُ (البُوَيْبِ) الَّتِي ثَأَرَ فِيهَا المُسْلِمُونَ مِنَ الفُرْسِ لِمَعْرَكَةِ الجِسْرِ، وَكَانَتْ بِقِيَادَةِ المُثَنَّى، وَقَدْ تَمَكَّنَ المُنْذِرُ بنُ حَسَّانَ بن ضِرَارٍ الضَّبِّيُّ مِنْ طَعْنِ قَائِدِ الفُرْسِ (مِهْرَانَ)، وَأَسْرَعَ جَرِيرٌ وَاحْتَزَّ رَأْسَهُ، وَتَقَاسَمَ الاثْنَانِ سَلَبَ (مِهْرَانَ) فَأَخَذَ جَرِيرٌ سِلاَحَهُ، وَأَخَذَ المُنْذِرُ بنُ حَسَّانَ مَنْطَقَتَهُ.

وَبَعَثَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ سَعْدَ بنَ أَبِي وَقَّاصٍ أَمِيراً وَطَلَبَ مِنَ المُثَنَّى وَجَرِيرٍ أَنْ يَكُونَا تَبَعاً لَهُ، وَأَنْ يَسْمَعَا لَهُ وَيُطِيعَا.

وَفِي القَادِسِيَّةِ كَانَ سَعْدُ بنُ أَبِي وَقَّاصٍ مَرِيضاً فَبَقِيَ فِي القَصْرِ، يُطِلُّ عَلَى المُجَاهِدِينَ، وَيُشْرِفُ عَلَى سَيْرِ المَعْرَكَةِ، وَيُوَجِّهُ القِتَالَ، وَقَدْ أَوْكَلَ أَمْرَ القِتَالِ إِلَى خَالِدِ بن عُرْفُطَةَ، وَكَانَ جَرِيرُ بنُ عَبْدِاللَّهِ عَلَى المَيْمَنَةِ، وَقَيْسُ بنُ مَكْشُوحٍ عَلَى المَيْسَرَةِ، وَقَدْ أَبْلَى جَرِيرٌ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بَلاَءً حَسَناً، وَأَبْلَتْ قَبِيلَتُهُ مِثْلَ ذَلِكَ، حَتَّى قَالَ وَقَدِ اعْتَرَتْهُ سَاعَةٌ مِنَ الفَخْرِ فِي نَشْوَةِ الظَّفَرِ.

أَنَـا جَرِيرٌ كِنْيَتِـي أَبُـو عَمْرِو
قَـدْ فَتَـحَ اللَّـهُ وَسَعْـدُ فِي القَصْرِ

فَأَشْرَفَ سَعْدُ مِنْ قَصْرِهِ وَقَالَ:

وَمَـا أَرْجُـو بَجِيلَـةَ غَيْرَ أَنِّي
أُؤَمِّـلُ أَجْرَهَـا يَوْمَ الحِسَابِ
فَقَـدْ لَقِيَتْ خُيُولُهُـمُ خُيُولاً
وَقَـدْ وَقَـعَ الفَـوَارِسُ فِي الضِّرَابِ
وَقَـدْ دَلَفَـتْ بِعَرْصَتِهِـمْ خُيُول
كَأَنَّ زَهَاءَهَـا إِبْـلُ الجِرَابِ
فَلَـوْلاَ جَمْـعُ قَعْقَـاعِ بنِ عَمْرُوٍ
وَحَمَّـالٍ[1] لَلجُّـوا فِي الرِّكَابِ
وَلَـوْلاَ ذَاكَ أَلْفَيْتُـمْ رِعَاعاً
تَسِيلُ جُمُوعُـكُمْ مِثْـلَ الذُّبَابِ

وَكَانَ الفُرْسُ قَدْ وَجَّهُوا لِلْجِهَةِ الَّتِي فِيهَا بَجِيلَةَ سِتَّةَ عشَـرَ فِيلاً، وَجَعَلُوا يُلْقُـونَ تَحْـتَ أَرْجُـلِ خُيُولِ بَجِيلَـةَ حَسَـكَ الحَدِيدِ، وَيُصْلُونَهُمْ بِوَابِلٍ مِنَ النَّبْـلِ، وَكَانَ عَمْـرُو بنُ مَعْـدِ

(١) حمّال بن مالك الأسدي.

يكْرُبٍ الزَّبِيدِيُّ الفَارِسُ المَشْهُورُ يَمُرُّ بِبَجِيلَةَ وَيَقُولُ: يَا مَعْشَرَ المُهَاجِرِينَ، كُونُوا أُسُوداً فَإِنَّمَا الفَارِسِيُّ تَيْسٌ.

وَطَلَبَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ مِنْ سَعْدِ بنِ أَبِي وَقَّاصٍ أَنْ يَبْعَثَ جَيْشاً كَثِيفاً إِلَى الأَهْوَازِ بِقِيَادَةِ النُّعْمَانِ بنِ مُقَرِّنٍ، وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَكُونَ فِي عَدَادِهِ بَعْضُ الأُمَرَاءِ الشُّجْعَانِ، وَعَدَّدَ بَعْضَهُمْ وَعَلَى رَأْسِهِمْ جَرِيرُ بنُ عَبْدِاللَّهِ البَجَلِيُّ، وَهكَذَا شَهِدَتْ سَاحَاتُ الجَبْهَةِ الشَّرْقِيَّةِ تَحَرُّكَاتِهِ وانْتِقَالِهِ مِنْ مَيْدَانِ جِهَادٍ إِلَى آخَرَ وَخَلَّفَتْ عَلَى أَرْضِهَا كَثِيراً مِنْ آثَارِهِ فَقَدْ رَوَّى تُرْبَتَهَا بِدِمَاءِ قَتْلاَهُ وَفِي الوَقْتِ نَفْسِهِ فَقَدْ نَزَفَتْ جِرَاحُهُ دَماً مِعْطَاراً.

وَاجْتَمَعَ الفُرْسُ فِي نَهَاوَنْدَ فَسَارَ إِلَيْهِمُ المُسْلِمُونَ بِأَمْرٍ مِنْ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ، سَارَ المُسْلِمُونَ مِنَ الكُوفَةِ بِإِمْرَةِ حُذَيْفَةَ بنِ اليَمَانِ، وَسَارُوا مِنَ البَصْرَةِ بِإِمْرَةِ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ، وَجَاءَتِ الأَوَامِرُ بِأَنْ يَكُونَ القَائِدُ العَامُّ النُّعْمَانُ بنُ مُقَرِّنٍ، وَكَانَ بِالبَصْرَةِ. كَمَا نَصَّتِ الأَوَامِرُ أَنْ يَكُونَ حُذَيْفَةُ بنُ اليَمَانِ الأَمِيرَ إِنْ أُصِيبَ النُّعْمَانُ، فَإِنْ أُصِيبَ حُذَيْفَةُ فَالأَمِيرُ جَرِيرُ بنُ عَبْدِاللَّهِ البَجَلِيُّ، فَقَيْسُ بنُ مَكْشُوحٍ، وَعَدَّدَ سَبْعَةَ أُمَرَاء يَتَوَالُونَ وَمِنْهُمْ: أَبُو مُوسَى

الأَشْعَرِيُّ، وَالمُغِيرَةُ بنُ شُعْبَةَ، وَنُعَيمُ بـنُ مُقَـرِّنٍ. وَانْتَصَـرَ المُسْلِمُونَ نَصْرَاً عَظِيماً حَتَّى عُرِفَتْ نَهاوَنْدُ بِفَتْحِ الفُتُوحِ.

وَبَقِيَ جَرِيرُ بنُ عَبْدِاللَّهِ البَجَلِيُّ فِي جِهَادِهِ فِي تِلْكَ الجَبْهَةِ حَتَّى خَفَّتْ مَوْجَةُ الفُتُوحِ، وَشُغِلَ المُسْلِمُونَ بِأَنْفُسِهِمْ. فَأَقَامَ جَرِيرُ بِالكُوفَـةِ، ثُمَّ سَكَنَ قَرْقِيسِيَاءَ[1]، وَأَخِيراً انْتَقَـلَ إِلَـى الشَّرَاةِ حَيْثُ تُوُفِّيَ هُنَاكَ.

وَعِنْدَمَا وَقَعَ الخِلاَفُ بَيْنَ المُسْلِمِينَ اعْتَزَلَ جَرِيرُ الفِتْنَـةَ، وَيَقُولُ: بَعَـثَ عَلِيُّ إِلَـيَّ ابـنَ عَبَّـاسٍ، وَالأَشْعَـثَ، وَأَنَـا بِقَرْقِيسِيَاءَ فَقَالاَ: أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ يُقْرِئُكَ السَّلاَمَ، وَيَقُولُ: نِعْمَ مَا رَأَيْتَ مِنْ مُفَارَقَتِكَ مُعَاوِيَةَ، وَإِنِّي أُنْـزِلُكَ بِمَنْزِلَـةِ رَسُـولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الَّتِي أَنْزَلَكَهَا. فَقَالَ جَرِيرُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَعَثَنِي إِلَى اليَمَنِ أُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَقُولُوا: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّـهُ، فَإِذَا قَالُـوا، حَرُمَـتْ دِمَاؤُهُـمْ وَأَمْوَالُهُمْ. فَلاَ أُقَاتِلُ مَنْ يَقُولُ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ.

وَطَلَبَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ مِنْ جَرِيرٍ أَنْ يَسِيرَ إِلَى مُعَاوِيَةَ وَيَطْلُبُ مِنْهُ المُبَايَعَةَ، فَيَقُولُ جَرِيرُ: بَعَثَنِي عَلِـيُّ

---

(١) قرقيسياء: مدينة على نهر الفرات عند مصب نهر الخابور عليه تقريباً.

إِلَى مُعَاوِيَةَ يَأْمُرُهُ بِالمُبَايَعَةِ، فَخَرَجْتُ لاَ أَرَى أَحَداً سَبَقَنِي إِلَيْهِ، فَإِذَا هُوَ يَخْطُبُ، وَالنَّاسُ يَبْكُونَ حَوْلَ قَمِيصِ عُثْمَانَ، وَهُوَ مُعَلَّقٌ فِي رُمْحٍ.

وَبَقِيَ جَرِيرٌ مُعْتَزِلاً لِعَلِيٍّ وَمُعَاوِيَةَ بِالجَزِيرَةِ وَنَوَاحِيهَا حَتَّى تُوُفِّيَ بِالشَّرَاةِ سَنَةَ إِحْدَى وَخَمْسِينَ[1]، فِي أَيَّامِ وِلاَيَةِ الضَحَّاكِ بنِ قَيْسٍ عَلَى الكُوفَةِ زَمَنَ خِلاَفَةِ مُعَاوِيَةَ بنِ أَبِي سُفْيَانَ.

وَلَهُ مِنَ الأَوْلاَدِ: عَمْرُو، والمُنْذِرُ، وَعَبْدُاللَّهِ، وَأَيُّوبُ، وَإِبْرَاهِيمُ، وَلَمْ يُدْرِكْ إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ، وَعُرِفَ مِنْ أَحْفَادِهِ أَبُو زُرْعَةَ بنُ عَمْرٍو بنِ جَرِيرٍ.

كَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَحَدَ بُنَاةِ دَوْلَةِ الإِسْلاَمِ بِمَا ضَحَّى وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَبِمَا كَانَ لَهُ مِنْ دَوْرٍ فِي الفُتُوحِ.

(١) هناك خلاف في الروايات في سنة وفاته بين إحدى وخمسين، وأربع وخمسين.

بُنَاة دَوْلَةِ الإسْلام

- ٤٧ -

# المُثَنّى بن حَارِثَةَ الشَّيْبَانيُّ

رضي الله عنه

شَيْبَانُ بَطْنٌ مِنْ بَكْرٍ، وَكَانَتْ قَبِيلَةُ بَكْرٍ تُجَاوِرُ عَبْدَ قَيْسٍ ، وَتَنْتَشِرُ فِي شَرْقِيِّ جَزِيرَةِ العَرَبِ فِي القِسْمِ الشَّمَالِيِّ مِنْ ذَلِكَ الجُزْءِ، فِي الإِحْسَاءِ وَإِلَى الشَّمَالِ مِنْهَا إِلَى مَا يُعْرَفُ بالكُوَيْتِ اليَوْمَ، وَإِلَى بَعْض جُيُوبِ العِرَاقِ ، وكَانَتْ شَيْبَانُ آخِرَ بُطُونِ بَكْرٍ شَمَالاً وَتَنْتَقِلُ فِي بَعضِ السَّوَادِ، وَرُبَّمَا نَذْكُرُ هَانِيءَ بنَ مَسْعُودٍ الشَّيْبَانِيَّ وَمَعْرَكَةَ ذِي قَارٍ قَبْلَ الإِسْلاَمِ .

وَوَصَلَتْ أَخْبَارُ رَسُولِ اللَّه ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَدَوْلَةِ الإِسْلاَمِ إِلَى بَنِي شَيْبَانَ فَجَاءَ المُثَنَّى بنُ حَارِثَةَ الشَّيْبَانِيُّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي السَّنَةِ التَّاسِعَةِ مِنَ الهِجْرَةِ وَأَسْلَمَ، فَأَكْرَمَهُ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَمَّرَهُ عَلَى قَوْمِهِ وَطَلَبَ مِنْهُ الدَّعْوَةَ بَيْنَهُمْ فَأَسْلَمَ أَخُوهُ المُعَنَّى بنُ حَارِثَةَ وَبَعْضُ أَفْرَادٍ مِنْ شَيْبَانَ. وَتُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ رَاضٍ عَنِ المُثَنَّى وَعَمَلِهِ.

وَتَوَلَّى الصِّدِّيقُ أَمْرَ المُسْلِمِينَ، وَارْتَدَّتِ العَرَبُ وَثَبَتَ المُثَنَّى وَمَنْ مَعَهُ، وَأَرْسَلَ الصِّدِّيقُ الجُيُوشَ إِلَى المُرْتَدِّينَ حَتَّى أَخْضَعُوهُمْ أَوْ قَضَوْا عَلَيْهِمْ، وَعِنْدَمَا انْتَهَى خَالِدُ بنُ الوَلِيدِ مَنْ أَمْرِ مُسَيْلَمَةَ الكَذَّابِ فِي اليَمَامَةِ أَمَرَهُ الصِّدِّيقُ أَنْ يَتَوَجَّهَ إِلَى العِرَاقِ وَأَنْ يَدْخُلَهَا مِنْ أَسْفَلَ، عَنْ طَرِيقِ الأُبُلَّةِ (كَانَتْ مَوْقِعَ البَصْرَةِ حَالِيًّا) ثُمَّ يَنْطَلِقُ بِاتِّجَاهِ الحِيرَةِ مَنْطِقَةَ المُثَنَّى، كَمَا أَرْسَلَ إِلَى المُثَنَّى أَنْ يَلْتَحِقَ بِجُنْدِ خَالِدٍ.

وَسَارَ خَالِدٌ وَوَاعَدَ أَفْرَادَ المُسْلِمِينَ فِي السَّوَادِ أَنْ يَجْتَمِعُوا فِي «الحَضِيرِ» ثُمَّ سَارُوا إِلَى (هُرْمُزَ) فَنَصَرَ اللَّهُ عِبَادَهُ المُؤْمِنِينَ وَقَتَلَ خَالِدُ بنُ الوَلِيدِ قَائِدَ الفُرْسِ هُرْمُزَ، وَهَرَبَ الفُرْسُ فَبَعَثَ خَالِدٌ المُثَنَّى فِي آثَارِ المُنْهَزِمِينَ. وَلَمَّا وَصَلَ المُثَنَّى إِلَى نَهْرِ المَرْأَةِ، وَاقْتَرَبَ مِنَ الحِصْنِ الَّذِيْ فِيْهِ المَرْأَةُ خَلَّفَ أَخَاهُ المُعَنَّى يُحَاصِرُ الحِصْنَ، وَمَضَى هُوَ إِلَى حِصْنِ الرَّجُلِ فَحَاصَرَهُ وَدَخَلَهُ عَنْوَةً، فَقَتَلَ المُقَاتِلَةَ وَجَمَعَ الأَمْوَالَ، وَلَمَّا وَصَلَ الخَبَرُ إِلَى المَرْأَةِ صَالَحَتِ المُثَنَّى وَأَسْلَمَتْ، وَتَزَوَّجَهَا المُعَنَّى.

وَاشْتَرَكَ المُثَنَّى فِي كُلِّ المَعَارِكِ الَّتِي دَارَتْ عَلَى أَرْضِ العِرَاقِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَحِلَ خَالِدٌ بِقِسْمٍ مِنْ جَيْشِهِ إِلَى الشَّامِ

لِدَعْمِ المُجَاهِدِينَ هُنَاكَ، وَأَبْلَى المُثَنَّى بَلاَءً حَسَنَاً فِي هَذِهِ الحُرُوبِ، وَأَبْدَى شَجَاعَةً فَائِقَةً، وَقَدَّمَ أَمْثِلَةً رَائِعَةً فِي البُطُولَةِ، وَذَاعَ صِيتُهُ، وَسَارَتِ الرُّكْبَانُ بِأَخْبَارِهِ وَوَصَلَتْ إِلَى الخَلِيفَة اِلصِّدِّيقِ ، فكَانَ يَسْأَلُ عَنْهُ.

وَجَاءَتِ الأَوَامِرُ إِلَى خَالِدِ بنِ الوَلِيدِ بِالتَّحَرُّكِ إِلَى الشَّامِ بِقِسْمٍ مِنَ الجَيْشِ ، وَتَرْكِ القِسْمِ البَاقِي بِإِمْرَةِ المُثَنَّى بنِ حَارِثَةَ، وَسَارَ خَالِد، وَنَظَرَ المُثَنَّى إِلَى مَنْ بَقِيَ عِنْدَهُ وَقَدْ ذَهَبَ صَنَادِيدُ المُسْلِمِينَ فَاسْتَضْعَفَهُمْ، وَخَافَ مِنْ غَدْرِ الفُرْسِ وَكَثْرَةِ عَدَدِهِمْ، فَكَتَبَ إِلَى الصِّدِّيقِ يَطْلُبُ مِنْهُ المَدَدَ، وَانْتَظَرَ وَلَمْ يَصِلِ الدَّعْمُ، وَاسْتَبْطَأَ الخَبَرَ، فَسَارَ بِنَفْسِهِ إِلَى المَدِينَةِ، فَوَجَدَهُ عَلَى فِرَاشِ المَوْتِ، وَقَدْ أَوْصَى عُمَرَ بِنَدْبِ النَّاسِ لِلْقِتَالِ فِي العِرَاقِ . وَمَاتَ الصِّدِّيقُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَدُفِنَ، وَأَصْبَحَ عُمَرُ أَمِيراً لِلْمُؤْمِنِينَ فَحَثَّ النَّاسَ عَلَى الجِهَادِ، فَتَوانَوْا وَكَرَّرَ الحَثَّ فِي اليَوْمِ الثَّانِي وَالثَّالِثِ، وَتَكَلَّمَ المُثَنَّى وَأَخْبَرَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَى يَدِ خَالِدٍ، وَأَنَّ مُعْظَمَ السَّوَادِ اليَوْمَ بِيَدِ المُسْلِمِينَ، وَفِي اليَوْمِ الرَّابِعِ لَبَّى النِّدَاءَ أَبُو عُبَيْدِ بنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ، وَكَانَ أَوَّلَ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا، لِذَا فَقَدْ أَمَّرَهُ الخَلِيفَةُ عَلَى مَنْ لَبَّى وَسَارَ، وَأَوْصَاهُ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَاسْتِشَارَةِ

أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

سَارَ أَبُو عُبَيْدٍ إِلَى العِرَاقِ، وَمَعَهُ المُثَنَّى، وَكَانَ الفُرْسُ قَدْ اسْتَقَرَّ رَأْيُهُمْ عَلَى مَوْضُوعِ الحُكْمِ، فَمَلَّكُوا بُورَانَ بِنْتَ كِسْرَى، الَّتِي فَوَّضَتْ بِدَوْرِهَا أَمْرَ المُلْكِ إِلَى رُسْتُمَ، فَأَرْسَلَ رُسْتُمُ جَيْشاً كَثِيفاً إِلَى المُسْلِمِينَ بِقِيَادَةِ (جَابَانَ) فَالْتَقَى الطَّرَفَانِ فِي مَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ «النَّمَارِقُ» بَيْنَ الحِيرَةِ والقَادِسِيَّةِ، وَكَانَ عَلَى خَيْلِ المُسْلِمِينَ المُثَنَّى بنُ حَارِثَةَ، وَنَصَرَ اللَّهُ عِبَادَهُ المُؤْمِنِينَ وَهَزَمَ الكَافِرِينَ، وَقَدْ أُسِرَ فِي المَعْرَكَةِ قَادَةُ الفُرْسِ (جَابَانُ وَمَرْدَانْشَاه)، وَلاَحَقَهُمْ أَبُو عُبَيْدٍ وَانْتَصَرَ عَلَيْهِمْ ثَانِيَةً. ثُمَّ أَرْسَلَ المُثَنَّى بنَ حَارِثَةَ إِلَى كُورِ تِلْكَ الجِهَاتِ فَفَتَحَهَا صُلْحاً وَقَهْراً.

أَرْسَلَ رُسْتُمُ جَيْشاً كَثِيفاً آخرَ فَالْتَقَى مَعَ المُسْلِمِينَ وبَيْنَهُمَا نَهْرٌ وَعَلَيْهِ جِسْرٌ، فَأَرْسَلُوا إِلَى المُسْلِمِينَ إِمَّا أَنْ تَعْبُرُوا إِلَيْنَا وَإِمَّا أَنْ نَعْبُرَ إِلَيْكُمْ، فَقَالَ المُسْلِمُونَ لأَمِيرِهِمْ أَبِي عُبَيْدٍ: مُرْهُمْ فَلْيَعْبُرُوا هُمْ إِلَيْنَا، فَقَالَ: مَا هُمْ بِأَجْرَأَ عَلَى المَوْتِ مِنَّا، ثُمَّ اقْتَحَمَ إِلَيْهِمْ، وَدَارَتِ المَعْرَكَةُ طَاحِنَةً، دَارَتْ عَلَى المُسْلِمِينَ فَقُتِلَ مِنْهُمْ مَايَقْرُبُ مِنْ سِتَّةِ آلاَفٍ مِنْ أَصْلِ عَشْرَةِ آلاَفِ عَدَدِ جَيْشِ المُسْلِمِينَ، وَذَلِكَ أَنَّ خُيولَ المُسْلِمِينَ

كَانَتْ تَنْفُرُ مِنْ فِيلَةِ الفُرْسِ فَلاَ تُمَكِّنُهُمْ مِنْ أَنْ يَحْمِلُوا عَلَى أَعْدَائِهِمْ. فَأَمَرَ أَبُو عُبَيْدٍ بِقَتْلِ الفِيلَةِ فَقَتَلُوهَا عَنْ آخِرِهَا، فَقَدَّمَ الفُرْسُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ فِيلاً أَبْيَضَ فَحَمَلَ عَلَيْهِ أَبُو عُبَيْدٍ فَضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ فَقَطَعَ خُرْطُومَهُ، فَحَمِيَ الفِيلُ، وَخَبَطَ أَبَا عُبَيْدٍ بِرِجْلَيْهِ، وَتَوَالَى سَبْعَةُ قَادَةٍ مِنْ ثَقِيفٍ، قَتَلَهُمُ الفِيلُ كُلَّهُمْ حَتَّى آلَتِ القِيَادَةُ إِلَى المُثَنَّى بنِ حَارِثَةَ. وَكَانَ المُسْلِمُونَ قَدْ تَرَاجَعُوا وَأَخَذُوا يَمُرُّونَ عَلَى الجِسْرِ، فَانْكَسَرَ بَعْدَ أَنْ مَرَّتْ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ فَتَحَكَّمَ الفُرْسُ فِيمَنْ بَقِيَ فَعَمِلُوا فِيهِمْ قَتْلاً، فَرَمَى بَعْضُهُمْ نَفْسَهُ فِي الفُرَاتِ، فَغَرِقَ مَا يَقْرُبُ مِنْ أَرْبَعَةِ آلاَفٍ فِي النَّهْرِ.

سَارَ المُثَنَّى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَوَقَفَ عِنْدَ الجِسْرِ الَّذِيْ جَاءُوا مِنْهُ، وَنَادَى: أَيُّهَا النَّاسُ عَلَى هِينَتِكُمْ فَإِنِّي وَاقِفٌ عَلَى فَمِ الجِسْرِ، لاَ أَجُوزُهُ حَتَّى لاَ يَبْقَى مِنْكُمْ أَحَدُ هَا هُنَا. وَوَقَفَ يَحْمِي المُسْلِمِينَ مِنَ الفُرْسِ. وَانْظُرْ إِلَى رَجُلٍ يَتَصَدَّى لِجَيْشٍ كَامِلٍ مُنْتَصِرٍ يَحْمِي جُنْدَهُ وَيَتَحَمَّلُ مَسْؤُولِيَّةَ القِيَادَةِ. وَلَمَّا انْتَقَلَ النَّاسُ جَمِيعاً إِلَى النَّاحِيَةِ الأُخْرَى سَارَ المُثَنَّى فَنَزَلَ بِهِمْ أَوَّلَ مَنْزِلٍ، وَقَامَ يَحْرُسُهُمْ هُوَ وَغَيْرُهُ مِنَ الأَبْطَالِ، وَقَدْ جُرِحَ أَكْثَرُهُمْ وَأُثْخِنُوا، وَمِنَ النَّاسِ مَنْ ذَهَبَ فِي البَرِّيَّةِ لاَ يَدْرِي أَيْنَ ذَهَبَ.

كَانَ الفُرْسُ قَدِ اخْتَلَفُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ عَلَى المُلْكِ، إِذْ خَلَعُوا رُسْتُمَ، ثُمَّ عَادُوا فَوَلُّوهُ وَأَضَافُوا إِلَيْهِ الفَيْرُزَانَ. أَمَّا جَيْشُ الفُرْسِ فِي مَعْرَكَةِ الجِسْرِ فَقَدْ رَكِبُوا إِلَى المَدَائِنِ فَلَحِقَهُمُ المُثَنَّى فِي كَتِيبَةٍ مِنَ المُسْلِمِينَ، فَاعْتَرَضَ سَيْرَهُمْ أَمِيرَانِ مِنْ أُمَرَاءِ الفُرْسِ كَانَا فِي جُنْدٍ، فَأَسَرَهُمَا المُثَنَّى وَأَسَرَ مَعَهُمَا عَدَداً كَبِيراً ضَرَبَ أَعْنَاقَهُمْ إِرْهَاباً لِلْفُرْسِ. وَقَدْ فَعَلَ المُثَنَّى، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي مُلاَحَقَةِ العَدُوِّ تَقْلِيداً لِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي مُلاَحَقَةِ قُرَيْشٍ إِثْرَ غَزْوَةِ أُحُدٍ، لاَحَقَهُمْ وَالمُسْلِمُونَ مُثْخَنُونَ بِالجِرَاحِ، وَكَانَتْ هَذِهِ المَعْرَكَةُ فِي شَعْبَانَ مِنَ السَّنَةِ الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ بَعْدَ مَعْرَكَةِ اليَرْمُوكِ بِأَرْبَعِينَ يَوْماً.

أَرْسَلَ المُثَنَّى، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إِلَى مَنْ بِالعِرَاقِ مِنْ أُمَرَاءِ المُسْلِمِينَ يَسْتَمِدُّهُمْ، فَبَعَثُوا إِلَيْهِ بِالمَدَدِ، كَمَا بَعَثَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ بِمَدَدٍ كَثِيرٍ فِيهِمْ جَرِيرُ بنُ عَبْدِ اللَّهِ البَجَلِيُّ مَعَ قَوْمِهِ بَجِيلَةَ.

سَمِعَ الفُرْسُ بِكَثْرَةِ جُمُوعِ المُثَنَّى فَحَشَدُوا جَيْشاً ضَخْماً وَأَعْطُوا قِيَادَتَهُ لـ (مِهْرَانَ) فَالتَقَى الطَّرَفَانِ فِي مَكَانٍ يُقَالُ لَهُ (البُوَيْبُ) قُرْبَ الكُوفَةِ، وَبَيْنَهُمَا نَهْرُ الفُرَاتِ، فَقَالَ

الفُرْسُ: إِمَّا أَنْ تَعْبُرُوا إِلَيْنَا وَإِمَّا أَنْ نَعْبُرَ إِلَيْكُمْ. فَقَالَ المُثَنَّى: بَلِ اعْبُرُوا إِلَيْنَا، فَعبَرَ الفُرْسُ، وَتَعبَّأَ الجَمْعَانِ، وَذَلِكَ فِي رَمضَانَ فَعزَمَ المُثَنَّى عَلَى المُسْلِمِينَ فِي الفِطْرِ فَأَفْطَرُوا عَنْ آخِرِهِمْ لِيَكُونُوا أَقْوَى، وَحَثَّ المُثَنَّى النَّاسَ، وَقَالَ: إِنِّي مُكَبِّرٌ ثَلاَثَ تَكْبِيرَاتٍ فَتَهيَّأُوا فَإِذَا كَبَّرْتُ الرَّابِعَةَ فَاحْمِلُوا، فَأَجَابُوا بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فَلَمَّا كَبَّرَ أَوَّلَ تَكْبِيرَةٍ حَمَلَ الفُرْسُ حَمْلَةً أَحْدَثَتْ اضْطِرَاباً فِي صُفُوفِ المُسْلِمِينَ، وَصَبَرَ المُسلِمُونَ صَبْراً جَمِيلاً، وَلَمَّا رَأَى المُثَنَّى أَنَّ الحَرْبَ قَدْ طَالَتْ جَمَعَ بَعْضَ الأَبْطَالِ يَحْمُونَ ظَهْرَهُ، وَحَمَلَ عَلَى (مِهْرَانَ) حَتَّى أَزَالَهُ عَنْ مَوْضِعِهِ حَتَّى دَخَلَ المَيْمَنَةَ، وَلَكِنْ قَتَلَهُ بَعْضُ الرِّجَالِ، فَهُزِمَ الفُرْسُ بِمَقْتَلِ قَائِدِهِمْ. وَأَسْرَعَ المُثَنَّى إِلَى الجِسْرِ فَوَقَفَ عَلَيْهِ لِيَمْنَعَ الفُرْسَ مِنَ المُرُورِ عَلَيْهِ لِيَتَمكَّنَ مِنْهُمُ المُسْلِمُونَ، فَرَكِبُوا أَكْتَافَهُمْ يَوْمَيْنِ فَيُقَالُ: إِنَّهُ قُتِلَ مِنْهُمْ وَغَرِقَ مَا يَقْرُبُ مِنْ مَائَةِ أَلْفٍ.

التَأَمَ أَمْرُ الفُرْسِ، وَوَصَلَ الخَبَرُ إِلى أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ، فَأَرَادَ أَنْ يَسِيرَ إِلى العِرَاقِ بِنَفْسِهِ دَعْماً لِلْمُثَنَّى غَيْرَ أَنَّهُ نَزَلَ بَعْدَئِذٍ عِنْدَ رَأْيِ الصَّحَابَةِ فَأَرْسَلَ سَعْدَ بنِ أَبِي وَقَّاصٍ، وَكَتَبَ إِلَى المُثَنَّى وَجَرِيرِ بنِ عَبْدِ اللَّهِ البَجَلِيِّ أَنْ يَتْبَعَا سَعْداً، وَأَنْ يَسْمَعَا لَهُ وَيُطِيعَا، وَلَمْ يَصِلْ سَعْدٌ إِلَى العِرَاقِ حَتَّى كَانَ جُرْحُ

المُثَنَّى الَّذِي أُصِيبَ بِهِ يَوْمَ الجِسْرِ قَدِ انْتَقَضَ عَلَيْهِ فَمَاتَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَلَمَّا وَصَلَ سَعْدٌ إِلَى الحِيرَةِ أُخْبِرَ بِذَلِكَ فَتَرَحَّمَ عَلَيْهِ وَدَعَا لَهُ. وَلَمَّا انْقَضَتْ عِدَّةُ زَوْجِ المُثَنَّى سَلْمَى بِنْتِ خَصَفَةَ تَزَوَّجَهَا سَعْدٌ[1].

وَإِنَّ جِهَادَ المُثَنَّى، وَقِيَادَتَهُ، وَفُتُوحَاتِهِ لَتَجْعَلُهُ أَحَدَ بُنَاةِ دَوْلَةِ الإِسْلَامِ.

---

(١) من العادات الحسنة التي سار عليها المسلمون أن يتزوج القائد زوجة القائد الذي استشهد، ولا تترك هكذا من غير زوج تشعر بالأسى تذكر الماضي والزوج الجديد الكفء هو الذي ينسيها ما فقدت. تزوج أبو بكر أسماء بنت عميس بعد أن استشهد زوجها جعفر بن أبي طالب في مؤته، وتزوجها علي بن أبي طالب بعد وفاة أبي بكر. وتزوج خالد بن سعيد أم حكيم بنت الحارث بعد أن استشهد زوجها عكرمة، وتزوجها عمر بن الخطاب بعد أن استشهد خالد. . . والأمثلة كثيرة.

بُنَاة دَوْلَةِ الإِسْلام

-٤٨-

# خَالِدُ بنُ الوَلِيدِ المَخْزُومِيُّ

رضي الله عنه

# بَنُو مَخْزُومٍ

بَنُو مَخْزُومٍ أَحَدُ بُطُونِ قُرَيْشٍ الاثْنَي عشَرَ بَلْ تُعَدُّ مِنْ أَبْرَزِهَا لاَ يُسَامِيهَا إلاَّ بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ (بَنُو هَاشِمٍ وَبَنُو عَبْدِ شَمْسٍ) وَبَنُو عَبْدِ الدَّارِ.

وَبَرَزَ مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ قَبْلَ الإِسْلاَمِ المُغِيرَةُ بنُ عَبْدِ اللَّهِ بنِ عُمَرَ بنِ مَخْزُومٍ، فَقَدْ كَانَ لَهُ مِنَ الأَبْنَاءِ البَارِزِينَ.

١ ـ أَبُو حُذَيْفَةَ.

٢ ـ وَأَبُو رَبِيعَةَ (جَدُّ الشَّاعِرِ عُمَرَ بنَ أَبِي رَبِيعَةَ).

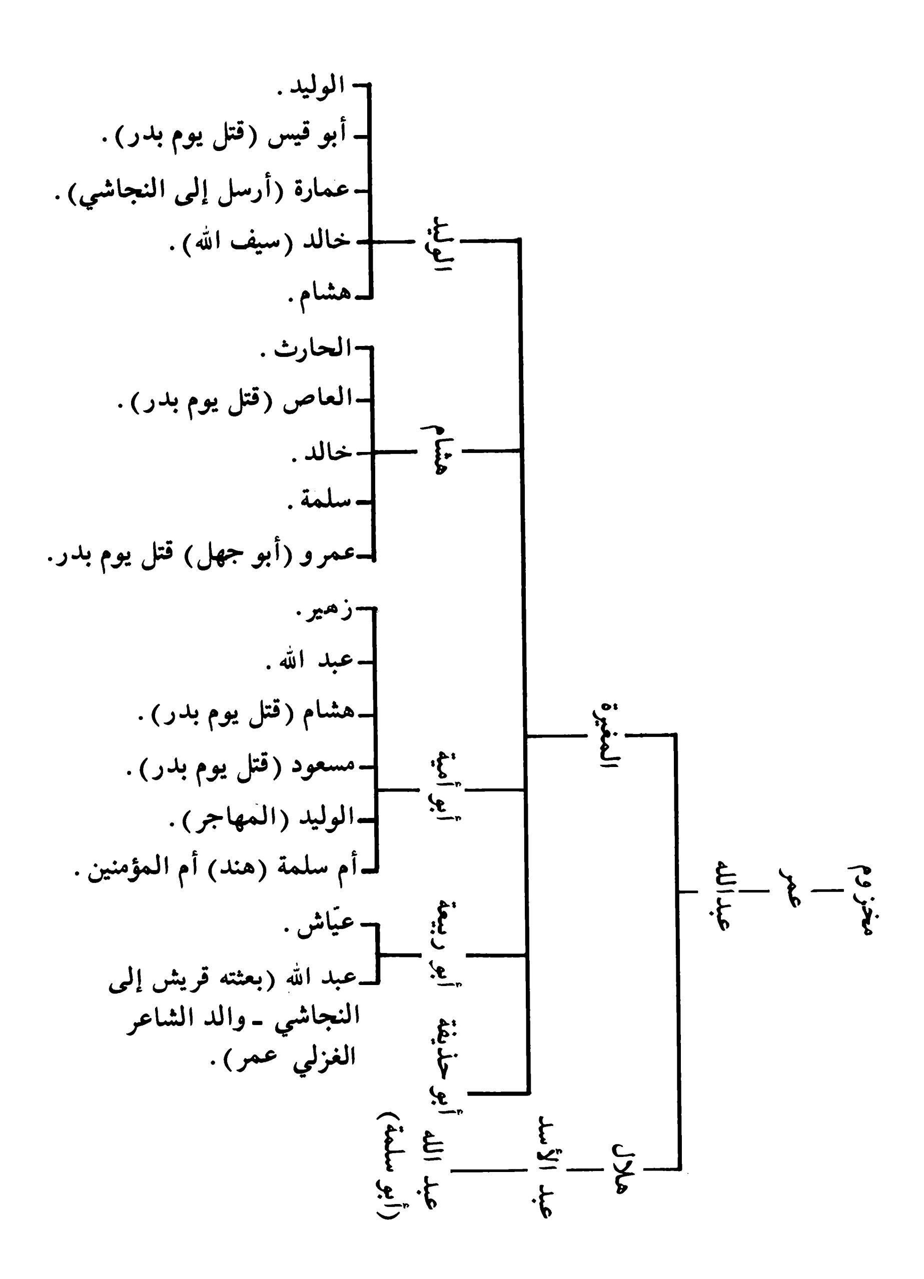
٣ ـ وَأَبُو أُمَيَّةَ الَّذِي كَانَ يُعْرَفُ بِزَادِ الرَّكْبِ لأَنَّ الرَّكْبَ الَّذِي يَسِيرُ فِيْهِ، كُلُّهُمْ يَأْكُلُونَ مِنْ زَادِهِ، وَلاَ يَسْمَحُ لأَحَدٍ أَنْ يَحْمِلَ شَيْئاً مَعَهُ، وَهُوَ زَوْجُ عَمَّةِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَاتِكَةَ بِنْتِ عَبْدِ المُطَّلِبِ، وَوَالِدُ أَبْنَاءِ عَمَّةِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، زُهَيْرٍ وَعَبْدِ اللَّهِ،

وَوَالِدُ المُهَاجِرِ بن أَبِي أُمَيَّةَ، وَوَالِدُ أُمِّ المُؤْمِنِينَ هِنْدٍ (أُمِّ سَلَمَةَ).

٤ ـ هِشَامٌ: وَالِدُ أَبِي جَهْلٍ.

٥ ـ الوَلِيدُ: الَّذِيْ بَرَزَ فِي صَدْرِ الإِسْلاَمِ، وَوَقَفَ سَدّاً فِي وَجْهِ الدَّعْوَةِ، وَكَانَ عَدُوّاً لَدُوداً لِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمُعَانِداً عَنِيداً لِلإِسْلاَمِ. وَقَدْ نَزَلَ القُرْآنُ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ بِشَأْنِهِ يَتَوَعَّدُهُ بِجَهَنَّمَ لِمَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ عِنَادٍ. وَهُوَ وَالِدُ خَالِدٍ سَيْفِ اللَّهِ، وَعُمَارَةَ الَّذِي بَعَثَتْهُ قُرَيْشٌ إِلَى نَجَاشِيِّ الحَبَشَةِ، وَالَّذِيْ أَرَادَتْ قُرَيْشٌ أَنْ تُقَدِّمَهُ لأَبِي طَالِبٍ لَيُسَلِّمَهَا مُحَمَّداً لِتَقْتُلَهُ. فَلَمَّا هَلَكَ الوَلِيدُ بنُ المُغِيرَةِ قَبْلَ الهِجْرَةِ بِثَلاَث سَنَوَاتٍ بَرَزَ ابنُ أَخِيْهِ أَبُو جَهْلٍ عَمْرُو بنُ هِشَامٍ أَوْ زَادَ وُضُوحاً، وَإِنَّ مُعَادَاتِهِ لِلإِسْلاَمِ لِمَنْ قَبْلُ، وَلَكِنْ كَانَتْ زَعَامَتُهُ أَقَلَّ مَعَ وُجُودِ عَمِّهِ الوَلِيدِ بن المُغِيرَةِ. وَلَمَّا قُتِلَ أَبُو جَهْلٍ فِي بَدْرٍ بَرَزَ ابْنُهُ عِكْرِمَةُ بنُ عَمْرٍو، وَابْنُ عَمِّهِ خَالِدُ بنُ الوَلِيدِ، وَإِنْ كَانَ كِلاَهُمَا لَمْ يَبْرُزْ إلاَّ بَعْدَ أَنْ أَسْلَمَ إذ رَفَعَهُمَا الإِسْلاَمُ، وَأَعَلَى مِنْ شَأْنِهِمَا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

وَأُمُّ خَالِدٍ هِيَ عَصْمَاءُ بِنْتُ الحَارِثِ أُخْتُ لُبَابَةَ بِنْتِ



مخزوم
عمر
عبد الله
المغيرة
الوليد
الوليد .
أبو قيس (قتل يوم بدر) .
عمارة (أرسل إلى النجاشي) .
خالد (سيف الله) .
هشام .
هشام
الحارث .
العاص (قتل يوم بدر) .
خالد .
سلمة .
عمرو (أبو جهل) قتل يوم بدر.
أبو أمية
زهير .
عبد الله .
هشام (قتل يوم بدر) .
مسعود (قتل يوم بدر) .
الوليد (المهاجر) .
أم سلمة (هند) أم المؤمنين .
أبو ربيعة
عيّاش .
عبد الله (بعثته قريش إلى النجاشي ـ والد الشاعر الغزلي عمر) .
أبو حذيفة
هلال
عبد الأسد
عبد الله (أبو سلمة)

الحَـارِثِ أُمِّ الفَضْـلِ زَوْجِ العَبَّاسِ بـنِ عبـدِ المطلِـبِ، فَعَبْدُ اللَّهِ بنُ عَبَّاسٍ وَخَالِدُ أَبْنَاءُ خالَةٍ. وَكَذَلِكَ هِيَ أُخْتُ أُمِّ المُؤْمِنِينَ مَيْمُونَةَ بِنْتِ الحَارِثِ الَّتِي تَزَوَّجَهَا رَسُـولُ اللَّـهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ، فِي عُمْرَةِ القَضَاءِ فِي شَهْرِ ذِي القِعْدَةِ مِنَ السَّنَةِ السَّابِعَةِ.

وَأَمَّا إِخْوَةُ خَالِدٍ فَهُمْ:

١ ـ الوَلِيدُ: أُسِرَ يَوْمَ بَدْرٍ، وَافْتَدَاهُ أَخُوهُ هِشَامٌ، وَهُـوَ شَقِيق لَهُ، وَأَسْلَمَ بعدها، وَحَبَسَهُ أَخْوَالُهُ، وَلَقِيَ رَسُولَ اللَّـهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَوْمَ عُمْرَةِ القَضَاءِ، وَالْتَحَقَ بَعْدَئِذٍ بِأَبِي بَصِيرٍ، وَيُقَالُ وَصَلَ إِلَى المَدِينَةِ.

٢ ـ أَبُو قَيْسٍ: قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ كَافِراً.

٣ ـ عُمَارَةُ: مَاتَ فِي بِلاَدِ الحَبَشَةِ كَافِراً.

٤ ـ هِشَامُ: كَانَ مِنَ المُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ.

وَأَمَّا أَبْنَاؤُهُ فَقَدِ اشتَهَرَ مِنْهُمْ:

١ ـ سُلَيْمَانُ: وَهُوَ أَكْبَرُ أَوْلاَدِ خَالِدٍ، وَبِهِ يُكَنَّى، وَأُمُّه كَبْشَةُ بِنْتُ هَوْذَةَ بنِ أَبِي عَمْرٍو العُذْرِيَّةُ.

٢ ـ عَبْدُ الرَّحْمَنِ : عُرِفَ بِقِتَالِهِ الرُّوم ، وَغَزْوِ بِلاَدِهِمْ، وَقَدْ شَهِدَ صِفِّينَ مَعَ مُعَاوِيَةَ، وَكَانَ مِنْ قَادَتِهِ. يُقَالُ: إنَّ طَبِيباً نَصْرَانِيَّاً دَسَّ لَهُ السُّمَّ فَمَاتَ مِنْهُ عَامَ ٤٦هـ. وَكَانَ الشَّاعِرُ كَعْبُ بنُ جُعَيْلٍ صَدِيقاً لَهُ، فَلَمَّا مَاتَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ، قَالَ مُعَاوِيَةُ لِكَعْبٍ: أَنَسِيتَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بَعْدَ مَوْتِهِ؟ قَالَ: لاَ، وَقَدْ رَثَيْتُهُ فَقُلْتُ:

أَلاَ تَبْكِي وَمَا ظَلَمَتْ قُرَيْش
بِأَعْوَالِ البُكَاءِ عَلَى فَتَاهَا
وَلَوْ سُئِلَتْ دِمَشْقُ وَبَعْلَبَكٌّ
وَحِمْصٌ مَنْ أَبَاحَ لَكُمْ حِمَاهَا
بِسَيْفِ اللَّهِ أَدْخَلَهَا المَنَايَا
وَهَدَّمَ حِصْنَهَا وَحَوَى قُرَاهَا
وَأَنْزَلَهَا مُعَاوِيَةَ بنَ صَخْرٍ
وَكَانَتْ أَرْضُهُ أَرْضاً سِوَاهَا

٣ ـ المُهَاجِرُ: وَأُمُّهُ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَنَسِ بنِ مُدْرِكٍ الخَثْعَمِيَّةُ. وَكَانَ المُهَاجِرُ فِي الشَّامِ فِي الأَرْضِ الَّتِي نَزَلَ فِيهَا طَاعُونُ عَمْوَاسَ مَعَ عَدَدٍ مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ فَأُصِيبَ أَكْثَرُهُمْ وَلَمْ يَنْجُ مِنْهُمْ سِوَى أَرْبَعَةٍ، مِنْهُمُ المُهَاجِرُ. وَقَدْ شَهِدَ مَعَ عَلِيٍّ مَعْرَكَةَ الجَمَلِ ،

وَصِفِّينَ. وَانْتَقلَ إِلى الشَّامِ، وَقَتلَ الطَبِيبَ النَّصْرَانِيَّ الَّـذِيْ دَسَّ السُّمَّ لأِخِيهِ عَبْدَ الرَّحْمَنِ، وَفَرَّ مِنَ بَنِي أُمَيَّةَ، وَالْتَحـقَ بِعَبْدِ اللَّهِ بنِ الزُّبَيْرِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فِي مَكَّةَ. وَتُوفِّيَ فِي الحِجَازِ عِنْدَ ابنِ الزُّبَيْرِ.

## خالِدٍ فِي الجَاهِلِيَّةِ

وُلِدَ خَالِدٌ فِي السَّنَةِ التَّاسِعَةِ وَالثَّلاَثِين قَبْلَ الهِجْـرَةِ، فَهُـوَ أَصْغَرُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِأَرْبَعَ عَشْـرَةَ سَنَةً.

وَمَا أَنْ بَلَغَ مَرْحَلَةَ الشَّبَابِ حَتَّى بَدَأَتْ تَطْرُقُ أَسْمَاعَهُ فِكْرَةُ الإِسْلاَمِ، وَمُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَأَخذَتْ تَضِجُّ بِهَذَا مَكَّةُ، وَوَجَدَ نَفْسَهُ فِي بِيئَةٍ مُعَارِضَةٍ لِهَذَا كُلَّ المُعَارَضَةِ، بَلْ إِنَّ أَبَاهُ وَأُسْرَتَهُ كُلَّهَا يَتَوَلَّوْنَ أَمْرَ حَرْبِ الدَّعْوَةِ وَمُعَادَاةِ صَاحِبِهَا، فَثَبَتَ هَذَا فِي ذِهْنِهِ، وَتَرَسَّخَ فِي أَعْمَاقِهِ، وَخَاصَّةً أَنَّ الجَاهِلِيَّةَ هِيَ المُسَيْطِـرَةَ، وَفِـكْرَةَ التَّفَاخُـرِ بِالآبَـاءِ وَالأَجْـدَادِ أَمْـرٌ قَائِـمٌ، وَالقُرْآنُ يَتَنَزَّلُ مُتَحَدِّياً أَبَاهُ، مُتَوَعِّداً إِيَاهُ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ. وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ. لاَ تُبْقِي وَلاَ تَذَرُ. لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ. عَلَيْهَا تِسْعَةَ

عشر﴾(١)، فَأَمْعَنَ فِي كَرَاهِيَةِ القُرآنِ، وَكَرَاهِيَةِ مَنْ يَتَنَزَّلُ عَلَيْهِ. إضَافَةً إلَى أَنَهُ لاَ يَزَالُ تَابعٌ لأَبِيهِ وَأُسْرَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ، وَكُلُّهُمْ عَلَى هَذِهِ الكَرَاهِيَةِ.

فِي أُحُدٍ:

وَعَبَّأَتْ قُرَيْشٌ ثَلاثَةَ آلاَفٍ مِنْ أَبْنَائِهَا لِلثَّأْرِ مِنَ المُسْلِمِينَ الَّذِينَ قَتَلُوا يَوْمَ بَدْرٍ صَنَادِيدَ قُرَيْشٍ، كَمَا عَبَّأَتْ مِائَتَا فَرَسٍ، وَقَدْ جَعَلُوا عَلَى مَيْمَنَةِ الخَيْلِ خَالِدَ بنَ الوَلِيدِ وَعَلَى مَيْسَرَتِهَا عِكْرِمَةَ بنَ عَمْروِ بنِ هِشَامٍ. وَسَارَ هَذَا الحَشْدُ نَحْوَ المَدِينَةِ وَعِنْدَ سُفُوحِ جَبَلِ أُحُدٍ الجَنُوبِيَّةِ التَقَوْا مَعَ المُسْلِمِينَ الَّذِينَ لَمْ يَزِدْ عَدَدُهُمْ عَلَى سَبْعِمِائَةِ مُقَاتِلٍ، وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُمْ سِوَى فَرَسَيْنِ، إِحْدَاهُمَا لِلزُّبَيْرِ بنِ العَوَّامِ، وَالأُخْرَى لِلْمِقْدَادِ بنِ عَمْروٍ، وَاحْتَدَمَتِ المَعْرَكَةُ وَفَرَّتْ خَيْلُ قُرَيْشٍ المائَتَانِ أَمَامَ فَرَسَيْ المُسْلِمِينَ إذِ الإِيمانُ أَقْوَى مِنَ الرِّجَالِ، وَمِنَ الأَعْدَادِ، وَمِنَ الشُّجْعَانِ، كَمَا فَرَّ رِجَالُ قُرَيْشٍ، وَظَنَّ المُسْلِمُونَ أَنَّ المَعْرَكَةَ قَدِ انْتَهَتْ فَنَزَلَ أَكْثَرُ الرُّمَاةِ عَنِ الجَبَلِ مُخَالِفِينَ أَوَامِرَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَمحَ

---

(١) سورة المدثر: الآيات ٢٦ ـ ٣٠.

خَالِـدٌ تَغَيُّرَ المَوَاقِـعِ فَالْتَفَّ خَلْفَ الجَبَـلِ وَصَعِـدَهُ فَقَتَـلَ عَبْدَ اللَّهِ بنَ جُبَيْرٍ أَمِيرَ الرُّمَاةِ وَمَنْ بَقِيَ مَعَهُ مِنْهُمْ، وَجَاءَ عَلَى المُسْلِمِينَ مِنَ الخَلْفِ، وَشَعَرَ الفَارُّونَ مِنْ قُرَيْشٍ فَتَنَادَوْا وَلَمُّوا شَمْلَهُمْ، وَغَيَّرُوا وِجْهَتَهُمْ، وَوَاجَهُوا المُسْلِمِينَ الَّذِينَ وَقَعُوا بَيْنَ نَارَيْنِ ، فَدَارَتْ عَلَيْهِمُ الدَّائِرَةُ، وَكَانَتْ قَاسِيَةً عَلَيْهِمْ لِمَا نَالَهُمْ وَلِمَا أَصَابَ رَسُولَهُمْ، وَبِذَا يَكُونُ لِخَالِدٍ دَوْرٌ كَبِيرٌ فِيمَا حَلَّ بِالمُسْلِمِينَ يَوْمَ أُحُدٍ.

## فِي الحُدَيْبِيَّةِ:

خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي شَهْرِ ذِي القِعْدَةِ مِنَ السَّنَةِ السَّابِعَةِ مِنَ المَدِينَةِ مُتَّجِهاً نَحْوَ مَكَّةَ يُرِيدُ العُمْرَةَ، وَلاَ يُرِيدُ حَرْبَهُ، وَوَصَلَ نَبَأُ خُرُوجِهِ إِلَى قُرَيْشٍ فَأَخَذَتْهَا العِزَّةُ بِالإِثْمِ ، وَصَعُبَ عَلَيْهَا أَنْ تَرَى المُسْلِمِينَ فِي مَكَّةَ، وَعَزَّ عَلَيْهَا أَنْ يَرَى أَبْنَاؤُهَا قُوَّةَ المُسْلِمِينَ، وَهُمْ يَطُوفُونَ بِالبَيْتِ، لِذَا فَقَدْ أَرْسَلَتْ خَالِداً عَلَى رَأْسِ فِرْقَةٍ مِنَ الفُرْسَانِ لِيَقْطَعَ الطَّرِيقَ عَلَى المُسْلِمِينَ، وَيَحُولَ دُونَ وُصُولِهِمْ إِلَى مَكَّةَ، وَنَزَلَ فِي (كُرَاعِ الغَمِيمِ)، وَبَلَغَ الخَبَرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَغَيَّرَ الطَّرِيقَ، وَوَصَلَ إِلَى الحُدَيْبِيَّةِ، وَجَاءَتْ قُرَيْشٌ، وَحَالَتْ دُونَ وُصُولِهِ إِلَى البَيْتِ،

وَتَمَّتْ بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ، ثُمَّ جَرَى الصُّلْحُ، وَمِمِا يَقْضِي أَنْ يَعُودَ المُسْلِمُونَ فِي هَذَا العَامِ مِنْ غَيْرِ زِيَارَةٍ، وَأَنْ يَأْتُوا لِتَأْدِيَةِ الزِّيَارَةِ فِي العَامِ المُقْبِلِ.

**فِي عُمْرَةِ القَضَاءِ:**

رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالمُسْلِمُونَ إِلَى المَدِينَةِ. وَاسْتَدَارَ العَامُ، وَسَارَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَعَ صَحْبِهِ إِلَى مَكَّةَ لِتَأْدِيَةِ عُمْرَةِ القَضَاءِ، وَدَخَلَ المُسْلِمُونَ وَأَدُّوا المَنَاسِكَ، وَعَادُوا، غَيْرَ أَنَّ خَالِداً خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ أَثْنَاءَ وُجُودِ المُسْلِمِينَ فِيهَا، إِذْ صَعُبَ عَلَيْهِ أَنْ يَرَاهُمْ فِيْهَا.

# إِسْلَامُ خَالِدٍ

تَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي عُمْرَةِ القَضَاءِ خَالَةَ خَالِدٍ، مَيْمُونَةَ بِنْتَ الحَارِثِ، فَبَدَأَ خَالِدُ يُفَكِّرُ فِي الأَمْرِ. فَقَدْ مَضَى عَشْرُ سَنَوَاتٍ أَوْ أَكْثَرُ عَلَى مَوْتِ أَبِيهِ فَخَفَّتِ الحَمِيَّةُ الجَاهِلِيَّةُ، كَمَا مَضَى سِتُّ سَنَوَاتٍ عَلَى مَوْتِ ابْنِ عَمِّهِ أَبِي جَهْلٍ فَأَصْبَحَ فِي حُكْمِ النِّسْيَانِ، وَإِنَّ بَيْتَ خَالَتِهِ

لُبابَةَ أُمِّ الفَضْلِ زَوْجِ العَبَّاسِ بنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ بَيْتُ إسْلاَمٍ ، وَهَاهِيَ خَالَتُهُ الثَّانِيَةُ تَزَوَّجَتْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كَمَا أَسْلَمَ أَخُوهُ الوَلِيدُ، ولَكِنَّهُ عُذِّبَ، وَالعُظَمَاءُ لاَ يُبَالُونَ بِالمِحَنِ إذَا آمَنُوا بِمَا أَقْدَمُوا عَلَيْهِ، وَمِنْ قَبْلُ أَسْلَمَ ابْنُ عَمِّهِ عَيَّاشُ بنُ أَبِي رَبِيعَةَ، وَهَاجَرَ ثُمَّ رَدَّهُ ابْنَا عَمِّهِ أَبُو جَهْلٍ عَمْرُو بنُ هِشَامٍ ، وَالحَارِثُ بنُ هِشَامٍ ، وَهُمَا أَخَوَاهُ لأُمِّهِ. أَمْرُ الإِسْلاَمِ يَقْوَى وَيَزْدَادُ، الوَثَنِيَّةُ تَتَدَاعَى وَتَضْعُفُ، وَالأَصْنَامُ تَدْرِيجِيّاً تَتَهَاوَى، الحَقُّ وَاضِحٌ، وَالأَمْرُ بَيِّنٌ ولاَ يَحْتَاجُ إلاَّ إلَى شَيْءٍ مِنَ التَّفْكِيرِ وَإِعْمَالِ العَقْلِ .

وَلَكِنَّ الَّذِي أَثَّرَ فِي نَفْسِيَّةِ خَالِدٍ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِ مَا نَقَلَهُ لَهُ أَخُوهُ الوَلِيدُ، فَإِنَّ خَالِداً قَدْ غَابَ عَنْ مَكَّةَ أَثْنَاءَ وُجُودِ المُسْلِمِينَ فِيْهَا، فَالْتَقَى رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِالوَلِيدِ بنِ الوَلِيدِ أَخِي خَالِدٍ، وَكَانَ مُسْلِماً حَبَسَهُ أَخْوَالُهُ فَأُفْلِتَ مِنْ سِجْنِهِ أَثْنَاءَ العُمْرَةِ وَالْتَحَقَ بِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ لَهُ: لَوْ أَتَانَا خَالِدٌ لأَكْرَمْنَاهُ وَمَا مِثْلُهُ سَقَطَ عَلَيْهِ الإِسْلاَمُ فِي عَقْلِهِ. فَكَتَبَ الوَلِيدُ بِذَلِكَ إلَى خَالِدٍ، فَتَغَيَّرَتْ نَفْسِيَّتُهُ، وَلاَنَ قَلْبُهُ وَمَالَ إلَى الإِسْلاَمِ ، ثُمَّ صَمَّمَ عَلَى ذَلِكَ وَقَرَّرَ الهِجْرَةَ، وَاتَّفَقَ مَعَ عُثْمَانَ بنِ طَلْحَةَ بنِ أَبِي طَلْحَةَ عَلَى ذَلِكَ، وَانْطَلَقَا،

فَالْتَقَيا فِي الطَّـرِيقِ مَعَ عَمْرِو بـنِ العَـاصِ ، قَادِمـاً مِنَ الحَبَشَةِ، فَقَالَ: أَيْنَ يَا أَبَا سُلَيْمَانَ؟ فَأَجَابَ خَالِدُ: وَاللَّهِ لَقَدِ اسْتَقَامَ المَنْسِمُ[1]، وإِنَّ الرَّجُلَ لَنَبِيٌّ، أَذْهَبُ وَاللَّهِ فَأُسْلِـمُ، فَحَتَّـى مَتَـى! قَالَ عَمْرُو بـنُ العَـاصِ: وَاللَّـهِ مَا جِئْـتُ إلاَّ لأُسْلِمَ. وَانْطَلَقَ ثَلاثَتُهُمْ إِلَى المَدِينَةِ فَقَدِمُوهَا عَلَـى النَّبِـيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَتَقَدَّمَ خَالِدٌ فَأَسْلَمَ وَبَايَعَ، ثُمَّ أَسْلَـمَ وَبَـايَعَ صَاحِبَـاهُ، وَذَلِكَ فِي شَهْـرِ صَفَـرٍ مِنَ العَـامِ الثَّامِـنِ لِلْهِجْرَةِ.

## مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

أَقَامَ خَالِدُ بنُ الوَلِيدِ فِي المَدِينَةِ مُهَاجِراً إِلَيْهَا، يَسْمَعُ مَا يَنْزِلُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، وَيَرَى مَا يَفْعَلُ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَا يَقُولُ. وَلَمْ يَزِدْ كَثِيراً عَلَى الشَّهْرَيْنِ عَلَـى إِسْلاَمِ خَالِدٍ حَتَّى انْطَلَقَ المُسْلِمُونَ إِلَى مُؤْتَـةَ لِلْغَـزْوِ بِإِمْـرَةِ زَيْدِ بنِ حَارِثَةَ. انْطَلَقَ ثَلاثَةُ آلافٍ مِنَ المُسْـلِمِينَ فِي شَهْـرِ جُمَادَى الأُولَى. فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَى مَعَانَ عَلِمُـوا أَنَّ الـرُّومَ قَدْ حَشَدُوا مِائَةَ أَلْفٍ، وَانْضَمَّ إِلَيْهِمْ مَائَةُ أَلْفٍ آخَرُونَ مِنَ العَرَبِ

---

(١) أي تبين الطريق ووضح، وأصل المنسم: خف البعير.

المُتَنصِّرَةِ، فَهَابَ المُسْلِمُونَ عَدُوَّهُمْ، ثلاَثَةُ آلاَفٍ يُقابِلُونَ مِائَتَي أَلْفٍ، فَأَخَذُوا يُفَكِّرُونَ فِي أَمْرِهِمْ فَشَجَّعَهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بنُ رَواحَةَ فقَالَ: يَا قَوْمُ، وَاللَّهِ إنَّ الَّتِي تكْرَهُونَ لَلَّتِي خَرَجْتُمْ تَطْلُبُونَ الشَّهَادَةَ، وَمَا نُقَاتِلُ النَّاسَ بِعَدَدٍ وَلاَ قُوَّةٍ وَلاَ كَثْرَةٍ، مَا نُقَابِلُهُمْ إلاَّ بِهَذَا الدِّينِ الَّذِيْ أَكْرَمَنَا اللَّهُ بِهِ، فَانْطَلِقُوا فَإِنَّمَا هِيَ إِحْدَى الحُسْنَيَيْنِ: إمَّا ظُهُور وَإِمَّا شَهَادَةٌ. فَقَالَ النَّاسُ: قَدْ وَاللَّهِ صَدَقَ ابنُ رَواحَةَ، فَمَضَى النَّاسُ عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ، وَبِرِعَايَتِهِ.

**فِي مُؤْتَه:**

وَشَارَكَ خَالِدُ فِي هَذِهِ الغَزْوَة، وَوَصَلَ النَّاسُ إلَى مُؤْتَه وَنَظَّمُوا صُفُوفَهُمْ، والْتَقَوْا بالأَعْدَاءِ، فَقَاتَلَ زَيْدٌ حَتَّى اسْتُشْهِدَ، فَتَنَاوَلَ الرَّايَةَ مِنْهُ جَعْفَرُ بنُ أَبِي طَالِبٍ حَتَّى اسْتُشْهِدَ، فَأَخَذَ الرَّايَةَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ رَوَاحَةَ فقَاتَلَ حَتَّى اسْتُشْهِدَ. ثُمَّ أَخذَ الرَّايَةَ ثَابِتُ بنُ أَقْرَمَ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ المُسْلِمِينَ اصْطَلِحُوا عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ، قَالُوا: أَنْتَ، قَالَ: مَا أَنا بِفَاعِلٍ، فَاصْطَلَحُوا عَلَى خَالِدِ بنِ الوَلِيدِ، فَلَمَّا أَخذَ الرَّايَةَ دَافَعَ القَوْمَ، وَانْحَازَ بِهِمْ وَانْحَازَ عَنِ الأَعْدَاءِ حَتَّى انْصَرَفَ بِالنَّاسِ.

لَمْ يَكُنِ الانْصِرَافُ بِالنَّاسِ والانْسِحَابُ مِنَ المَيْدَانِ بِالأَمْرِ السَّهْلِ ، إذْ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ انْسِحَاباً مُنَظَّماً ، فَالجَيْشُ مُبَعْثَرٌ، وَالمَعْنَوِيَّاتُ غَيْرُ جَيِّدَةٍ، كَمَا يَخْشَى مِنْ مُلاَحَقَةِ الرُّومِ لَهُ وَإِبَادَتَهُ وَهُوَ بِهَذِهِ الحَالَةِ، وَهَذِهِ الكَثْرَةُ مِنَ الرُّومِ تَسْتَطِيعُ ابْتِلاَعَ هَذِهِ الفِئَةِ القَلِيلَةِ مِنَ المُسْلِمِينَ، لِذَا كَانَتِ المُهِمَّةُ المُلْقَاةُ عَلَى عَاتِقِ خَالِدٍ صَعْبَةً. وَلَيْسَ هُنَاكَ مِنْ خِطَّةٍ سِوَى الانْسِحَابِ، إذْ لاَ يُمْكِنُ مُوَاصَلَةُ القِتَالِ. وعِنْدَمَا جَنَّ اللَّيْلُ وَتَوَقَّفَ القِتَالُ. جَمَعَ خَالِدٌ شَمْلَ الجَيْشِ ، وَغَيَّرَ القِيَادَاتِ ، وَبَدَّلَ مَوَاقِعَ القُطْعَاتِ، فَأَصْبَحَتِ المَيْمَنَةُ مَكَانَ المَيْسَرَةِ، وَالمَيْسَرَةُ فِي مَوْضِعِ المَيْمَنَةِ، وَقَدَّمَ السَّاقَةَ، وَأَخَّرَ المُقَدِّمَةَ لِيُوهِمَ العَدُوَّ أَنَّ دَعْماً قَدْ جَاءَ إلَى المُسْلِمِينَ فِي اللَّيْلِ . ثُمَّ أَمَرَ بَعْضَ الفُرْسَانِ أَنْ تَنْطَلِقَ مَسَافَةً إِلَى الجَنُوبِ مَعَ مَجْمُوعَاتٍ فَإِذَا مَا بَدَأَتِ المَعْرَكَةُ فِي الصَّبَاحِ جَاءَتْ هَذِهِ المَجْمُوعَاتُ مُتَتَالِيَةً بَعْضُهَا وَرَاءَ بَعْضٍ مُثِيرَةً الغُبَارَ، وَتَنْخَرِطَ فِي القِتَالِ مُبَاشَرَةً.

وَأَصْبَحَ الصَّبَاحُ وَاصْطَفَّ المُقَاتِلُونَ لِلنِّزَالِ، وَرَأَى الرُّومُ أَمَامَهُمْ وُجُوهاً جَدِيدَةً، فَتَوَقَّعُوا وُصُولَ مَدَدٍ إِلَى المُسْلِمِينَ، وَلاَ شَكَّ أَنَّ الَّذِينَ وَصَلُوا إِلَى المَيْدَانِ حَدِيثاً لاَ يَزَالُونَ فِي

رَاحَةٍ كَمَا أَنَّ مَعْنَوِيَّاتِ المُسْلِمِينَ قَدِ ارْتَفَعَتْ بِوُصُولِ المَدَدِ. وَمَا أَنْ بَدَأَ الصِّرَاعُ حَتَّى بَدَأَتْ تَصِلُ مَجْمُوعَاتُ الفُرْسَانِ مُثِيرَةً الغُبَارَ فَأَيْقَنَ الرُّومُ بِمَجِيءِ المَدَدِ الكَبِيرِ لِلْمُسْلِمِينَ، وَغَطَّى الغُبَارُ جَوَّ المَعْرَكَةِ، وَقَلَّتِ الرُّؤْيَةُ، فَضَعُفَتْ مَعْنَوِيَّاتُ الأَعْدَاءِ وَحَمَلَ عَلَيْهِمْ خَالِدٌ حَمْلَةً صَادِقَةً كَبَّدَتْهُمْ خَسَائِرَ جَسِيمَةً لَمْ يَعْرِفُوا بَعْدُ مِثْلَهَا. وَأَمَامَ انْهِيَارِ مَعْنَوِيَّاتِ الرُّومِ، وَخَسَائِرِهِمُ الكَبِيرَةِ، وَيَقِينِهِمْ بِكَثْرَةِ المُسَاعَدَاتِ الَّتِي وَصَلَتْ إِلَى المُسْلِمِينَ انْسَحَبَ خَالِدٌ بِالجَيْشِ، وَخَافَ الرُّومُ مِنْ تَعَقُّبِ المُسْلِمِينَ إِذْ لَمْ يَتَوَقَّعُوا إِلاَّ أَنَّهَا خِطَّةٌ لاسْتِدْرَاجِهِمْ، فَمَكَثُوا فِي مَكَانِهِمْ حَذِرِينَ، يُضَمِّدُونَ جِرَاحَهُمْ، وَيَنْتَظِرُونَ هُجُوماً مُفَاجِئاً بَيْنَ الحِينِ وَالآخَرِ، وَانْطَلَقَ خَالِدُ بِالمُسْلِمِينَ نَحْوَ المَدِينَةِ.

وَنَعَى رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، زَيْداً وَجَعْفَراً وَابْنَ رَوَاحَةَ لِلنَّاسِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُمُ الخَبَرُ، فَقَالَ: أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَهَا جَعْفَرٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَهَا ابْنُ رَوَاحَةَ فَأُصِيبَ وَعَيْنَاهُ تَذْرُفَانِ، حَتَّى أَخَذَ الرَّايَةَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ - يَعْنِي خَالِدَ بنَ الوَلِيدِ - حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ.

عَنْ قَيْسٍ، سَمِعْتُ خَالِداً يَقُولُ: لَقَدْ رَأَيْتُنِي يَوْمَ مُؤْتَةَ انْدَقَّ

فِي يَدِي تِسْعَةُ أَسْيَافٍ، فَصَبَرتْ فِي يَدِي صَفِيحَةٌ يَمَانِيَّةٌ[1].

## فِي فَتْحِ مَكَّةَ:

وَصَلَ خَالِدٌ بِالجَيْشِ الإِسْلاَمِيِّ إِلَى المَدِينَةِ رَاجِعاً مِنْ مُؤْتَةَ، فَمَكَثُوا مَا يَزِيدُ عَلَى الشَّهْرَينِ قَلِيلاً وَإِذْ بِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَتَحَرَّكُ نَحْوَ مَكَّةَ لِفَتْحِهَا، وَوَصَلَ المُسْلِمُونَ إِلَى ذِي طَوَىً فَقَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَعْطَى القِيَادَاتِ، فَكَانَ خَالِدُ بنُ الوَلِيدِ عَلَى المَيْمَنَةِ، وَقَدْ أَمَرَ أَنْ يَدْخُلَ مَكَّةَ مِنَ الجَنُوبِ (مَحَلَّةِ المَسْفَلَةِ) اليَوْم والتي كَانَتْ تُسَمَّى (اللِّيطَ)، وَأَمَرَ الزُّبَيْرَ بنَ العَوَّامِ أَنْ يَدْخُلَهَا مِنَ الجِهَةِ الشَّمَالِيَّةِ مِنْ نَاحِيَةِ (كُدَىً)، وَأَمَرَ سَعْدَ بنَ عُبَادَةَ أَنْ يَدْخُلَ مِنَ الجِهَةِ الجَنُوبِيَّةِ الغَرْبِيَّةِ، عَلَى حِينَ دَخَلَ أَبُو عُبَيْدَةَ بنُ الجَرَّاحِ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِنَ الشَّمَالِ الغَرْبِيِّ. وَدَخَلَ المُسْلِمُونَ مَكَّةَ، وَكَانَ التَّوَاضُعُ لِلَّهِ، وَكَانَ الحَمْدُ للَّهِ، وَلَمْ يَحْدُثْ قِتَال إِلاَّ فِي نَاحِيَةٍ وَاحِدَةٍ إِذْ تَجَمَّعَ عَدَدٌ مِنْ قُرَيْشٍ يَقُودُهُمْ عِكْرِمَةُ بنُ هِشَامِ بنِ عَمْرٍو، وَصَفْوَانُ بنُ أُمَيَّةَ، وَسُهَيْلُ بنُ عَمْرٍو العَامِرِيُّ، وَدَعَمَتْهُمْ بَنُو بَكْرٍ، وَهُذَيْلٌ، إذ صَعُبَ

---

(١) أخرجه البخاري في المغازي (٤٢٦٥) و (٤٢٦٦).

عليهم ـ كما يزعمون ـ ان يروا المسلِمين يقتحِمون البيت الحَرَامَ، فَتجمَّعُوا فِي مَنْطِقَةِ الخِنْدِمَةَ، وَعِنْدَمَا انْطَلَقَ خالِد لِيَسِيرَ إِلَى جِهَةِ الجَنُوبِ وَقَفُوا فِي وَجْهِهِ، وَحَاوَلُوا مَنْعَهُ مِنَ التَقدُّمِ، وَقَدِ اتَّخَذُوا مَوْقِعاً حَصِيناً لَهُمْ، فَأَنْذَرهُمْ فَبادَؤُوهُ بِالنَّبْلِ، ثُمَّ تَقَدَّمُوا إِلَيْهِ مُقَاتِلِينَ، فَدَعَاهُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ، وَأَنْذَرَهُمْ، فَأَبَوْا إِلاَّ الصُّمُودَ وَالحَرْبَ، فَهَجَمَ عَلَيْهِمَ فَفَرَّقَ شَمْلَهُمْ فَفَرُّوا بَعْدَ أَنْ تَرَكُوا وَرَاءَهُمْ ثَمَانِيَةً وَعِشْرِينَ قَتِيلاً، وَفَرَّ صَفْوَانُ، وَفَرَّ عِكْرِمَةُ، وَهَرَبَ سُهَيْلُ بنُ عَمْرٍو، وَاتَّخَذَ كُلٌّ لِنَفْسِهِ طَرِيقاً لِلْهَرَبِ.

وَلَمَّا بَلَغَ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الخَبَرُ سَأَلَ خَالِداً عَمَّا حَدَثَ، وَقَدْ نَهَى عَنِ القِتَالِ، فَأَخْبَرَه بِمَا كَانَ فَسَكَتَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ: «قَضَى اللَّهُ خَيْراً».

## فِي بَنِي جُذَيْمَةَ:

بَعْدَ أَنْ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَكَّةَ وَحَطَّمَ الأَصْنَامَ فِيْهَا، وَأَمَّنَ النَّاسَ، أَرْسَلَ السَّرَايَا إِلَى الجِهَاتِ الَّتِي حَوْلَ مَكَّةَ، تَنْشُرُ الإِسْلاَمَ، وَتَدْعُو إِلَى اللَّهِ، وَكَانَ خَالِدُ مِمَّنْ بَعَثَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَى أَسْفَلِ تِهَامَةَ إِلَى بَنِي جُذَيْمَةَ مِنْ كِنَانَةَ، وَنَهَاهُ عَنِ القِتَالِ.

سَارَ خَالِدُ وَوَصَلَ إلَى دِيَارِ بَنِـي جُذَيْمَـةَ فَلَمَّـا رَآهُ القَـوْمُ اسْتَعَدُّوا، وَحَمَلُوا السِّلاَحَ، فَقَالَ لَهُمْ خَالِدُ: ضَعُوا السِّلاَحَ فَإِنَّ النَّاسَ قَدْ أَسْلَمُوا. فَوَضَعُوا السِّلاَحَ، غَيْرَ أَنَّ خَالِـداً قَدْ قَتَلَ مِنْهُمْ مَنْ تَرَدَّدَ، وَوَصَلَ الخَبَرُ إلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَقَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدُ بنُ الـوَلِيدِ»، وَأَرْسَـلَ فِي أَثَـرِهِ عَلِيَّ بـنَ أَبِـي طَالِـبٍ، فَأَعْطَـى الدِّيَّاتِ، وَأَعَادَ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ، بَلْ دَفَعَ لَهُمْ مَا بَقِيَ مِنَ المَالِ الَّذِي أَرْسَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَزَادَ عَنِ الدِّيَّاتِ. وَعَدَّ تَصَرُّفَ خَالِدٍ اجْتِهَاداً مِنْهُ، وَلَمْ يُحَاسِبْهُ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَوْ عَدَّهُ مُخَالِفاً وَقَاتِلاً لَحَمَّلَـهُ دِيَّاتِ القَـوْمِ. وَلَـكِنْ غَضِـبَ عُمَرُ بـنُ الخَطَّابِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَوْفٍ مِنْ تَصَرُّفِ خَالِدٍ وَجَرَى بَيْنَهُمْ كَلاَمٌ.

**هَدْمُ العُزَّى:**

كَانَ صَنَمُ العُـزَّى فِي مَوْضِـعٍ يُقَـالُ لَهُ (نَخْلَـةَ) بَيْنَ مَكَّةَ وَالطَّائِفَ، وَكَانَ بَيْتاً تُعَظِّمُهُ قُرَيْشٌ، وَكِنَانَةُ، وَمُضَـرُ كُلُّهَـا، وَكَانَ سَدَنَتُهَا مِنْ آلِ شَيْبَانَ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ حُلَفَاءِ بَنِي هَاشِمٍ.

بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، خَالِداً لِهَدْمِهَا،

فَسَارَ إِلَيْهَا فَهَدَّمَها، ثُمَّ رَجعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَشَهِدَ خَالِدٌ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حُنَيناً وَالطَّائِفَ، وَرَجَعَ مَعَهُ إِلَى المَدِينَةِ. وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ أَزْهرٍ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَوْمَ حُنَيْنٍ يَتَخَلَّلُ النَّاسَ، يَسْأَلُ عَنْ رَحْلِ خَالِدٍ، فَدُلَّ عَلَيْهِ، فَنَظَرَ إِلَى جُرْحِهِ، وَحَسِبْتَ أَنَّهُ نَفَثَ فِيْهِ.

**فِي تَبُوكَ:**

خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، إِلَى تَبُوكَ فِي شَهْرِ رَجَبٍ مِنَ السَّنَةِ التَّاسِعَةِ. فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهَا جَاءَهُ صَاحِبُ أَيْلَةَ (العَقَبَة)، وَصَالَحَ وَأَعْطَى الجِزْيَةَ، وَأَتَى أَهْلُ (جَرْبَاء) وَ (أَذْرُح) فَصَالَحُوا وَأَعْطَوْا الجِزْيَةَ.

ثُمَّ أَرْسَلَ خَالِدَ بنَ الوَلِيدِ إِلَى دَوْمَةِ الجَنْدَلِ، وَعَلَيْهَا (أُكَيْدِرُ بنُ عَبْدِ المَلِكِ) وَكَانَ مَلِكاً عَلَيْهَا، وَهُوَ مِنْ كِنْدَةَ، وَمُعْظَمُ أَهْلِهَا مِنْ قَبَائِلِ كَلْبٍ، أَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، خَالِداً وَبَعَثَ مَعَهُ أَرْبَعَمِائَةٍ وَعِشْرِينَ فَارِساً، وَتَسَاءَلَ خَالِدٌ: هَلْ يَسْتَطِيعُ بِهَذِهِ القُوَّةِ القَلِيلَةِ أَنْ يُخْضِعَ تِلْكَ المَمْلَكَةِ المُحَصَّنَةِ؟ فَطَمْأَنَهُ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ، وَقَالَ لَهُ: «إِنَّكَ سَتَجِدُهُ يَصِيدُ البَقَرَ» فَخَرَجَ خَالِدٌ، حَتَّى إِذَا كَانَ مِنْ حِصْنِهِ بِمَنْظَرِ العَيْنِ، وَفِي لَيْلَةٍ مُقْمِرَةٍ صَائِفَةٍ، وَهُوَ عَلَى سَطْحٍ لَهُ، وَمَعَهُ امْرَأَتُهُ، فَبَاتَتِ البَقَرُ تَحُكُّ بِقُرُونِهَا بَابَ القَصْرِ. فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ: هَلْ رَأَيْتَ مِثْلَ هَذَا قَطُّ؟ قَالَ: لاَ، وَاللَّهِ! قَالَتْ: فَمَنْ يَتْرُكُ هَذِهِ؟ قَالَ: لاَ أَحَدُ. فَنَزَلَ فَأَمَرَ بِفَرَسِهِ فَأُسْرِجَ لَهُ، وَرَكِبَ مَعَهُ نَفَرٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، فِيهِمْ أَخٌ لَهُ يُقَالُ لَهُ حَسَّانُ. فَرَكِبَ، وَخَرَجُوا مَعَهُ بِمَطَارِدِهِمْ. فَلَمَّا خَرَجُوا تَلَقَّتْهُمْ خَيْلُ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخَذَتْهُ، وَقَتَلُوا أَخَاهُ. وَقَدْ كَانَ عَلَيْهِ قَبَاءٌ مِنْ دِيبَاجٍ مُخَوَّص بِالذَّهَبِ، فَاسْتَلَبَهُ خَالِدٌ، فَبَعَثَ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَبْلَ قُدُومِهِ بِهِ عَلَيْهِ.

ثُمَّ إِنَّ خَالِداً قَدِمَ بِأُكَيْدِرٍ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَحَقَنَ لَهُ دَمَهُ، وَصَالَحَهُ عَلَى الجِزْيَةِ، ثُمَّ خَلَّى سَبِيلَهُ، فَرَجَعَ إِلَى قَرْيَتِهِ[1].

## فِي نَجْرَانَ:

أَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِتَبُوكَ بِضْعَ عَشَرَةَ

---

(١) سيرة ابن هشام.

لَيْلَةً، لَمْ يُجَاوِزْهَا، ثُمَّ انْصَرَفَ قَافِلاً إِلَى المَدِينَةِ، وَخَالِدُ مَعَهُ.

وَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِنَ المَدِينَةِ فِي شَهْرِ جُمَادَى الأُولَى سَنَةَ عَشْرٍ خَالِدَ بنَ الوَلِيدِ إِلَى بَنِي الحَارِثِ بنِ كَعْبٍ بِنَجْرَانَ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَدْعُوهُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ قَبْلَ أَنْ يُقَاتِلَهُمْ ثَلاَثاً، فَإِنِ اسْتَجَابُوا فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَإِنْ لَمْ يَفْعَلُوا فَقَاتِلْهُمْ. فَخَرَجَ خَالِدُ حَتَّى قَدِمَ عَلَيْهِمْ، فَبَعَثَ الرُّكْبَانَ يَضْرِبُونَ فِي كُلِّ وَجْهٍ، وَيَدْعُونَ إِلَى الإِسْلاَمِ، وَيَقُولُونَ: أَيُّهَا النَّاسُ، أَسْلِمُوا تَسْلَمُوا. فَأَسْلَمَ النَّاسُ، وَدَخَلُوا فِيمَا دُعُوا إِلَيْهِ. فَأَقَامَ فِيهِمْ خَالِدُ يُعَلِّمُهُمُ الإِسْلاَمَ وَكِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَبِذَلِكَ كَانَ أَمَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِنْ هُمْ أَسْلَمُوا وَلَمْ يُقَاتِلُوا.

ثُمَّ كَتَبَ خَالِدُ بنُ الوَلِيدِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: لِمُحَمَّدٍ النَّبِيِّ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِنْ خَالِدِ بنِ الوَلِيدِ، السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهَ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ، أَمَّا بَعْدُ، يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ، فَإِنَّكَ بَعَثْتَنِي إِلَى بَنِي الحَارِثِ بنِ كَعْبٍ، وَأَمَرْتَنِي

إذَا أَتَيْتُهُمْ أَلاَّ أُقَاتِلُهُمْ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ ، وَأَنْ أَدْعُوهُمْ إلَى الإِسلامِ ، فَإِنْ أَسلَمُوا أَقَمْتُ فِيهِمْ، وَقَبِلْتُ مِنْهُمْ، وَعَلَّمتُهُمْ مَعَالِمَ الإِسْلاَمِ وكِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبيِّهِ، وَإِنْ لَمْ يُسْلِمُوا قَاتَلْتُهُمْ، وَإِنِّي قَدِمْتُ عَلَيْهِمِ فَدَعَوْتُهُمْ إلَى الإِسْلاَمِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ ، كَمَا أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَبَعَثْتُ فِيْهِمْ رُكْبَاناً قَالُوا: يَا بَنِي الحَارِثِ، أَسْلِمُوا تَسْلَمُوا، فَأَسْلَمُوا وَلَمْ يُقَاتِلُوا، وَأَنا مُقِيمٌ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ، آمُرُهُمْ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ، وَأَنْهَاهُمْ عَمَّا نَهَاهُمُ اللَّهُ عَنْهُ، وَأُعَلِّمُهُمْ مَعَالِمَ الإِسْلاَمِ ، وَسُنَّةَ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَتَّى يَكْتُبَ إلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالسَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

فَكَتَبَ إلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . مِنْ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى خَالِدِ بنِ الوَلِيدِ. سَلاَمٌ عَلَيْكَ، فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهَ الَّذِي لاَ إِلَهَ إلاَّ هُوَ. أَمَّا بَعْدُ. فَإِنَّ كِتَابَكَ جَاءَنِي مَعَ رَسُولِكِ تُخْبِرُ أَنَّ بَنِي الحَارِثِ بنِ كَعْبٍ قَدْ أَسْلَمُوا قَبْلَ أَنْ تُقَاتِلَهُمْ، وَأَجَابُوا إِلَى مَا دَعَوْتَهُمْ إِلَيْهِ مِنَ الإِسْلاَمِ ، وَشَهِدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إلاَّ اللَّهَ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَأَنْ قَدْ هَدَاهُمُ اللَّهُ

بِهُدَاهُ، فَبَشِّرْهُمْ وَأَنْذِرْهُمْ، وَأَقْبِلْ وَلْيُقْبِلْ مَعَكَ وَفْدُهُمْ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ[1].

فَأَقْبَلَ خَالِدٌ وَأَقْبَلَ مَعَهُ وَفْدُ بَنِي الحَارِثِ بنِ كَعْبٍ، وَالْتَقَوْا بِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَكَلَّمَهُمْ، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ قَيْسَ بنَ الحُصَيْنِ، ثُمَّ رَجَعُوا، فَبَعَثَ فِي أَثَرِهِمْ عَمْرو بنَ حَزْمٍ لِيُفَقِّهَهُمْ فِي الدِّينِ، وَيَأْخُذَ مِنْهُمْ الصَّدَقَاتِ.

وَشَهِدَ خَالِدٌ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَجَّةَ الوَدَاعِ.

دَخَلَ خَالِدُ بنُ الوَلِيدِ عَلَى خَالَتِهِ مَيْمُونَةَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَوَجَدَ عِنْدَهَا ضَبَّاً مَحْنُوذَاً قَدِمَتْ بِهِ أُخْتُهَا حُفَيْدَةُ بِنْتُ الحَارِثِ مِنْ نَجْدٍ، فَقَدَّمَتْهُ لِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَرَفَعَ يَدَهُ، فَقَالَ خَالِدٌ: أَحَرَامٌ هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «لاَ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ بِأَرْضِ قَوْمِي فَأَجِدُنِي أَعَافُهُ»[2]. فَاجْتَرَرَهُ خَالِدٌ، فَأَكَلَهُ وَرَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَنْظُرُ وَلَمْ يَنْهَهُ.

---

(١) سيرة ابن هشام.

(٢) أخرجه البخاري، ومسلم، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه، والدارمي، وأحمد، ومالك.

وَعَنْ عَمْرِو بنِ العَاصِ قَالَ: مَا عَدَلَ بِي رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَبِخَالِدٍ أَحَداً فِي حَرْبِهِ مُنْذُ أَسْلَمْنَا[1].

وَتُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ عَنْهُ رَاضٍ.

لَهُ حَدِيثَانِ فِي الصَّحِيحَيْنِ، وَفِي مُسْنَدِ بَقِيِّ بنِ مَخْلَدٍ، وَاحِدٌ وَسَبْعُونَ حَدِيثاً.

## مَعَ الخَلِيفَةِ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تَوَلَّى أَمْرَ المُسْلِمِينَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، فَارْتَدَّت العَرَبُ، وَامْتَنَعَ بَعْضُهَا عَنْ دَفْعِ الزَّكَاةِ، وَعَدَّهَا ضَرِيبَةً كَانَ يَأْخُذُهَا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أَرْسَلَ أَبُو بَكْرٍ بَعْثَ أُسَامَةَ الَّذِي كَانَ قَدْ جَهَّزَهُ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تَنْفِيذَاً لِمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَدْ عَزَمَ عَلَى تَنْفِيذاً، وَإِظْهَاراً لِلْمُرْتَدِّينَ وَمَانِعِي الزَّكَاةِ أَنَّ الدَّوْلَةَ الإِسْلاَمِيَّةَ قَوِيَّةٌ فَهَا هِيَ

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط والكبير. ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ٣٥٠.

تُرْسِلُ بَعْثَ أُسَامَةَ رَغْمَ أَنَّ المَخَاطِرَ تُحْدِقُ بِالمَدِينَةِ، وَتَحُفُّ بِالمُجْتَمَعِ ، وَتُحِيطُ بِالدَّوْلَةِ، فَالغَارَاتُ قَدْ وَصَلَتْ إِلَى المَدِينَةِ غَيْرَ أَنَّ الصِّدِّيقَ قَدْ رَدَّهَا، وَانْتَصَرَ عَلَى القَبَائِلِ ، وَرَجَعَ بَعْثُ أُسَامَةَ، فَخَلَّفَ الصِّدِّيقُ أُسَامَةَ عَلَى المَدِينَةِ وَسَارَ إِلَى ذِي القَصَّةِ، وَلَمَّا اسْتَرَاحَ رِجَالُ أُسَامَةَ عَقَدَ الصِّدِّيقُ أَحَدَ عَشَرَ لِوَاءً لِقِتَالِ المُرْتَدِّينَ وَمَانِعِي الزَّكَاةِ، وَكَانَ مِمَّنْ عَقَدَ لَهُمْ خَالِدَ بنَ الوَلِيدِ. وَقَدْ رَوَى الإِمَامُ أَحْمَدُ: أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ لَمَّا عَقَدَ لِخَالِدِ بنِ الوَلِيدِ عَلَى قِتَالِ أَهْلِ الرِّدَّةِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «نِعْمَ عَبْدُ اللَّهِ وَأَخُو العَشِيرَةِ ـ خَالِدُ بنُ الوَلِيدِ ـ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ، سَلَّهُ اللَّهُ عَلَى الكُفَّارِ وَالمُنَافِقِينَ».

## قِتَالُ المُرْتَدِّينَ:

وَلَمَّا فَارَقَ الصِّدِّيقُ خَالِداً وَاعَدَهُ أَنَّهُ سَيَلْقَاهُ فِي نَاحِيَةِ خَيْبَرَ بِمَنْ مَعَهُ مِنَ الأُمَرَاءِ، وَأَظْهَرُوا ذَلِكَ لِيُرْعِبُوا الأَعْرَابَ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَذْهَبَ أَوْلاً إِلَى طُلَيْحَةَ الأَسَدِيِّ ثُمَّ إِلَى بَنِي تَمِيمٍ . وَبَعَثَ الصِّدِّيقُ عَدِيَّ بنَ حَاتِمٍ الطَّائِيَّ إِلَى قَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يَلْتَحِقُوا بِطُلَيْحَةَ.

### ١ ـ بَنُو طَيِّءٍ:

مَالَ خَالِدٌ إِلَى بَنِي طَيِّءٍ، فَطَلَبَ مِنْهُ عَدِيٌّ أَنْ يُمْهِلَهُ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ فَأَمْهَلَهُ رَيْثَمَا يَعُودُ الَّذِينَ التَحَقُوا بِطُلَيْحَةَ، وَبَعْدَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ جَاءَ عَدِيٌّ مَعَ خَمْسِمِائَةِ مُقَاتِلٍ، وَانْضَمُّوا إِلَى خَالِدٍ.

### ٢ ـ بَنُو جُدَيْلَةَ:

وَسَارَ خَالِدٌ إِلَى بَنِي جُدَيْلَةَ وَسَبَقَهُ عَدِيٌّ إِلَيْهِمْ فَأَقْنَعَهُمْ فَجَاءَ إِلَى خَالِدٍ مِنْهُمْ أَلْفَ مُقَاتِلٍ، وَسَارَ خَالِدٌ حَتَّى نَزَلَ بِأَجَأْ وَسَلْمَى، فَعَبَّأَ جَيْشَهُ هُنَاكَ، وَهَبَطَ نَحْوَ دِيَارِ بَنِي أَسَدٍ.

### ٣ ـ طُلَيْحَةُ الأَسَدِيُّ:

وَالتَقَى مَعَ طُلَيْحَةَ الأَسَدِيِّ بِمَكَانٍ يُقَالُ لَهُ (بُزَاخَةَ). وَكَانَ طُلَيْحَةُ وَأَخُوهُ سَلَمَةُ قَدْ قَتَلاَ طَلِيعَةَ جَيْشِ خَالِدٍ وَفِيهَا: عُكَاشَةُ بنُ مِحْصَنٍ وَثَابِتُ بنُ أَقْرَم. وَعِنْدَمَا التَقَى خَالِدٌ بِجَيْشِ طُلَيْحَةَ فَرَّ عُيَيْنَةُ بنُ حِصْنٍ بنِ بَدْرٍ بِمَنْ مَعَهُ مِنْ بَنِي فَزَارَةَ، وَهَرَبَ النَّاسُ عَنْ طُلَيْحَةَ، ثُمَّ إِنَّ طُلَيْحَةَ قَدِ امْتَطَى جَوَادَهُ، وَأَخَذَ امْرَأَتَهُ النُّوَارَ عَلَى بَعِيرٍ، وَهَرَبَا إِلَى الشَّامِ. وَأَسَرَ خَالِدٌ عُيَيْنَةَ بنَ حِصْنٍ، وَقُرَّةَ بنَ هُبَيْرَةَ أَحَدَ القَادَةِ مَعَ طُلَيْحَةَ وَأَرْسَلَهُمَا إِلَى المَدِينَةِ، فَاسْتَتَابَهُمَا الصِّدِّيقُ، وَحَقَنَ

دِمَاءَهُمَا فَرَجَعَا إِلَى الإِسْلاَمِ . وَقَدْ كَتَبَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ إِلَى خَالِدِ بنِ الوَلِيدِ، حِيْنَ جَاءَهُ أَنَّهُ كَسَرَ طُلَيْحَةَ وَمَنْ كَانَ فِي صَفِّهِ وَقَامَ بِنَصْرِهِ فَكَتَبَ إِلَيْهِ: لِيَزِدْكَ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ خَيْرَاً، وَاتَّقِ اللَّهَ فِي أَمْرِكَ، فَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ. جِدَّ فِي أَمْرِكَ وَلاَ تَلِنْ، وَلاَ تَظْفَرْ بِأَحَدٍ مِنَ المُشْرِكِينَ قَتَلَ مِنَ المُسْلِمِينَ إلاَّ نَكَّلْتَ بِهِ، وَمَنْ أَخَذْتَ مِمَّنْ حَادَّ اللَّهَ أَوْضَادَّهُ مِمَّنْ يَرى أَنَّ فِي ذَلِكَ صَلاَحَاً فَاقْتُلْهُ[1] . فَأَقَامَ خَالِدُ بِـ (بُزَاخَةَ) شَهْرَاً، يَصْعَدُ فِيهَا وَيُصَوِّبُ، وَيَرْجِعُ إِلَيْهَا فِي طَلَبِ الَّذِينَ وَصّاهُ بِسَبَبِهِمُ الصِّدِّيقُ، فَجَعَلَ يَتَرَدَّدُ فِي طَلَبِ هَؤُلاَءِ شَهْرَاً، يَأْخُذُ بِثَأْرِ مَنْ قَتَلُوا مِنَ المُسْلِمِينَ الَّذِينَ كَانُوا بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ حِينَ ارْتَدُّوا، فَمِنْهُمْ مَنْ حَرَّقَهُ بِالنَّارِ، وَمِنْهُمْ مَنْ رَضَخَهُ بِالحِجَارَةِ، وَمِنْهُمْ مَنْ رَمَى بِهِ مِنْ شَوَاهِقِ الجِبَالِ، كُلُّ هَذَا لِيَعْتَبِرَ بِهِمْ مَنْ يَسْمَعُ بِخَبَرِهِمْ مِنْ مُرْتَدَّةِ العَرَبِ[1] . وَقَالَ الثَّوْرِيُّ عَنْ قَيْسِ بنِ مُسْلِمٍ عَنْ طَارِقِ بنِ شِهَابٍ قَالَ: لَمَّا قَدِمَ وَفْدُ بُزَاخَةَ ـ أَسَدٍ وَغَطَفَانَ ـ عَلَى أَبِي بَكْرٍ يَسْأَلُونَهُ الصُّلْحَ، خَيَّرَهُمْ أَبُو بَكْرٍ بَيْنَ حَرْبٍ مُجْلِيَةٍ أَوْ خِطَّةٍ مُخْزِيَةٍ، فَقَالُوا: يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ، أَمَّا الحَرْبُ

---

(١) البداية والنهاية، ابن كثير.

المُجْلِيَةُ فقدْ عرَفْنَاهَا، فَمَا الخِطَّةُ المُخْزِيَةُ؟ قَالَ: تُؤْخَذُ مِنْكُمُ الحَلَقَةَ والكِرَاعَ، وَتُتْرَكُونَ أَقْوَاماً يَتْبَعُونَ أَذْنَابَ الإِبِلِ حَتَّى يُرِيَ اللَّهُ خَلِيفَةَ نَبِيِّهِ وَالمُؤْمِنِينَ أَمْراً يُعْذِرُونَكُمْ بِهِ، وَتُؤَدُّونَ مَا أَصَبْتُمْ مِنَّا، وَلاَ نُؤَدِّي مَا أَصَبْنَا مِنْكُمْ، وَتَشْهَدُونَ أَنَّ قَتلاَنَا فِي الجَنَّةِ وَأَنَّ قَتْلاَكُمْ فِي النَّارِ، وتَدُونَ قَتْلاَنَا وَلاَ نَدِي قَتْلاَكُمْ، فَقَالَ عُمَرُ: أَمَّا قَوْلُكَ: تَدُونَ قَتْلاَنَا، فَإِنَّ قَتْلاَنَا قُتِلُوا عَلَى أَمْرِ اللَّهِ وَلاَ دِيَّاتَ لَهُمْ، وَقَالَ عُمَرُ فِي الثَّانِي: نِعْمَ مَا رَأَيْتَ(١).

### ٤ ـ أُمُّ زِمْلٍ:

تَجَمَّعَ حَشْدٌ مِنَ الَّذِينَ فَرُّوا يَوْمَ (بُزَاخَةَ) مِنْ قَبِيلَةِ غَطَفَانَ حَوْلَ امْرَأَةٍ يُقَالُ لَهَا: أُمُّ زِمْلٍ، وَهِيَ سَلْمَى بِنْتُ مَلَكِ بنِ حُذَيْفَةَ، وَحَرَّضَتْهُمْ عَلَى قِتَالِ خَالِدٍ، وَانْضَمَّ إِلَيْهِمْ أَعْدَادٌ مِنْ قَبَائِلِ طَيٍّ، وَبَنِي سُلَيْمٍ، وَأَسَدٍ، وَهَوَازِنَ حَتَّى عَظُمَ شَأْنُهُمْ، وَسَمِعَ خَالِدٌ بِجَمْعِهِمْ فَجَاءَ إِلَيْهِمْ فَهَزَمَهُمْ وَعَقَرَ جَمَلَ أُمِّ زِمْلٍ وَقَتَلَهَا.

### ٥ ـ بنُو تَمِيمٍ:

اخْتَلَفَتْ آرَاءُ بَنِي تَمِيمٍ يَوْمَ الرِّدَّةِ، مِنْهُمْ مَن ارْتَدَّ وَامْتَنَع

---

(١) رواه البخاريّ من حديث الثّوريّ بسنده مختصراً.

عَنْ دَفْعِ الزَّكَاةِ، وَمِنْهُمْ مَنْ بَقِيَ عَلَى إسْلاَمِهِ، وَأَرْسَلَ الزَّكَاةَ إِلَى المَدِينَةِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَحَيَّرَ فِي أَمْرِهِ وَوَقَفَ يَنْتَظِرُ مَا تتَمَخَّضُ عَلَيْهِ الأُمُورُ، وَلَمْ تَلْبَثْ أَنْ وَصَلَتْ إِلَيْهِمْ سَجَاحُ بِنْتُ الحَارِثِ بنِ سُوَيْدٍ التَّغْلِبيَّةُ مِنَ الجَزِيرَةِ الفُرَاتِيَّةِ، وَهِيَ مِنْ نَصَارَى العَرَبِ، وادَّعَتِ النُّبُوَّةَ، وَجَاءَتْ تُرِيدُ غَزْوَ المَدِينَةِ. فَلَمَّا وَصَلَتْ إِلَى دِيَارِ تَمِيمٍ وَافَقَهَا عَامَّتُهُمْ وَخَاصَّةً رُؤسَاءَهُمْ مَالِكَ بنَ نُوَيْرَةَ[1]، وَعُطَارِدَ بنَ حَاجِبٍ. وَلَمْ يُوافِقْهَا آخَرُونَ، غَيْرَ أَنَّ بَنِي تَمِيمٍ قَدِ اتَّفَقُوا أَلاَّ يُحَارِبَ بَعْضُهُمْ بَعْضَاً. ثُمَّ دَعَتْ جَمْعَهَا إِلَى مُحَارَبَةِ الرِّبَابِ مِنْ تَمِيمٍ غَيْرَ أَنَّهُمُ اتَّفَقُوا عَلَى نَصْرِهَا. وَبَعْدَهَا سَارَتْ إِلَى مُسَيْلَمَةَ الكَذَّابِ فَتَزَوَّجَهَا، وَبَقِيَتْ عِنْدَهُ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ، وَأَخِيراً رَجَعَتْ إِلَى بِلاَدِهَا فَأَقَامَتْ فِي بَنِي تَغْلِبٍ حَتَّى أَجْلاَهُمْ مُعَاوِيَةُ عَنِ الجَزِيرَةِ عَامَ الجَمَاعَةِ (٤١ هـ).

---

(١) مالك بن نويرة: وافق سجاح أي آمن بنبوتها فهو بذلك قد ارتدّ وكفر. وأمّا من قال: إنه قد ندم، فلا شيء يدلّ على هذه الندامة، ولم يقل، ولم يعلن ذلك لأحد. ولو كان ذلك صحيحاً لسار إلى الخليفة وجدّد إسلامه. وأمّا شهادة أبي قتادة أنه رآهم يصلون، فهو لم يشهد أنه رأى مالكاً يصلي، وإنما بعض تميم، وقلنا: إن بعضهم قد بقي على الإسلام، فشهادته رضي الله عنه صحيحة. كما شهد آخرون أنهم لم يروهم يصلون فشهادتهم صحيحة أيضاً إذ كانت رؤيتهم قاصرةً على غير المؤمنين، من الذين ارتدوا.

أَمَّا مَالِكُ بنُ نُوَيْرَةَ فَإِنَّهُ قَدْ نَزَلَ بِمَكَانٍ يُقَالُ لَهُ: (البُطَاحَ)، فَسَارَ إِلَيْهِ خَالِدٌ بُجُنُودِهِ، وَتَأَخَّرَتْ عَنْه الأَنْصَارُ عَلى أَنَّهُمْ قَدْ قَضَوْا المُهِمَّةَ الَّتِي كَلَّفَهُمْ بِهَا الصِّدِّيقُ، فَقَالَ لَهُمْ خَالِدُ: إِنَّ هَذَا أَمْرٌ لاَ بُدَّ مِنْ فِعْلِهِ، وَفُرْصَةٌ لاَ بُدَّ مِنَ انْتِهَازِهَا، وَإِنَّهُ لَمْ يَأْتِنِي فِيْهَا كِتَابٌ، وَأَنَا الأَمِيرُ وَإِلَيَّ تَرِدُ الأَخْبَارُ، وَلَسْتُ بِالَّذِي أُجْبِرُكُمْ عَلَى السَّيْرِ، وَأَنَّا قَاصِدٌ (البُطَاحَ). فَسَارَ يَوْمَيْنِ ثُمَّ لَحِقَهُ رَسُولُ الأَنْصَارِ يَطْلُبُونَ مِنْهُ الانْتِظَارَ، فَلَحِقُوا بِهِ. فَلَمَّا وَصَلَ خَالِدُ إِلَى (البُطَاحِ)، وَعَلَيْهَا مَالِكُ بنُ نُوَيْرَةَ، فَبَثَّ خَالِدُ السَّرَايَا فِي (البُطَاحِ) يَدْعُونَ النَّاسَ، فَاسْتَقْبَلَهُ أُمَرَاءُ النَّاسِ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَدَفَعُوا الزَّكَاةَ[1]، غَيْرَ أَنَّ مَالِكَ بنَ نُوَيْرَةَ بَقِيَ فِي نَاحِيَةٍ عَنِ النَّاسِ، مُتَحَيِّرَاً فِي أَمْرِهِ[2]، فَجَاءَتْهُ سَرَايَا خَالِدٍ وَأَسَرَتْهُ، وَأَسَرَتْ مَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ. وَاسْتَدْعَى خَالِدُ مَالِكَاً، وَأَنَّبَهُ عَلَى مَا صَدَرَ مِنْهُ مِنْ مُوَافَقَةِ سَجَاحٍ، وَعَلى مَنْعِهِ الزَّكَاةَ، وَكَانَ مِمّا قَالَ لَهُ: أَلَمْ

---

(١) يبدو أن السمع والطاعة ودفع الزكاة كان نتيجة الخوف، ومع ذلك فإن لنا الظاهر، وبه نحكم، ونترك أمرهم إلى الله.

(٢) إن تحير مالكٍ ليدل على عدم إيمانه، وعلى عدم توبته، وعلى عدم ندمه، ومع كل ما قيل: فليس هناك من أحدٍ من بني تميم الذين بقوا على إسلامهم قد عاتبوا خالداً في تصرّفه، أو ذكروا ذلك للصديق، وإن ضرار بن الأزور نفسه الذي ضرب عنقه هو من بني تميم.

تَعْلَمْ أَنَّهَا قَرِينَةُ الصَّلاَةِ؟ فَقَالَ مَالِكُ: إِنَّ صَاحِبَكُمْ كَانَ يَزْعُمُ ذَلِكَ. فَقَالَ خَالِدُ: أَهُوَ صَاحِبُنَا وَلَيْس بِصَاحِبِكَ؟ فَتَأَكَّدَ خَالِدٌ عِنْدَ ذَلِكَ مِنْ عَدَمِ إِيمَانِ مَالِكٍ. فَقَالَ: يَا ضِرَارُ اضْرِبْ عُنُقَهُ، فَضُرِبَتْ عُنُقُهُ.

وَأَمَّا مَا قِيلَ فِي أَنَّ خَالِدَاً قَدْ جَعَلَ رَأْسَ مَالِكٍ مَعَ حَجَرَيْنِ مَوْقِداً، وَوَضَعَ عَلَيْهَا قِدْراً، وَهُوَ نَوْعٌ مِنَ التَّمْثِيلِ، فَهَذَا أَمْرٌ يَحْتَاجُ إِلَى تَثَبُّتٍ، وَلَمْ يَصِحَّ. وَقِيلَ: إِنَّ هَذَا لِيُرْهِبَ الأَعْرَابَ، وَمَا دَامَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَدْ نَهَى عَنِ التَّمْثِيلِ بِالقَتْلَى، فَلاَ يَصِحُّ هَذَا التصرُّفَ وَلاَ يُمكِنُ لِخَالِدٍ أَنْ يأْتِيَ بِمُحَرَّمٍ لِغَرَضٍ مَهْمَا كَانَ.

وَلِنَنْظُرْ إِلَى رِثَاءِ مُتَمِّمِ بنِ نُوَيْرَةَ لأَخِيهِ مَالِكٍ عِنْدَ الصِّدِّيقِ، لَمْ يَذْكُرْ شَيْئاً عَنْ إِسْلاَمِهِ وَالأَصْلُ أَنْ يَقُولَ فِيهِ مَا يُحِبُّ الصِّدِّيقُ، أَوْ مَا يُثِيرُهُ عَلَى خَالِدٍ غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَخْطُرْ عَلَى بَالِهِ شَيْءٌ مِنْ هَذَا مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الإِيمَانَ لَمْ يَكُنْ وَارِدَاً عِنْدَ أَحَدِهِمَا. وَمِمَّا قَالَهُ مُتَمِّمُ فِي أَخِيهِ:

وَكُنَّا كَنَدْمَانِي جَذِيمَةَ بُرْهَةً
مِنَ الدَّهْرِ حَتَّى قِيلَ لَنْ يَتَصَدَّعَا

وَعِشْنَـــا بِخَيْرٍ مَا حَيِينَـــا وَقَبْلَنَا

أَبَـــادَ المَنَـــايَا قَـــوْمَ كِسْـــرَى وَتُبَّعَا

فَلَمَّـــا تَفَرَّقْنَـــا كَأَنِّـــي وَمَالِكَا

لِطُـــولِ اجْتِمَـــاعٍ لَمْ نَبِـــتْ لَيْلَـــةً مَعَا

وَقَالَ أَيْضاً:

لَقَـــدْ لاَمَنِـــي عِنْـــدَ القُبُـــورِ عَلَـــى البُكَا

رَفِيقِـــي لِتِـــذْرَافِ الدُّمُـــوعِ السَّوَافِكِ

وَقَـــالَ أَتَبْـــكِي عِنْـــدَ كُلِّ قَبْـــرٍ رَأَيْتَهُ

لِقَبْـــرٍ ثَوَى بَيْنَ اللِّـــوَى فَالدَّكَادِكِ

فَقُلْـــتُ لَهُ: إِنَّ الأَسَـــى يَبْعَـــثُ الأَسَى

فَدَعْنِـــي فَهَـــذَا كُلُّـــهُ قَبْـــرُ مَالِكِ

وَأَمَّا أَنَّ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كَانَ يُحَرِّضُ الصِّدِّيقَ عَلَى عَزْلِ خَالِدٍ، وَيَقُولُ لَهُ: إِنَّ فِي سَيْفِهِ لَرَهَقَـا، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ طَبِيعَةِ عُمَرَ إِذْ لاَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ الأَمِيرُ حَدِيثَ النَّاسِ سَوَاءٌ أَكَانَ ذَلِكَ فِي القُوَّةِ وَالشَّجَاعَةِ أَوِ اللِّينِ وَالضَّعْفِ أو القَسْوَةِ وَالعُنْفِ لِذَا فَقَـدْ رَغِـبَ فِي عَزْلِ خَالِـدٍ غَيْرَ أَنَّ الصِّـدِّيقَ قَدْ أَجَابَهُ: لاَ أَشِيمُ سَيْفاً سَلَّـهُ اللَّـهُ عَلَـى الكُفَّـارِ. وَكَذَلِكَ كَانَ لِشَهَادَةِ أَبِي قَتَادَةَ دَورٌ فِي التَّأْثِيرِ عَلَى عُمَرَ. وَلِكَثْرَةِ الحَدِيثِ

اسْتَدْعَى الصِّدِّيقُ خَالِدَاً إِلَى المَدِينَةِ وَدَفَعَ دِيَّةَ مَالِكٍ مِنْ مَالِهِ إِنْهَاءً لِلْخِلاَفِ.

وَكَانَ خَالِدُ بنُ الوَلِيدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَد اصْطَفَى امْرَأَةَ مَالِكِ بنِ نُوَيْرَةَ، أُمَّ تَمِيمٍ بِنْتِ المِنْهَالِ بنِ عِصْمَةَ الرِّيَاحِيِّ، وَبَنُو رِيَاحٍ بَطْنٌ مِنْ تَمِيمٍ، وَكَانَتْ جَمِيلَةً، فَلَمَّا حَلَّتْ بَنَى بِهَا، وَهَذَا أَمْرٌ طَبَعِيٌّ، وَقَدْ سَارَ المُسْلِمُونَ عَلَى هَذَا المِنْهَجِ إِذْ يَتَزَوَّجُ الأَمِيرُ امْرَأَةَ كَبِيرِ القَوْمِ الخَصْمِ إِنْ قُتِلَ أَوْ مَاتَ، وَابْنَتَهُ إِنْ بَقِيَ، وَفِي هَذَا أَثَرٌ كَبِيرٌ لِنَشْرِ الإِسْلاَمِ وَتَأْلِيفِ القُلُوبِ، وَقَدْ تَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سَوْدَةَ بِنْتَ زَمعَةَ بَعْدَ أَنْ تُوُفِّيَ زَوْجُهَا السَّكْرَانُ بنُ عَمْروٍ أَحَدَ سَادَاتِ بَنِي عَامِرٍ. وَتَزَوَّجَ جُوَيْرِيَّةَ بِنْتَ الحَارِثِ بنِ أَبِي ضِرَارٍ سَيِّدِ بَنِي المُصْطَلِقِ، فَكَانَ أَنْ أُعْتِقَ قَوْمُهَا، وَأَسْلَمُوا. وَتَزَوَّجَ صَفِيَّةَ بِنْتَ حُيَيٍّ بنِ أَخْطَبَ سَيِّدِ بَنِي النَّضِيرِ، وَزَوْجِ كِنَانَةَ بنِ الرَّبِيعِ بنِ أَبِي الحُقَيْقِ أَحَدِ سَادَاتِ بَنِي النَّضِيرِ، بَعْدَ مَقْتَلِ أَبِيهَا وَزَوْجِهَا فِي خَيْبَرَ، وَتَزَوَّجَ أُمَّ حَبِيبَةَ رَمْلَةَ بِنْتَ أَبِي سُفْيَانَ بَعْدَ ارْتِدَادِ زَوْجِهَا عُبَيْدِ اللَّهِ بنِ جَحْشٍ، وَتَزَوَّجَ أُمَّ سَلَمَةَ هِنْدَ بِنْتَ أَبِي أُمَيَّةَ بَعْدَ وَفَاةِ زَوْجِهَا أَبِي سَلَمَةَ عَبْدِ اللَّهِ بنِ عَبْدِ الأَسَدِ المَخْزُومِيِّ.

وَتزَوَّجَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ أَسْمَاءَ بنْتَ عُمَيْسٍ بَعْدَ اسْتِشْهَادِ زَوْجِهَا جَعْفَرِ بنِ أَبِي طَالِبٍ، وَبَعْدَ وَفَاةِ أَبِي بَكْرٍ تَزَوَّجَهَا عَلِيٌّ بنُ أَبِي طَالِبٍ.

وَتَزَوَّجَ خَالِدُ بنُ سَعِيدِ بنِ العَاصِ أُمَّ حَكِيمٍ بِنْتَ الحَارِثِ بَعْدَ اسْتِشْهَادِ زَوْجِهَا عِكْرِمَةَ بنِ عَمْرِو بنِ هِشَامٍ. وَتَزَوَّجَهَا عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ بَعْدَ اسْتِشْهَادِ زَوْجِهَا خَالِدِ بنِ سَعِيدِ بنِ العَاصِ.

وَتَزَوَّجَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ ابْنَةَ عَمِّهِ عَاتِكَةَ بِنْتَ زَيْدِ بنِ عَمْرِو بنِ نُفَيْلٍ بَعْدَ وَفَاةِ زَوْجِهَا عَبْدِاللَّهِ بنِ أَبِي بَكْرٍ.

وَتَزَوَّجَ طَلْحَةُ بنُ عُبَيْدِ اللَّهِ حَمْنَةَ بِنْتَ جَحْشٍ بَعْدَ اسْتِشْهَادِ زَوْجِهَا مُصْعَبِ بنِ عُمَيْرٍ فِي أُحُدٍ.

وَتَزَوَّجَ سَعْدُ بنُ أَبِي وَقَّاصٍ سَلْمَى بِنْتَ خَصَفَةَ بَعْدَ وَفَاةِ زَوْجِهَا المُثَنَّى بنِ حَارِثَةَ. وَالأَمْثِلَةُ كَثِيرَةٌ جِدّاً حَتَّى لَتَكَادُ تُعَدَّ قَاعِدَةً وَهِيَ أَنْ يَتَزَوَّجَ المَرْأَةَ، الَّتِي اسْتُشْهِدَ زَوْجُهَا الأَمِيْرُ أَوْ تُوُفِّيَ، أَحَدُ أَعْيَانِ القَوْمِ ، وَعَلَى هَذَا تَزَوَّجَ خَالِدُ أُمَّ تَمِيمٍ زَوْجَةَ مَالِكِ بنِ نُوَيْرَةَ.

إِضَافَةً إِلَى ذَلِكَ فَقَدْ لاَحَظَ خَالِدُ بنُ الوَلِيدِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

أَنَّ المَنْطِقَةَ قَدْ تَعَدَّدَتْ فِيْهَا زَعَامَةُ النِّسَاءِ وَالعَمَلُ عَلَى مُحَارَبَةِ الإِسْلاَمِ ، فَأُمُّ قَرْفَةَ، وَأُمُّ زِمْلٍ ، وَسَجَاحُ كُلُّهُنَّ قُدْنَ قَوْمَهُنَّ فِي مُحَارَبَةِ الإِسْلاَمِ وَرُبَّمَا لَوْ لَمْ يَتَزَوَّجْ خَالِدُ أُمَّ تَمِيمٍ لَقَادَتْ قَوْمَهَا وَقَاتَلَتِ المُسْلِمِينَ . كَمَا أَنَّ فِي هَذَا الزَّوَاجِ تَأْلِيفٌ لِقُلُوبِ بَنِي تَمِيمٍ، وَمِنْ أَجْلِ هَذَا وَذَاكَ فَإِنَّ خَالِداً قَدْ حَمَلَ مَعَهُ زَوْجَتَهُ أُمَّ تَمِيمٍ لِقِتَالِ بَنِي حَنِيفَةَ إِبْقَاءً لَهَا تَحْتَ يَدِهِ وَتَأْلِيفاً لِقُلُوبِ قَوْمِهَا. وَاسْتُدْعِيَ خَالِدٌ إِلَى المَدِينَةِ مِنْ قِبَلِ الصِّدِّيقِ وَسَأَلَهُ، فَعَذَرَهُ، وَرَضِيَ عَنْهُ.

وَأَجِدُ نَفْسِي هُنَا مُضْطَرَّاً لِلتَّعْقِيبِ وَلَوْ بِكَلِمَةٍ صَغِيرَةٍ: إِنَّ المَرْأَةَ الَّتِي يُتَوَفَّى عَنْهَا زَوْجُهَا لَيْسَتْ بِحَاجَةٍ إِلَى المَالِ بِقَدْرِ مَا هِيَ بِحَاجَةٍ إِلَى مَنْ يَقُومُ بِأَمْرِهَا وَيَرْعَى شُؤُونَهَا، فَلَمْ تُخْلَقِ المَرْأَةُ لِلْقَوَامَةِ. وَإِنَّمَا القَوَامَةُ لِلرَّجُلِ . غَيْرَ أَنَّ تَأْثِيرَ المُجْتَمَعَاتِ النَّصْرَانِيَّةِ عَلَيْنَا قَدْ أَضْحَى قَوِيَّاً، وَخُضُوعَنَا لِلضُّغُوطِ المَادِيَّةِ أَصْبَحَ كَثِيرَاً، فَإِذَا مَا تُوُفِّيَ زَوْجُ امْرَأَةٍ كَانَ هَمُّنَا وَتَفْكِيرُنَا مُنْصَبَّاً عَلَى مُسَاعَدَتِهَا مَادِيَّاً حَتَّى لَنَظُنَّ أَنَّ هَذَا التَّصَرُّفَ هُوَ الأَمْثَلُ، وَلاَ نُفَكِّرُ فِي زَوَاجِهَا وَهَذَا مَا تَطْلُبُهُ هِيَ أَوْ مَا تَتَطَلَّبُهُ حَيَاتُهَا. وَلَوْ تَزَوَّجَتْ لاَنْسَحَبَ تَفْكِيرُنَا عَلَى الجَانِبِ الجِنْسِي - مَعَ الأَسَفِ - لأَنَّ هَذَا هُوَ الخَطَأُ. إِذْ

نطْلُبُ مِنْهَا أَنْ تَنْصَرِفَ إِلَى تَرْبِيَةِ الأَوْلَادِ وَالقَوَامَةِ عَلَيْهِمْ وَإِذَا كَانَتْ قَدْ خُلِقَتْ لِتَرْبِيَةِ الأُوْلَادِ لَكِنْ لَمْ تُخْلَقْ لِلْقَوَامَةِ. وَإِذَا مَا تُوُفِّيَتْ زَوْجَةُ رَجُلٍ بَدَأَتِ النَّصَائِحُ تُسْدَى إِلَيْهِ بِالزَّوَاجِ لإِيجَادِ مَنْ يَرْعَى شُؤُونَهُ. وَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ بِحَاجَةٍ إِلَى مَنْ يَرْعَى شُؤُونَهُ فَإِنَّ المَرْأَةَ بِحَاجَةٍ إِلَى مَنْ يَقُومُ بِأَمْرِهَا. وَإِذَا كُنَّا نَحْرَصُ عَلَى زَوَاجِ الرَّجُلِ الَّذِي تُوُفِّيَتْ زَوْجَتُهُ فَإِنَّنَا يَجِبُ أَنْ نَحْرَصَ عَلَى زَوَاجِ المَرْأَةِ الَّتِي تُوُفِّيَ زَوْجُهَا. وَإِذَا كُنَّا نَسْعَى أَنْ نَخْتَارَ لِلرَّجُلِ المَرْأَةَ المُنَاسِبَةَ لَهُ، فَإِنَّنَا يَجِبُ أَنْ نَسْعَى إِلَى زَوَاجِ المَرْأَةِ مِنَ الرَّجُلِ الكُفْءِ لَهَا، وَامْرَأَةُ أَمِيرِ القَوْمِ يُكَافِئُهَا أَمِيرٌ مِنَ القَوْمِ.

## ٦ - بَنُو حَنِيفَةَ:

ارْتَدَّ أَكْثَرُ بَنِي حَنِيفَةَ فِي اليَمَامَةِ وَتَبِعُوا مُسَيْلَمَةَ الكَذَّابَ الَّذِيْ ادَّعَى النُّبُوَّةَ، وَلَا شَكَّ أَنَّ بَعْضَهُمْ قَدِ اسْتَمْسَكَ بِعَقِيدَةِ الإِسْلَامِ مِثْلُ ثُمَامَةَ بنِ أُثَالٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَالَّذِيْ كَانَ يُقِيمُ فِي (العُرَيْجَةِ) عَلَى ضِفَّةِ وَادِي بَنِي حَنِيفَةَ إِلَى الغَرْبِ مِنْ حُجْرِ اليَمَامَةِ (الرِّيَاضِ اليَوْمَ) بِأَرْبَعَةِ كِيْلُومِتْرَاتٍ، غَيْرَ أَنَّهُ قَدْ غُلِبَ عَلَى أَمْرِهِ وَاضْطَرَّ لِلْخُرُوجِ مِنْ مَكَانِ إِقَامَتِهِ وَالْتَحَقَ بِالمُسْلِمِينَ القَادِمِينَ لِفَتْحِ اليَمَامَةِ.

كَانَ الصِّدِّيقُ قَدْ أَرْسَلَ عِكْرِمَةَ بنَ عَمْروٍ بنِ هِشَامٍ إِلَى اليَمَامَةِ لِقِتَالِ مُسَيْلَمَةَ الكَذَّابِ وَمَنْ مَعَهُ، وَطَلَبَ مِنْهُ أَلَّا يَبْدَأَ القِتَالَ حَتَّى يَصِلَ إِلَيْهِ الدَّعْمُ بِإِمْرَةِ شُرَحْبِيلَ، غَيْرَ أَنَّهُ تعَجَّلَ فَنُكِبَ، وَطَلَبَ مِنْ شُرَحْبِيلَ أَلَّا يُقَاتِلَ حَتَّى يَصِلَ إِلَيْهِ خَالِدٌ، وَلَكِنَّهُ تَعَجَّلَ فَنُكِبَ أَيْضاً.

لَمَّا لَمْ يَسْتَطِعْ عِكْرِمَةُ الوُصُولَ إِلَى حُجْرِ اليَمَامَةِ (الرِّيَاضِ اليَوْمَ) عَنْ طَرِيقِ (ثَنْيَةِ دِيرَابَ)، وَكَذَلِكَ كَانَ طَرِيقُ شُرَحْبِيلَ.

وَجَاءَ خَالِدٌ، وَعَبَرَ إِلَى اليَمَامَةِ مِنْ مَنْطِقَةِ العُوَيْنِدِ، وَأَسْرَعَ مُسَيْلَمَةُ إِلَى الشِّمَالِ، وَنَزَلَ فِي عَقْرَبَاءَ (الجُبَيْلَةَ اليَوْمَ) وَعَسْكَرَ هُنَاكَ. وَقَسَمَ خَالِدٌ جَيْشَهُ إِلَى قِسْمَيْنِ: سَلَكَ الأَوَّلُ مِنْهُمَا وَادِيَ الشُّعَيْبِ وَالَّذِيْ يُعْرَفُ بِاسْمِ وَادِي أَبِي قَتَادَةَ، وَقَدْ مَرَّ عَلَى (البَرَّةِ) وَ(حُرَيْمِلاَءَ) وَ(مُلْهَمٍ) ثُمَّ هَبَطَ إِلَى عَقْرَبَاءَ وَكَانَ بِقِيَادَةِ ضِرَارِ بنِ الأَزْوَرِ، وَسَارَ خَالِدٌ عَلَى رَأْسِ القِسْمِ الثَّانِي فِي وَادِي (الحَسْيَانِ) أَوِ الأُحَيْسِيِّ فَمَرَّ عَلَى (أَبَاض) وَ(العُيَيْنَةِ) وَمِنْهَا إِلَى عَقْرَبَاءَ. وَقَدِ التَقَتْ مُقَدِّمَةُ خَالِدٍ بِأَرْبَعِينَ فَارِساً عَلَيْهِمْ مَجَّاعَةُ بنُ مُرَارَةَ ادَّعُوْا أَنَّهُمْ فِي طَرِيقِهِمْ إِلَى بَنِي تَمِيمٍ لِأَخْذِ ثَأْرٍ لَهُمْ. وَجِيءَ بِهِمْ إِلَى خَالِدٍ فَسَأَلَهُمْ: مَاذَا تَقُولُونَ يَا بَنِي حَنِيفَةَ؟ فَأَجَابُوا: مِنَّا نَبِيٌّ وَمِنْكُمْ نَبِيٌّ فَأَمَرَ بِضَرْبِ أَعْنَاقِهِمْ، وَاسْتَبْقَى

(مَجَّاعَةَ بنَ مُرَارَةَ) إِذْ أَنَّهُ سَيِّدٌ مُطَاعٌ فِي بَنِي حَنِيفَةَ، وَلَهُ دِرَايَةٌ فِي الحَرْبِ، وَأَبْقَاهُ مُقَيَّدَاً فِي خَيْمَتِهِ.

عَبَّأَ خَالِدُ الجَيْشَ فَكَانَ شُرَحْبِيلُ بنُ حَسَنَةَ عَلَى المُقَدِّمَةِ، وَزَيْدُ بنُ الخَطَّابِ عَلَى المَيْمَنَةِ، وَأَبُو حُذَيْفَةَ بنُ عُتْبَةَ عَلَى المَيْسَرَةِ. وَكَانَتْ رَايَةُ المُهَاجِرِينِ بِيَدِ سَالِمٍ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ، وَرَايَةُ الأَنْصَارِ بِيَدِ ثَابِتٍ بنِ قَيْسٍ بنِ شَمَّاسٍ.

بَدَأَتِ المَعْرَكَةُ، وَفَرَّ الأَعْرَابُ، وَوَصَلَ بَنُو حَنِيفَةَ إِلَى خَيْمَةِ خَالِدٍ وَهَمُّوا بِقَتْلِ أُمِّ تَمِيمٍ امْرَأَةِ خَالِدٍ غَيْرَ أَنَّ مَجَّاعَةَ المُقَيَّدَ فِي خَيْمَتِهَا قَدْ أَجَارَهَا، وَقَالَ لَهُمْ: نِعْمَتِ الحُرَّةُ هَذِهِ. وَقَتَلَ زَيْدُ بنُ الخَطَّابِ قَائِدَ مَيْسَرَةِ مُسَيْلَمَةَ الرِّجَّالَ بنَ عُنْفُوَةَ بنِ نَهْشَلٍ. ثُمَّ حَمَلَ المُسْلِمُونَ حَمْلَةً صَادِقَةً، وَحَمَلَ خَالِدُ حَتَّى جَاوَزَهُمْ، وَاتَّجَهَ نَحْوَ مُسَيْلَمَةَ يَنْتَظِرُ أَنْ يَقْتُلَهُ عِنْدَمَا يَصِلُ إِلَيْهِ. ثُمَّ وَقَفَ بَيْنَ الصَّفَّيْنِ وَدَعَا لِلْمُبَارَزَةِ فَمَا بَرَزَ لَهُ أَحَدُ إِلَّا قَتَلَهُ. ثُمَّ اقْتَرَبَ مِنْ مُسَيْلَمَةَ وَدَعَاهُ إِلَى الرُّجُوعِ إِلَى الحَقِّ فَأَبَى وَاغْتَرَّ. وَهَجَمَ المُسْلِمُونَ عَلَى أَعْدَائِهِمْ بِقُوَّةٍ فَتَرَاجَعَ بَنُو حَنِيفَةَ وَوَلَّوْا الأَدْبَارَ، فَأَشَارَ عَلَيْهِمْ قَائِدُ مَيْمَنَتِهِمْ المُحَكِّمُ بنُ الطُّفَيْلِ بِدُخُولِ حَدِيقَةِ المَوْتِ، وَفِيْهَا مُسَيْلَمَةُ، فَدَخَلُوهَا وَاعْتَصَمُوا فِيْهَا، وَرَمَى عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ أَبِي بَكْرٍ المُحَكِّمَ بِسَهْمٍ فَقَتَلَهُ وَهُوَ يَخْطُبُ.

دَخَلَ بَنُو حَنِيفَةَ الحَدِيقَةَ وَأَغْلَقُوا البَابَ، وَأَحَاطَ المُسْلِمُونَ بِهَا، ثُمَّ إِنَّ البَرَاءَ بن مَعْرُورٍ قَدْ طَلَبَ مِنَ المُسْلِمِينَ رَفْعَهُ وإِلقَاءَهُ فِي الحَدِيقَةِ فَرَفَعُوهُ بِالتُّرُوسِ. فَنَزَلَ فِيْهَا وَلَمْ يَزَلْ يُقَاتِلُهُمْ حَتَّى فَتَحَ البَابَ فَدَخَلَ المُسْلِمُونَ وَوَصَلُوا إِلَى مُسَيْلَمَةَ فَإِذَا هُوَ وَاقِفٌ فِي ثَلْمَةِ جِدَارٍ فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ وَحْشِيُّ بنُ حَرْبٍ - قَاتِلُ حَمْزَةَ - فَرَمَاهُ بِحَرْبَتِهِ فَأَصَابَهُ وَخَرَجَتْ مِنَ الجَانِبِ الآخَرِ، فَأَسْرَعَ إِلَيْهِ أَبُو دُجَانَةَ فَضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ فَسَقَطَ.

وَخَرَجَ خَالِدٌ وَمَعَهُ مَجَّاعَةُ بنُ مَرَارَةَ فَجَعَلَ يُرِيَهُ القَتْلَى لِيُعَرِّفَهُ عَلَى مُسَيْلَمَةَ، فَلَمَّا مَرُّوا بِالرِّجَّالِ بنِ عُنْفُوَةَ، قَالَ لَهُ خَالِدٌ: أَهَذَا هُوَ؟ قَالَ: لَا، وَاللَّهِ هَذَا خَيْرٌ مِنْهُ، هَذَا الرِّجَّالُ بنُ عُنْفُوَةَ، ثُمَّ مَرُّوا بِرَجُلٍ أَصْفَرَ أَخْنَسَ، فَقَالَ: هَذَا صَاحِبُكُمْ، فَقَالَ خَالِدٌ: قَبَّحَكُمُ اللَّهُ عَلَى اتِّبَاعِكُمْ هَكَذَا.

وَبَعَثَ خَالِدٌ الخُيُولَ فِي الجِهَاتِ تُوَطِّدُ الأَمْرَ، ثُمَّ عَزَمَ عَلَى غَزْوِ الحُصُونِ، وَلَمْ يَكُنْ قَدْ بَقِيَ فِيهَا إِلاَّ النِّسَاءُ وَالصِّبْيَانُ وَالشُّيُوخُ الكِبَارُ، فَخَدَعَهُ مَجَّاعَةُ فَقَالَ: إِنَّهَا مَلأَى رِجَالاً وَمُقَاتِلَةً فَهَلُمَّ فَصَالِحْنِي عَنْهَا، فَصَالَحَهُ خَالِدٌ لِمَا رَأَى مِنْ جَهْدِ المُسْلِمِينَ، فَقَدْ كَلُّوا مِنْ كَثْرَةِ الحُرُوبِ وَالقِتَالِ، فَقَالَ: دَعْنِي حَتَّى أَذْهَبَ إِلَيْهِمْ لِيُوَافِقُونِي عَلَى الصُّلْحِ.

فَقَالَ: اذْهَبْ، فَسَارَ إِلَيْهِمْ مَجَّاعَةُ فَأَمَرَ النِّسَاءَ أَنْ يَلْبِسْنَ الحَدِيدَ، وَيَبْرُزْنَ عَلَى أَعْلَى الحُصُونِ، فَنَظَرَ خَالِدٌ فَإِذَا الشُّرُفَاتُ مُمْتَلِئَةً بِالمُقَاتِلِينَ حَسْبَمَا ذَكَرَ مَجَّاعَةُ، فَأَمْضَى الصُّلْحَ، وَدَعَاهُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ فَأَسْلَمُوا جَمِيعاً، وَرَجَعُوا إِلَى الحَقِّ، وَرَدَّ خَالِدٌ بَعْضَ مَا كَانَ أَخَذَ مِنَ السَّبْيِ.

وَبَعْدَ مَعْرَكَةِ حَدِيقَةِ المَوْتِ تَابَعَ خَالِدٌ سَيْرَهُ فِي وَادِي حَنِيفَةَ نَحْوَ الجَنُوبِ، فَمَرَّ عَلَى (عِرْقَةَ) فَرَفَضَ أَهْلُهَا الصُّلْحَ حَتَّى أَلْزَمَهُمْ عَلَيْهِ بِالقُوَّةِ، وَوَصَلَ إِلَى (حُجْرِ اليَمَامَةِ) ثُمَّ تَابَعَ سَيْرَهُ جَنُوباً حَتَّى (حَائِرٍ)، وَمِنْهَا سَارَ فِي وَادِي (لُحَا) بِاتِّجَاهِ الشَّمَالِ الغَرْبِيِّ، وَاجْتَازَ الثَّنْيَةَ (ثَنْيَةَ لُحَا) الَّتِي يَمُرُّ مِنْهَا طَرِيقُ الرِّيَاضِ - الحِجَازِ. وَكَانَ قَدْ جَاءَهُ كِتَابٌ مِنَ الصِّدِّيقِ بِالتَّوَجُّهِ إِلَى الجِهَادِ وَالفَتْحِ فِي العِرَاقِ.

## فِي الجِهادِ والفَتْحِ :

لَمَّا انْتَهَى خَالِدٌ مِنْ أَمْرِ مُسَيْلِمَةَ الكَذَّابِ، وَإِعَادَةِ اليَمَامَةِ أَمَرَهُ الصِّدِّيقُ أَنْ يَسِيرَ إِلَى العِرَاقِ، وَأَنْ يَبْدَأَ بِالأُبُلَّةَ (مَوْقِعِ البَصْرَةِ)، وَأَنْ يَتَأَلَّفَ النَّاسَ وَيَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِنْ أَجَابُوا فَذَلِكَ مَا يَنْبَغِي، وَإِلاَّ أَخَذَ مِنْهُمُ الجِزْيَةَ، وَإِنْ رَفَضُوا قَاتَلَهُمْ، وَأَمَرَهُ أَلاَّ يُكْرِهَ أَحَداً عَلَى السَّيْرِ مَعَهُ، وَلاَ

يَسْتَعِينَ بِمَن ارْتَدَّ عَن الإِسْلاَمِ وَإِنْ عادَ إِلَيْهِ، وَأَخَذَ الصِّدِّيقُ يُجَهِّزُ السَّرَايَا لإِرْسَالِهَا مَدَداً إِلَى خالِدٍ.

## فِي العِرَاقِ :

كَانَ العِرَاقُ يَخْضَعُ لِسَيْطَرَةِ الفُرْسِ ، وَكَانَ عَدَدٌ مِنْ بُطُونِ القَبَائِلِ العَرَبِيَّةِ يُقِيمُ فِي تِلْكَ الجِهَاتِ، وَمِنْهَا، تَغْلِبُ، وَبَكْرٌ، وطَيِءٌ، وَشَيْبَانُ، وَرَبِيعَةُ وَغَيْرُها وكَانَتْ طَيْءُ تُقِيمُ بِجِوَارِ الحِيْرَةِ، وَيَعْمَلُ زَعِيمُهَا عَلَى تَوْطِيدِ سُلْطَانِ الفُرْسِ فِي تِلْكَ الأَرْجَاءِ، وكَانَ عَلَى الحِيرَةِ هَانِىءُ بنُ قَبِيصَةَ الطَّائِيُّ أَخُو إِيَاسِ بنِ قَبِيصَةَ الَّذِي قَادَ مَعَ هَانِىءِ بنِ مَسْعُودٍ الشَّيْبَانِيِّ مَعْرَكَةَ (ذِي قَارٍ) ضِدَّ الفُرْسِ ، وَكَانَتِ الصِّلَةُ وَثِيقَةً بَيْنَ طَيْءٍ وَشَيْبَانَ.

وَكَانَ المُثَنَّى بنُ حَارِثَةَ أَحَدَ فُرْسَانِ شَيْبَانَ، وَقَدْ أَسْلَمَ فِي العَامِ التَّاسِعِ الهِجْرِيِّ، فَلَمَّا انْتَهَى الصِّدِّيقُ مِنْ حُرُوبِ الرِّدَّةِ فِي البَحْرَيْنِ قَوِيَ ظَهْرُ المُثَنَّى فَأَصْبَحَ مَحْمِيّاً بَعْدَ أَنْ كَانَ فِي خَطَرٍ بِسَبَبِ المُرْتَدِّينَ خَلْفَهُ، فَطَلَبَ المُثَنَّى مِنَ الصِّدِّيقِ أَنْ يُؤَمِّرَهُ عَلَى قَوْمِهِ لِيُغِيرَ عَلَى الفُرْسِ ، فَأَمَّرَهُ، وَبَدَأَ العَمَلَ ضِدَّ الفُرْسِ ، وَقَدِ انْتَصَرَ فِي عِدَّةِ مَعَارِكَ، غَيْرَ أَنَّ المُجَاهِدِينَ مَعَهُ قِلَّةٌ، والفُرْسُ كَثِيرُونَ وَمَعَهُمُ القَبَائِلُ العَرَبِيَّةُ الَّتِي تَعِيشُ

هُنَاكَ، وَإِنْ كَانَ أَكْثَرُهَا قَدْ تَنصَّرَ. لِذَا فِإِنَّ الصِّدِّيقَ قَدْ دَعَمَهُ بِخَالِدِ بنِ الوَلِيدِ وَعِيَاضِ بنِ غَنْمٍ.

مَا أَنِ انْتَهَى خَالِدُ بنُ الوَلِيدِ مِنْ حَرْبِ اليَمَامَةِ حَتَّى جَاءَهُ الأَمْرُ بِالتَّحرُّكِ نَحْوَ العِرَاقِ لِدَعْمِ المُثَنَّى، وَأَمَرَهُ أَنْ يَكُونَ دُخُولُهُ مِنَ الجَنُوبِ عَنْ طَرِيقِ الأُبُلَّةِ وَالتَّوَجُّهِ نَحْوَ الحِيرَةِ، وَفِي الوَقْتِ نَفْسِهِ قَدَ أَمَرَ عِيَاضَ بنَ غَنْمٍ أَنْ يَدْخُلَ العِرَاقَ مِنَ الأَعْلَى وَأَنْ يَتَحَرَّكَ نَحْوَ الحِيرَةِ، وَأَيُّهُمَا سَبَقَ إِلَى الحِيرَةِ فَالإِمْرَةُ لَهُ. ثُمَّ دَعَمَ الصِّدِّيقُ خَالِدَاً بِالقَعْقَاعِ بنِ عَمْرٍو وَدَعَمَ عِيَاضَاً بِعَبْدِ بنِ عَوْفٍ الحِمْيَرِيِّ.

وَيَبْدُو أَنَّ خَالِدَاً قَدْ تَوَجَّهَ إِلَى الحِيْرَةِ مُبَاشَرَةً، لِيَرَى رَأْيَ العَرَبِ المُتَنصِّرَةِ فِيهَا، إِذْ فِيْهَا زَعِيمُهُمْ، وَنَائِبُ كِسْرَى، وَأَكْثَرُ مَشَايِخِ القَبَائِلِ العَرَبِيَّةِ، وَلِيَحْمِيَ ظَهْرَهُ عِنْدَمَا يُوَاجِهُ الفُرْسَ، إِضَافَةً إِلَى أَنَّ المُثَنَّى كَانَ يُنَاوِشُ الفُرْسَ فِي مَنْطِقَةِ الحِيرَةِ. وَنَزَلَ خَالِدٌ فِي طَرِيقِهِ عَلَى قُرَيَّاتٍ عَلَى شَاطِيءِ الفُرَاتِ يُقَالَ لَهَا: بَانِقْيَا، وَبَارُوسْمَا، وَأُلَّيْسَ، وَصَالَحَهُ أَهْلُهَا بَعْدَ أَنْ قَتَلَ مِنْهُمْ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً، وَكَتَبَ لِكَبِيرِ أَهْلِهَا (بُصبْهُرَى بنِ صَلُوبَا) كِتَابَاً، وَبَعْدَهَا سَارَ نَحْوَ الحِيرَةِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ أَشْرَافُهَا مَعَ قَبِيصَةَ بنِ إِيَاسٍ بنِ حَيَّةَ الطَّائِيِّ،

وَكَانَ أَمِيرُهَا مِنْ قِبَلِ كِسْرَى، فَقَالَ لَهُمْ خَالِدٌ: أَدْعُوكُمْ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى الإِسْلَامِ، فَإِنْ أَجَبْتُمْ فَأَنْتُمْ مِنَ المُسْلِمِينَ، لَكُمْ مَا لَهُمْ وَعَلَيْكُمْ مَا عَلَيْهِمْ، فَإِنْ أَبَيْتُمْ فَالجِزْيَةُ، فَإِنْ أَبَيْتُمْ فَقَدْ أَتَيْتُكُمْ بِأَقْوَامٍ هُمْ أَحْرَصُ عَلَى المَوْتِ مِنْكُمْ عَلَى الحَيَاةِ، جَاهَدْنَاكُمْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ. فَقَالَ لَهُ قَبِيصَةُ: مَا لَنَا بِحَرْبِكَ مِنْ حَاجَةٍ، بَلْ نُقِيمُ عَلَى دِينِنَا وَنُعْطِيكُمُ الجِزْيَةَ. فَقَالَ لَهُمْ خَالِدٌ: تَبّاً لَكُمْ، إِنَّ الكُفْرَ فَلَاةٌ مُضِلَّةٌ، فَأَحْمَقُ العَرَبِ مَنْ سَلَكَهَا. ثُمَّ صَالَحَهُمْ عَلَى تِسْعِينَ أَلْفاً.

ثُمَّ وَاعَدَ خَالِدٌ المَجْمُوعَاتِ الَّتِي تُقَاتِلُ فِي العِرَاقِ (الحَضِيرَ) لِيَلْتَقِيَ الجَمِيعُ هُنَاكَ وَيَسِيرُوا لِقِتَالِ الفُرْسِ مِنْ جَنُوبِيِّ العِرَاقِ أَوَّلاً فَأَوَّلُ، فَخَرَجَ المُثَنَّى قَبْلَ يَوْمَيْنِ، وَخَرَجَ بَعْدَئِذٍ عَدِيُّ بنُ حَاتِمٍ وَعَاصِمُ بنُ عَمْرٍو التَّمِيمِيُّ بَعْدَ يَوْمٍ، ثُمَّ خَرَجَ خَالِدٌ بِمَنْ مَعَهُ، وَالتَقَى الجَمِيعُ فِي (الحَضِيرِ)، وَكَانَ عَدَدُهُمْ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ أَلفاً، وَسَارُوا نَحْوَ (الأُبُلَّةَ)، فَالْتَقَوْا مَعَ (هُرْمُزَ) أَحَدِ أَشْرَافِ الفُرْسِ، وَكَانَتْ مَعْرَكَةً حَامِيَةً ثُمَّ نَزَلَ (هُرْمُزُ) وَدَعَا لِلْمُبَارَزَةِ، فَتَقَدَّمَ لَهُ خَالِدٌ، فَاخْتَلَفَا ضَرْبَتَيْنِ، ، وَاحْتَضَنَهُ خَالِدٌ، وَجَاءَتْ حَامِيَةُ (هُرْمُزَ) مِمَّا شَغَلَ خَالِدُ عَنْ قَتْلِ خَصْمِهِ، وَأَسْرَعَ القَعْقَاعُ وَهَجَمَ عَلَى

حَامِيَةِ (هُرْمُز)، وَانْهَزَمَ الفُرْسُ، وَاستَمَرَّ المُسْلِمُونَ يَعْمَلُونَ فِيهِمْ قَتْلاً حَتَّى جَاءَ اللَّيْلُ، وَعُرِفَتِ المَعْرَكَةُ بِذَاتِ السَّلاَسِلِ، إِذْ رَبطَ الفُرْسُ أَنْفُسَهُمْ بِالسَّلاَسِلِ كَيْ لاَ يَفِرُّوا، وَاستَحْوَذَ المُسْلِمُونَ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَسْلِحَتِهِمْ. وَبَعَثَ خَالِدٌ بِالغَنَائِمِ إِلَى الصِّدِّيقِ فَنَفَلَهُ قَلَنْسُوَةَ (هُرْمُز)، وَكَانَتْ بِمَائَةِ أَلْفٍ.

وَتَقَدَّمَ المُسْلِمُونَ نَحْوَ (الأُبُلَّةِ)، وَلَمْ يَتَعَرَّضُوا لِلْفَلاَّحِينَ بَلْ لِلْمُقَاتِلَةِ فَقَطْ، وَاسْتَوْلَى خَالِد عَلَى (الأُبُلَّةِ) وَتَابَعَ سَيْرَهُ نَحْوَ الشَّمَالِ حَيْثُ وَصَلَ المَدَدُ الفَارِسِيُّ المُرْسَلُ إِلَى (هُرْمُز)، وَالتَقَى الطَّرَفَانِ فِي مَوْقِعِ (المَذَارِ)[1]، فَقُتِلَ قَائِدُ الفُرْسِ (قَارِنُ) عَلَى يَدِ مَعْقِلِ بنِ الأَعْشَى، كَمَا قُتِلَ أَكْثَرُ أُمَرَائِهِمْ، إِذْ قَتَلَ عَدِيُّ بنُ حَاتِمٍ (قُبَاذَ)، وَقَتَلَ عَاصِمُ بنُ عَمْرٍو التَّمِيمِيُّ (أَنُو شَجَانَ)، وَانْهَزَمَ الفُرْسُ بَعْدَ أَنْ خَلَّفُوا وَرَاءَهُمْ ثَلاَثِينَ أَلْفَ قَتِيلٍ، كَمَا غَرِقَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ فِي النَّهْرِ.

وَصَلَ خَبَرُ (المَذَارِ) إِلَى (أَزْدَشِيرَ) مَلِكِ فَارِسَ فَبَعَثَ قُوَّةً كَبِيرَةً التَقَتْ مَعَ المُسْلِمِينَ فِي مَوْقِعِ (الوَلَجَةِ) فَانْتَصَرَ المُسْلِمُونَ، وَكَانَ مَعَ الفُرْسِ جَمَاعَةٌ مِنْ بَكْرِ بنِ وَائِلٍ فَقُتِلَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ، وَهَذَا مَا أَثَارَ عَشَائِرَهُمْ فَاجْتَمَعُوا عَلَى

---

(١) المذار: على نهر دجلة قبل التقائه بنهر الفرات بخمسين كيلومتراً.

عَبْدِ الأَسْوَدِ العِجْلِيِّ، وَراسَلُوا (أَزْدِشِيرَ) وَتَعاهَدُوا (أَلَّيْسَ) فَسَارَ إِلَيْهِمْ خالِدٌ، وَقَتَلَهُمْ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِمْ مَدَدُ الفُرْسِ . وَوَصَلَ الخَبَرُ إِلَى الصِّدِّيقِ مَعَ جَنْدَلٍ مِنْ بَنِي عِجْلٍ ، فَقَالَ الصِّدِّيقُ : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ! إِنَّ أَسَدَكُم قَدْ عَدَا عَلَى الأَسَدِ فَغَلَبَهُ عَلَى خَرَاذِيلِهِ[1] ، عَجَزَتِ النِّسَاءُ أَنْ يَلِدْنَ مِثْلَ خَالِدِ بنِ الوَلِيدِ.

ثُمَّ سَارَ خَالِدٌ فدخَلَ الحِيرَةَ وَجَاءَهُ فِيْهَا جَرِيرُ بنُ عَبْدِاللَّهِ البَجَلِيُّ مَدَداً، وَقَتَلَ الفُرْسُ (أَزْدَشِيرَ) وَابْنَهُ (شِيرِينَ) وَكُلَّ مَنْ يَمُتُّ إِلَيْهِمَا بِصِلَةٍ انْتِقَاماً لِقَتْلاهُمْ، وَنَقْمَةً مِنْهُ، وَأَرْسَلُوا الجُيُوشَ لِتَحُولَ بَيْنَ المُسْلِمِينَ وَبَيْنَ (المَدَائِنِ) قَاعِدَةِ الفُرْسِ ، وَقَدْ كَتَبَ خَالِدُ إِلَى زُعَمَاءِ الفُرْسِ يَدْعُوهُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ لِتَوطِيدِ مُلْكِهِمْ، أَوْ يَدْفَعُوا الجِزْيَةَ، أَوْ يَسْتَعِدُّوا لِقُدُومِهِ عَلَيْهِمْ بِقَوْمٍ يُحِبُّونَ المَوْتَ كَمَا يُحِبُّونَ هُمُ الحَيَاةَ. فَعَجِبَ الفُرْسُ مِنْ جُرْأَةِ خَالِدٍ، وَسَخِرُوا مِنْ ذَلِكَ. وَبَقِيَ خَالِدٌ مُدَّةً بَعْدَ صُلْحِ الحِيرَةِ يُرْسِلُ السَّرَايَا تَجُوبُ فِي مَنْطِقَةِ السَّوَادِ بَيْنَ نَهْرِيْ دِجْلَةَ والفُرَاتَ.

وَسَارَ خَالِدٌ إِلى الأَنْبَارِ وَعَلَيْهَا (شِيرْزَادْ)، وَحَوْلَهَا خَنْدَقٌ

(١) خراذيل : قطع اللحم ، ويقصد طعام الأسد.

فَرشَقَهُمُ المُسْلِمُونَ بِالنَّبْلِ فَفُقِئَتْ كَثِيرٌ مِنْ عُيُونِ الفُرْسِ حَتَّى سُمِّيَتِ المَعْرَكَةُ (ذَاتَ العُيُونِ)، وَضَجَّ الفُرْسُ، فَرَاسَلَ (شِيرْزَادْ) خَالِدَاً بِالصُّلْحِ ، فَوَافَقَ خَالِدٌ، وَوَضَعَ شُرُوطَاً رَفَضَهَا (شِيرْزَادْ) مُعْتَمِدَاً عَلَى الحِمَايَةِ بِالخَنْدَقِ ، فَجَاءَ خَالِدٌ بِالنُّوقِ الهَزِيلَةِ فَذَبَحَهَا وَرَدَمَ بِهَا الخَنْدَقَ، وَاجْتَازَهُ وَأَصْحَابُهُ. فَلَمَّا رَأَى (شِيرْزَادْ) ذَلِكَ وَافَقَ عَلَى شُرُوطِ خَالِدٍ وَاشْتَرَطَ إِبْلاَغَهُ مَأْمَنَهُ، فَوَفَّى لَهُ خَالِدٌ بِذَلِكَ.

وَلَّى خَالِدٌ عَلَى الأَنْبَارِ الزِّبْرِقَانَ بنَ بَدْرٍ، وَقَصَدَ هُوَ عَيْنَ التَّمْرِ، فَوَقَفَ فِي وَجْهِهِ الفُرْسُ وَعَلَيْهِمْ (مِهْرَانُ بنُ بَهْرَامَ) وَالقَبَائِلُ العَرَبِيَّةُ مِثْل: إِيَادٍ، وَتَغْلِبَ وَعَلَيْهِمْ عَقَّةُ بنُ أَبِي عَقَّةَ، فَقَالَ عَقَّةُ لِمِهْرَانَ: دَعُونَا لِقِتَالِ خَالِدٍ فَالعَرَبُ أَدْرَى بِقِتَالِ العَرَبِ فَوَافَقَ مِهْرَانُ. وَقَبْلَ أَنْ يُسَوِّيَ عَقَّةُ صُفُوفَهُ هَجَمَ عَلَيْهِ خَالِدٌ وَحَمَلَهُ أَسِيرَاً وَعَدَدَاً مِنْ أَصْحَابِهِ، وَلَمَّا بَلَغَ (مِهْرَانَ) خَبَرُ عَقَّةَ تَرَكَ حِصْنَ عَيْنِ التَّمْرِ وَوَلَّى هَارِبَاً، وَرَجَعَتْ فُلُولُ العَرَبِ المُتَنَصِّرَةِ إِلَى الحِصْنِ فَاحْتَمَتْ بِهِ وَقَدْ وَجَدَتْهُ مَفْتُوحَاً خَالِيَاً، فَجَاءَ خَالِدٌ وَحَاصَرَهُمْ فَلَمَّا اشْتَدَّ عَلَيْهِمُ الحِصَارُ طَلَبُوا الصُّلْحَ، فَأَبَى إِلاَّ أَنْ يَنْزِلُوا عَلَى حُكْمِهِ فَنَزَلُوا عَلَى حُكْمِهِ فَقَتَلَهُمْ. وَوَجَدَ فِي كَنِيسَةٍ أَرْبَعِينَ غُلاَمَاً يَتَعَلَّمُونَ الإِنْجِيلَ فَأَخَذَهُمْ

وَفَرَّقَهُمْ بَيْنَ قَادَةِ الجَيْشِ ، فَاشْتَهَر بَعْضُهُمْ مِمَّنْ أَرَادَ اللَّهُ بِهِمْ خَيْراً، إِذْ كَانَ مِنْهُمْ سِيرِينُ وَالِدُ مُحَمَّدِ بنِ سِيرِينَ، وَقَدْ أَخَذَهُ أَنَسُ بنُ مَالِكٍ، وَكَانَ نُصَيْرٌ وَالِدُ مُوسَى بنِ نُصَيرٍ.

سَارَ الوَلِيدُ بنُ عُقْبَةَ بِخُمْسِ الغَنَائِمِ مِنْ عِنْدِ خَالِدِ بنِ الوَلِيدِ بِالعِرَاقِ إِلَى الخَلِيفَةِ الصِّدِّيقِ بِالمَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ، فَرَدَّ الصِّدِّيقُ الوَلِيدَ بِكَوْكَبَةٍ مِنَ الفُرْسَانِ لِدَعْمِ عِيَاضِ بنِ غَنْمٍ الَّذِي يُحَاصِرُ دَوْمَةَ الجَنْدَلِ فَوَجَدَهُ فِي نَاحِيَةٍ مِنَ العِرَاقِ يُحَاصِرُ قَوْماً، وَهُمْ قَدْ أَخَذُوا عَلَيْهِ الطُّرُقَ، فَهُوَ مَحْصُورٌ أَيْضاً. فَقَالَ عِيَاضُ لِلْوَلِيدِ: إِنَّ بَعْضَ الرَّأْيِ خَيْرٌ مِنْ جَيْشٍ كَثِيفٍ، مَاذَا تَرَى فِيمَا نَحْنُ فِيْهِ؟ فَقَالَ لَهُ الوَلِيدُ: اكْتُبْ إِلَى خَالِدٍ يَمُدُّكَ بِجَيْشٍ مِنْ عِنْدِهِ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ يَسْتَمِدُّهُ. فَقَدِمَ كِتَابُ عِيَاضٍ عَلَى خَالِدٍ إِثْرَ وَقْعَةِ (عَيْنِ التَّمْرِ) وَهُوَ يَسْتَغِيثُ بِهِ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ مِنْ خَالِدٍ إِلَى عِيَاضٍ : إِيَّاكَ أُرِيدُ.

لَبِّثْ قَلِيلاً تَأْتِكَ الحَلائِبُ

يَحْمِلْنَ آسَاداً عَلَيْهَا القَاشِبُ

كَتَائِبٌ تَتْبَعُهَا كَتَائِبُ

سَارَ خَالِدُ بنُ الوَلِيدِ مِنْ عَيْنِ التَّمْرِ بَعْدَ أَنْ وَلَّى عَلَيْهَا عُوَيْمِرَ الأَسْلَمِيَّ، فَلَمَّا سَمِعَ أَهْلُ دَوْمَةِ الجَنْدَلِ بِمَسِيرِ خَالِدٍ إِلَيْهِمُ

اسْتَغَاثُوا بِالقَبَائِلِ العَرَبِيَّةِ المُتَنَصِّرَةِ فَجَاءَتْ جُمُوعٌ مِنْ بَهْرَاءَ، وَكَلْبٍ، وَتَنُوخَ، وَغَسَّانَ، غَيْرَ أَنَّ أَحَدَ أُمَرَائِهَا قَدْ فَارَقَهُمْ، وَهُوَ (الأُكَيْدِرُ)، فَأَرْسَلَ خَالِدُ لَهُ عَاصِمَ بنَ عَمْرٍو فَاعْتَرَضَ سَبِيلَهُ، فَقَبَضَ عَلَيْهِ وَأَخَذَهُ أَسِيراً، وَسَارَ خَالِدُ إِلَى دَوْمَةِ الجَنْدَلِ وَجَعَلَهَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ عِيَاضِ بنِ غَنْمٍ، فَانْقَسَمَ الأَعْدَاءُ قِسْمَيْنِ: كُلُّ قِسْمٍ مُقَابِلَ أَمِيرٍ مُسْلِمٍ، فَحَمَلَ خَالِدُ وَحَمَلَ عِيَاضُ، وَأَسَرَ خَالِدُ (الجُودِيَّ بنَ رَبِيعَةَ) أَمِيرَ دَوْمَةِ الجَنْدَلِ، وَاعْتَصَمَ الأَعْدَاءُ بِالحِصْنِ، فَاقْتَلَعَ خَالِدُ بَابَ الحِصْنِ، ثُمَّ اقْتَحَمَهُ وَمَنْ مَعَهُ، فَقَتَلُوا المُقَاتِلَةَ، وَسَبُوا الذَّرَارِيَ. وَسَيَّرَ خَالِدُ الأَقْرَعَ بنَ حَابِسٍ إِلَى الأَنْبَارِ، وَبَقِيَ هُوَ فِي دَوْمَةِ الجَنْدَلِ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الحِيرَةِ.

طَمِعَ الفُرْسُ بِالمُسْلِمِينَ لِغِيَابِ خَالِدٍ، وَأَرَادُوا دُخُولَ الأَنْبَارِ وَأَخْذِهَا مِنْ يَدِ الزَّبْرِقَانِ بنِ بَدْرٍ فَاسْتَنْجَدَ بِالقَعْقَاعِ بنِ عَمْرٍو نَائِبِ خَالِدٍ عَلَى الحِيرَةِ، فَبَعَثَ القَعْقَاعُ إِلَى (الحُصَيْدِ) أَعْبَدَ بنَ فَدَكِي السَّعْدِيَّ، وَبَعَثَ عُرْوَةَ بنَ أَبِي الجَعْدِ البَارِقِيَّ إِلَى (الخَنَافِسِ). وَرَجَعَ خَالِدُ إِلَى الحِيرَةِ وَقَدْ بَلَغَهُ اجْتِمَاعُ الفُرْسِ وَالعَرَبِ المُتَنَصِّرَةِ لِقِتَالِ المُسْلِمِينَ، فَخَرَجَ مِنَ الحِيرَةِ وَقَدْ وَلَّى عَلَيْهَا عِيَاضَ بنَ غَنْمٍ، وَسَارَ إِلَى عَيْنِ التَّمْرِ وَعَلَى مُقَدِّمَتِهِ

الأَقْرَعُ بنُ حَابِسٍ . وَمَكَثَ خَالِدُ فِي عَيْنِ التَّمْرِ وَأَرْسَلَ القَعْقَاعَ أَمِيراً عَلَى القَوْمِ فَالْتَقى مَعَ الفُرْسِ فِي مَكَانٍ يُقَالُ لَهُ (**الحُصَيْدُ**) فَانْتَصرَ عَلَيْهِمْ، فَهَرَبُوا إِلَى مَوْقِعِ (الخَنَافِسِ) فَسَارَ إِلَيْهِمْ أَعْبَدُ بنُ فَدَكِي السَّعْدِيُّ أَبُو لَيْلَى. فَلَمَّا أَحَسُّوا بِذَلِكَ سَارُوا إِلَى (**المُصَيَّخِ**) فقَصَدَهُمْ خَالِدُ فَأَغَارَ عَلَيْهِمْ وَهُمْ نِيَامٌ فَلَمْ يَنْجُ مِنْهُمْ إِلَّا اليَسِيرُ.

وَانْتَصرَ خَالِدُ أَيْضاً فِي وَقْعَتَيِ **الثَّنِي وَالزُّمَيْلِ**، وَهُمَا قُرْبَ الرَّصَافَةِ عَلَى مَقْرُبَةٍ مِنَ الرِّقَةِ. ثُمَّ سَارَ خَالِدُ بِالمُسْلِمِينَ إِلَى **الفِرَاضِ**، وَلَمَّا وَصَلَ خَبَرُهُ إِلَى الرُّومِ غَضِبُوا، وَجَمَعُوا لَهُ الجُمُوعَ، كَمَا استَنْفَرُوا العَرَبَ المُتَنَصِّرَةَ، وَعَبَرُوا نَهْرَ الفُرَاتِ إِلَى المُسْلِمِينَ، وَكَانَتْ مَعْرَكَةً طَاحِنَةً قُتِلَ فِيْهَا مِنَ الرُّومِ وَأَعْوَانِهِمْ مَا يَزِيدُ عَلَى مِائَةِ أَلْفٍ وَذَلِكَ فِي شَهْرِ ذِي القِعْدَةِ مِنَ العَامِ الثَّانِي عَشَرَ مِنَ الهِجْرَةِ، فَأَقَامَ خَالِدُ بِالفِرَاضِ عَشْرَةَ أَيَّام، ثُمَّ أَمَرَ بِالعَوْدَةِ إِلَى الحِيرَةِ فِي ٢٥ ذِي القِعْدَةِ، فَسَارَ عَاصِمُ بنُ عَمْروٍ فِي المُقَدِّمَةِ، وَشَجَرَةُ بنُ الأَعَزِّ فِي السَّاقَةِ، وَبَدَا خَالِدُ أَنَّهُ فِي السَّاقَةِ، وَلَكِنَّهُ انْطَلَقَ مَعَ عَدَدٍ مِنْ أَصْحَابِهِ إِلَى مَكَّةَ فَشَهِدَ المَوْسِمَ، وَرَجَعَ إِلَى الحِيرَة، وَلَمَّا عَلِمَ أَبُو بَكْرٍ بِذَلِكَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ يُعَاتِبُهُ، ثُمَّ أَمَرَهُ بِالسَّيْرِ إِلَى الشَّامِ لِمُسَاعَدَةِ

أبِي عُبَيْدَةَ فِي قِتَالِهِ الرُّومِ ، فَانْطَلَقَ خَالِدُ بِقِسْمٍ مِنْ جَيْشِهِ إِلَى الشَّامِ.

وَهَكَذا فَإِنَّ خَالِدَاً قَدْ جَالَ بِخَيْلِهِ فِي أَكْثَرِ السَّوَادِ، وَتَقَدَّمَ عَلَى الضِّفَة اليُمْنَى لِنَهْرِ الفُرَاتِ مَسَافَاتٍ طَوِيلَةً حَتَّى شَارَفَ الرِّقَّةَ، وَهَذَا التَّقَدُّمُ قَدْ أَضْعَفَ مِنْ مَعْنَوِيَّاتِ العَدُوِّ، وَهَذِهِ إِحْدَى طُرُقِ خَالِدٍ الحَرْبِيَّةِ وَهِيَ الدُّخُولُ فِي عُمْقِ أَرْضِ الخَصْمِ ، وَلاَ يَتَقَدَّمُ حَتَّى يَكُونَ مَحْمِيَّاً مِنْ جِهَةٍ كَيْ لاَ يَتَمَكَّنَ العَدُوُّ مِنَ الإِطْبَاقِ عَلَيْهِ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ فِيمَا لَوْ فَكَّرَ فِي ذَلِكَ. فَلَمْ يَنْطَلِقْ إِلَى (الأُبُلَّةِ) حَتَّى ضَمِنَ الجِهَةَ الغَرْبِيَّةَ، وَهَذَا مَا سَاعَدَهُ فِي التَّقَدُّمِ نَحْوَ (المَذَارِ) وَ (الوَلَجَةِ)، وَعِنْدَمَا تَقَدَّمَ فِي حَوْضِ الفُرَاتِ يَعْلَمُ أَنَّ بَادِيَةَ الشَّامِ وَالعِرَاقِ خَالِيَةٌ مِنَ المُقَاتِلِينَ الرُّومِ وَالفُرْسِ ، وَأَنَّ الأَعْرَابَ قَدْ أَرْهَبَهُمْ وَدَوَّخَهُمْ، وَبَعْدَ أَنْ يَجِدَ الحِمَايَةَ لإِحْدَى مَجْنَبَتَيْهِ يُلْقِي بِثِقْلِهِ عَلَى العَدُوِّ مُقْتَحِماً تَحْصِينَاتِهِ، وَمُبَاغِتَاً لَهُ، وَمُلْقِيَاً بِنَفْسِهِ وَبِقِطْعَتِهِ السَّرِيعَةِ الحَرَكَةِ، وَفُرْسَانِهِ الأَشِدَّاءِ، غَيْرَ مُبَالٍ ، وَغَالِبَاً مَا تَكُونُ حَرَكَتُهُ مُفَاجِئَةً.

## الطَّرِيقُ إِلَى الشَّامِ:

وَصَلَ كِتَابُ أَبِي بَكْرٍ إِلَى خَالِدٍ وَهُوَ بِالحِيرَةِ وَفِيهِ: أَنْ سِرْ

حَتَّى تَأْتِيَ جُمُوعَ المُسْلِمِينَ بِاليَرْمُوكِ، فَإِنَّهُمْ قَدْ شَجَوْا وَأَشَجُّوا، وَإِيَّاكَ أَنْ تَعُودَ لِمِثْلِ مَا فَعَلْتَ، فَإِنَّهُ لَمْ يُشْجِ الجُمُوعَ مِنَ النَّاسِ بِعَونِ اللَّهِ شَجَاكَ، وَلَمْ يَنْزِعِ الشَّجَى مِنَ النَّاسِ نَزْعُكَ، فَلْيُهَنِّئْكَ النِّيَّةَ وَالخُطْوَةَ فَأَتْمِمْ يُتْمِمِ اللَّهُ لَكَ، وَلاَ يَدْخُلَنَّكَ عَجَبٌ فَتَخْسَرَ وَتُخْذَلَ، وَإِيَّاكَ أَنْ تُدِلَّ بِعَمَلٍ، فَإِنَّ اللَّهَ لَهُ المَنُّ وَهُوَ وَلِيُّ الجَزَاءِ.

وَجَاءَ فِيمَا كَتَبَ أَبُو بَكْرٍ لِخَالِدٍ: أَمَّا بَعْدُ فَدَعِ العِرَاقَ وَخَلِّفْ فِيهِ أَهْلَهُ الَّذِينَ قَدِمْتَ عَلَيْهِمْ، وَهُمْ فِيهِ، وَامْضِ مُخْتَفِياً مِنْ أَهْلِ القُوَّةِ مِنْ أَصْحَابِكَ الَّذِينَ قَدِمُوا مَعَكَ العِرَاقَ مِنَ اليَمَامَةِ وَصَحِبُوكَ فِي الطَّرِيقِ، وَقَدِمُوا عَلَيْكَ مِنَ الحِجَازِ، حَتَّى تَأْتِيَ الشَّامَ فَتَلْقَى أَبَا عُبَيْدَةَ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ المُسْلِمِينَ، فَإِذَا التَقَيْتُمْ فَأَنْتَ أَمِيرُ الجَمَاعَةِ وَالسَّلاَمُ.

سَارَ خَالِدٌ مِنَ الحِيرَةِ فِي العِرَاقِ، وَقَدِ اسْتَخْلَفَ المُثَنَّى بنَ حَارِثَةَ الشَّيبَانِيَّ عَلَى جُنْدِ العِرَاقِ، وَسَارَ هُوَ إِلَى الشَّامِ، وَكَتَبَ إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ: أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَسْأَلُ اللَّهَ لَنَا وَلَكَ الأَمْنَ يَوْمَ الخَوْفِ، وَالعِصْمَةَ فِي دَارِ الدُّنْيَا مِنْ كُلِّ سُوءٍ، وَقَدْ أَتَانِي كِتَابُ خَلِيفَةِ رَسُولِ اللَّهِ يَأْمُرُنِي بِالمَسِيرِ إِلَى الشَّامِ وَبِالقِيَامِ عَلَى جُنْدِهَا وَالتَّوَلِّي لِأَمْرِهَا، وَاللَّهِ مَا طَلَبْتُ ذَلِكَ قَطُّ وَلاَ أَرَدْتُهُ إِذْ

وُلِّيتُهُ فَأَنْتَ عَلَى حَالِكَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا لاَ نَعْصِيكَ وَلاَ نُخَالِفُكَ وَلاَ نَقْطَعُ دُونَكَ أَمْراً، فَأَنْتَ سَيِّدُ المُسْلِمِينَ، لاَ نُنْكِرُ فَضْلَكَ، وَلاَ نَسْتَغْنِي عَنْ رَأْيِكَ، تَمَّمَ اللَّهُ بِنَا وَبِكَ مِنْ إِحْسَانٍ، وَرَحِمَنَا وَإِيَّاكَ مِنْ صِلِيِّ النَّارِ، وَالسَّلاَمُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ.

سَارَ خَالِدٌ مِنَ الحِيرَةِ إِلَى (قَرَاقِرٍ) حَيْثُ شَيَّعَهُ إِلَيْهَا المُثَنَّى بنُ حَارِثَةَ، وَمِنْهَا إِلَى (سُوَى)، ثُمَّ تَحَرَّكَ إِلَى (دَوْمَةِ الجَنْدَلِ)، وَأَغَارَ عَلَى (مُصَيَّخِ بَهْرَاءَ)، ثُمَّ نَحْوَ الشَّمَالِ مَعَ وَادِي السَّرْحَانِ إِلَى شَرْقِ جَبَلِ حَوْرَانَ (الدُّرُوزِ اليَوْمَ) حَتَّى وَصَلَ إِلَى (أَرَكَ)[1] فَصَالَحَهُ أَهْلُهَا، وَسَارَ إِلَى (تَدْمُرَ) فَتَحَصَّنَ أَهْلُهَا، ثُمَّ صَالَحُوهُ، وَمِنْهَا سَارَ إِلَى (القَرْيَتَيْنِ) فَـ (حَوَّارِينَ)، وَلَمَّا عَلِمَ الغَسَاسِنَةُ بِذَلِكَ، اجْتَمَعُوا لَهُ بِـ (مَرْجِ رَاهِطٍ) فَسَارَ إِلَيْهِمْ فِي يَوْمِ فِصْحِهِمْ، وَعَلَيْهِمُ الحَارِثُ بنُ الأَيْهَمِ، فَانْتَصَرَ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ وَجَّهَ إِلَى الغُوطَةِ بُسْرَ بنَ أَبِي أَرْطَأَةَ وَحَبِيبَ بنَ مَسْلَمَةَ ثُمَّ سَارَ إِلَى (بُصْرَى الشَّامِ) فَافْتَتَحَهَا وَهِيَ أَوَّلُ مَدِينَةٍ فَتَحَهَا مِنْ بِلاَدِ الشَّامِ، وَانْطَلَقَ بَعْدَهَا إِلَى اليَرْمُوكِ. وَرُبَّمَا يَتَسَاءَلُ المَرْءُ عَنْ سَبَبِ

---

(١) أرك: واحة قرب تدمر، سكانها كانوا من النصارى، وهي ذات نخل وزيتون.

قَطْعِهِ هَذِهِ الطَّرِيقَ الطَّوِيلَةَ وَالمُلْتَوِيَةَ؟ إِنَّهُ أَرَادَ أَلَّا يَصْطَدِمَ بِالرُّومِ قَبْلَ الاجْتِمَاعِ مَعَ إِخْوَانِهِ المُسْلِمِينَ المُجَاهِدِينَ وَبِخَاصَّةٍ أَنَّهُ أَصْبَحَ أَمِيرَ الفَاتِحِينَ فِي الشَّامِ فَلا بُدَّ مِنَ الوُصُولِ إِلَى جُنْدِهِ لِيَقُودَهُمْ فِي القِتَالِ، وَإِنَّ خِطَّةَ المُسْلِمِينَ كَانَتْ تَقْضِي بِأَنْ يَكُونَ القِتَالُ مُجْتَمِعِينَ لَا مُتَفَرِّقِينَ لِيَتَمَكَّنُوا مِنْ قِتَالِ الرُّومِ الَّذِينَ يَمْلِكُونَ أَعْدَاداً كَبِيرَةً تَفُوقُ عَدَدَ المُسْلِمِينَ بِعَشْرَةِ أَمْثَالٍ، وَلِلرُّومِ ثُغُورٌ وَسَطَ بَادِيَةِ الشَّامِ حَيْثُ كَانَتْ مِنْ قَبْلُ مَسْرَحاً لِلْمَعَارِكِ الدَّائِرَةِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الفُرْسِ، فَلَوْ سَارَ مِنَ (الحِيرَةِ) مُبَاشَرَةً نَحْوَ الغَرْبِ لَاصْطَدَمَ بِتِلْكَ الثُّغُورِ أَوْ نُقَاطِ الاسْتِنَادِ، وَلَأَضَاعَ عَلَى المُسْلِمِينَ تَجَمُّعَهُمْ فِي اليَرْمُوكِ وَقِيَادَتِهِ لَهُمْ إِذْ يَضْطَرُّ قِسْمٌ مِنْهُمْ لِلسَّيْرِ نَحْوَ خَالِدٍ لَدَعْمِهِ وَلِهَذَا اضْطَرَّ أَنْ يَسِيرَ نَحْوَ الجَنُوبِ لِيَتَجَاوَزَ تِلْكَ الثُّغُورِ عَنْ طَرِيقِ (دَوْمَةِ الجَنْدَلِ)، ثُمَّ اتَّجَهَ شَمَالاً وَعِنْدَمَا وَصَلَ إِلَى الشَّرْقِ مِنْ (بُصْرَى الشَّامِ) وَجَدَ نَفْسَهُ أَمَامَ جَبَلِ حَوْرَانَ (الدُّرُوزِ) البُرْكَانِيِّ الصَّعْبِ الاجْتِيَازِ، فَأَرَادَ الالْتِفَافَ حَوْلَهُ وَلَكِنْ كُلَّمَا اتَّجَهَ يَسْرَةً وَجَدَ مُرْتَفِعَاتٍ (دَيْرَةَ التُّلُولِ ـ الجَبَلَ الشَّرْقِيَّ) وَأَخِيراً وَجَدَ نَفْسَهُ مَعَ سُرْعَتِهِ المَعْرُوفَةِ فِي مَنْطِقَةِ (تَدْمُرَ)، لِذَا عَادَ فَرَجَعَ إِلَى الغَرْبِ عَنْ طَرِيقِ (القَرْيَتَيْنِ)، فَثَنْيَةِ العِقَابِ (الثَّنَايَا) فَشَرْقِ دِمَشْقَ إِلَى (بُصْرَى الشَّامِ) فَفَتَحَهَا، وَمِنْهَا سَارَ إِلَى اليَرْمُوكِ.

# فِي الشَّامِ

## ١ً - فِي اليَرْمُوكِ:

وَصَلَ خَالِدُ إِلَى اليَرْمُوكِ، وَصَلَّى فِي اليَوْمِ الأَوَّلِ بِجُنْدِهِ الَّذِينَ قَدِمُوا مَعَهُ مِنَ العِرَاقِ، وَرَأَى الرُّومَ مُجْتَمِعِينَ فَجَمَعَ المُسْلِمِينَ وَخَطَبَ فِيهِمْ فَقَالَ بَعْدَ أَنْ حَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ: إِنَّ هَذَا يَوْمٌ مِنْ أَيَّامِ اللَّهِ، لاَ يَنْبَغِي فِيهِ الفَخْرُ وَلاَ البَغْيُ. أَخْلِصُوا جِهَادَكُمْ، وَأَرِيدُوا اللَّهَ بِعَمَلِكُمْ؛ فَإِنَّ هَذَا يَوْمٌ لَهُ مَا بَعْدَهُ، وَلاَ تُقَاتِلُوا قَوْمَاً عَلَى نِظَامٍ وَتَعْبِيَةٍ، عَلَى تَسَانُدٍ وَانْتِشَارٍ، فَإِنَّ ذَلِكَ لاَ يَحِلُّ وَلاَ يَنْبَغِي، وَإِنَّ مَنْ وَرَاءَكُمْ لَوْ يَعْلَمُ عَلْمَكُمْ حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ هَذَا، فَاعْمَلُوا فِيمَا لَمْ تُؤْمَرُوا بِهِ بِالَّذِي تَرَوْنَهُ أَنَّهُ الرَّأْيُ مِنْ وَالِيكُمْ وَمَحَبَّتَهُ، قَالُوا: فَهَاتِ، فَمَا الرَّأْيُ؟ قَالَ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ لَمْ يَبْعَثْنَا إِلَّا وَهُوَ يَرَى أَنَّنَا سَنَتَيَاسَرُ، وَلَوْ عَلِمَ بِالَّذِي كَانَ وَيَكُونُ، لَقَدْ جَمَعَكُمْ، إِنَّ الَّذِي أَنْتُمْ فِيهِ أَشَدُّ عَلَى المُسْلِمِينَ مِمَّا غَشِيَهُمْ، وَأَنْفَعُ لِلْمُشْرِكِينَ مِنْ أَمْدَادِهِمْ، وَلَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ الدُّنْيَا فَرَّقَتْ بَيْنَكُمْ، فَاللَّهَ اللَّهَ، فَقَدْ أُفْرِدَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِبَلَدٍ مِنَ البُلْدَانِ لاَ يَنْتَقِصُهُ مِنْهُ إِنْ دَانَ لِأَحَدٍ مِنْ أُمَرَاءِ الجُنْدِ، وَلاَ يَزِيدُهُ عَلَيْهِ إِنْ دَانُوا لَهُ. إِنَّ تَأْمِيرَ بَعْضِكُمْ لاَ يُنْقِصُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلاَ عِنْدَ خَلِيفَةِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. هَلُمُّوا فَإِنَّ هَؤُلاَءِ

تَهَيَّئُوا، وَهَذَا يَوْمٌ لَهُ مَا بَعْدَهُ، إِنْ رَدَدْنَاهُمْ إِلَى خَنْدَقِهِمُ اليَوْمَ لَمْ نَزَلْ نَرُدُّهُمْ، وَإِنْ هزَمُونَا لَمْ نُفْلِحْ بَعْدَهَا. فَهَلُمُّوا فَلْنَتَعَاوَرِ الإِمَارَةَ، فَلْيَكُنْ عَلَيْهَا بَعْضُنَا اليَوْمَ، وَالآخرُ غَداً، وَالآخرُ بَعْدَ غَدٍ حَتَّى يَتَأَمَّرَ كُلُّكُمْ، وَدَعُونِي إِلَيْكُمُ اليَوْمَ[1]. فَأَمَّرُوهُ.

قَسَّمَ خَالِدٌ الجَيْشَ إِلَى سِتَّةٍ وَثَلاَثِينَ كَرْدُوساً أَوْ أَرْبَعِينَ، وَيضُمُّ كُلُّ كَرْدُوسٍ مَا يَقْرُبُ مِنْ أَلْفِ مُقَاتِلٍ، وَعَلَى كُلِّ كَرْدُوسٍ أَمِيرٌ مَعْرُوفٌ بِبَسَالَتِهِ، وَكَانَ ابْنُهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَلَى كَرْدُوسٍ وَلَمْ يَتَجَاوَزِ الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ مِنَ العُمْرِ. وَكَانَ فِي القَلْبِ أَبُو عُبَيْدَةَ بنُ الجَرَّاحِ وَمَعَهُ سَعِيدُ بنُ زَيْدٍ أَحَدُ العَشْرَةِ المُبَشَّرِينَ بِالجَنَّةِ، وَعَلَى المَيْمَنَةِ عَمْرُو بنُ العَاصِ وَمَعَهُ شُرَحْبِيلُ بنُ حَسَنَةَ، وَعَلَى المَيْسَرَةِ يَزِيدُ بنُ أَبِي سُفْيَانَ.

وَجَاءَ خَالِدُ إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ تَقْدِيراً وَاحْتِرَاماً لِمَا لَهُ مِنْ فَضْلٍ وَسَابِقَةٍ فِي الإِسْلاَمِ[2]، وَقَالَ لَهُ: إِنِّي مُشِيرٌ بِأَمْرٍ، فَقَالَ: قُلْ مَا أَمَرَكَ اللَّهُ أَسْمَعُ لَكَ وَأُطِيعُ، فَقَالَ لَهُ خَالِدٌ: إِنَّ هَؤُلاَءِ القَوْمَ لاَ بُدَّ لَهُمْ مِنْ حَمْلَةٍ عَظِيمَةٍ لاَ مَحِيدَ لَهُمْ عَنْهَا، وَإِنِّي أَخْشَى عَلَى

---

(١) جاء خالد أميراً، وأحبّ أن يكون برغبتهم لا بالفرض عليهم رغم أن المسلمين لا يفكرون بهذا ولا يقفون عنده.

(٢) كان خالد يحترم أبا عبيدة كثيراً ويخجل منه.

المَيْمَنَةِ والمَيْسَرَةِ، وَقَدْ رَأَيْتُ أَنْ أُفَرِّقَ الخَيْلَ فِرْقَتَيْنِ وَأَجْعَلَهَا وَرَاءِ المَيْمَنَةِ وَالمَيْسَرَةِ حَتَّى إِذَا صَدُّوهُمْ كَانُوا لَهُمْ رِدْءاً فَنَأْتِيهِمْ مِنْ وَرَائِهِمْ، فَقَالَ لَهُ: نِعْمَ مَا رَأَيْتَ. فَكَانَ خَالِدٌ فِي أَحَدِ الخَيْلَيْنِ مِنْ وَرَاءِ المَيْمَنَةِ، وَقَيْسُ بنُ هُبَيْرَةَ فِي الخَيْلِ الأُخْرَى، وَأَمَرَ أَبَا عُبَيْدَةَ أَنْ يَتَأَخَّرَ عَنِ القَلْبِ إِلَى وَرَاءِ الجَيْشِ كُلِّهِ حَتَّى إِذَا رَآهُ المُنْهَزِمُ اسْتَحْيَى مِنْهُ وَرَجَعَ إِلَى القِتَالِ[١]، فَجَعَلَ أَبُو عُبَيْدَةَ مَكَانَهُ فِي القَلْبِ سَعِيدَ بنَ زَيْدٍ، وَسَاقَ خَالِدٌ إِلَى النِّسَاءِ أَنْ يَكُنَّ مِنْ وَرَاءِ الجَيْشِ وَمَعَهُنَّ السُّيُوفُ وَغَيْرُهَا، فَقَالَ لَهُنَّ: مَنْ رَأَيْتُمُوهُ مُوَلِّيَاً فَاقْتُلْنَهُ.

وَقَالَ رَجُلٌ لِخَالِدٍ يَوْمَئِذٍ: مَا أَكْثَرَ الرُّومَ وَأَقَلَّ المُسْلِمِينَ، فَقَالَ خَالِدٌ: مَا أَقَلَّ الرُّومَ وَأَكْثَرَ المُسْلِمِينَ! إِنَّمَا تَكْثُرُ الجُنُودُ بِالنَّصْرِ وَتَقِلُّ بِالخُذْلَانِ، لَا بِعَدَدِ الرِّجَالِ.

عَرَضَ المُسْلِمُونَ عَلَى الأَعْدَاءِ: الإِسْلَامَ أَوِ السَّيْفَ، وَكَانَ مِنْ تَعَنُّتِ الرُّومِ أَنْ كَانَ لَابُدَّ مِنَ الحَرْبِ.

وَطَلَبَ قَائِدُ الرُّومِ (مَاهَانُ) خَالِدَاً لِيَبْـرُزَ إِلَيْهِ فِيمَا بَيْنَ الصَّفَّيْنِ فَيَجْتَمِعَا فِي مَصْلَحَةٍ لَهُمْ، فَقَالَ مَاهَانُ: إِنَّا قَدْ عَلِمْنَا أَنَّ مَا أَخْرَجَكُمْ مِنْ بِلَادِكُمْ الجُهْدُ والجُوعُ، فَهَلُمُّوا إِلَى أَنْ

---

(١) خوفاً عليه، وتقديراً له.

أُعْطِيَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْكُمْ عَشْرَةَ دَنَانِيرَ وَكِسْوَةً وَطَعَامًا وَتَرْجِعُونَ إِلَى بِلَادِكُمْ، فَإِذَا كَانَ مِنَ العَامِ المُقْبِلِ بَعَثْنَا لَكُمْ بِمِثْلِهَا، فَقَالَ خَالِدٌ: إِنَّهُ لَمْ يُخْرِجْنَا مِنْ بِلَادِنَا مَا ذَكَرْتَ، غَيْرَ أَنَّا قَوْمٌ نَشْرَبُ الدِّمَاءَ، وَأَنَّهُ بَلَغَنَا أَنَّهُ لَا دَمَ أَطْيَبُ مِنْ دَمِ الرُّومِ فَجِئْنَا لِذَلِكَ. فَقَالَ أَصْحَابُ مَاهَانَ: هَذَا وَاللَّهِ مَا كُنَّا نُحَدَّثُ بِهِ عَنِ العَرَبِ.

وَطَلَبَ خَالِدٌ مِنْ عِكْرِمَةَ وَالقَعْقَاعَ - وَهُمَا عَلَى مَجْنَبَتَيِ القَلْبِ - أَنْ يُنْشِبَا القِتَالَ، وَبَدَأَتِ المَعْرَكَةُ فِي أَوَائِلِ شَهْرِ رَجَبٍ مِنْ سَنَةِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ.

حَمَلَتْ مَيْسَرَةُ الرُّومِ عَلَى مَيْمَنَةِ المُسْلِمِينَ (لِوَاءِ عَمْرِو بنِ العَاصِ) حَتَّى أَلْجَؤُوهُمْ إِلَى نَاحِيَةِ القَلْبِ، فَحَمَلَ خَالِدٌ بِالخَيْلِ عَلَى مَيْسَرَةِ الرُّومِ الَّتِي هَجَمَتْ عَلَى مَيْمَنَةِ المُسْلِمِينَ، فَأَزَالُوهُمْ إِلَى القَلْبِ، وَقَتَلَ المُسْلِمُونَ فِي حَمْلَتِهِمْ هَذِهِ سِتَّةَ آلَافٍ مِنَ الرُّومِ. ثُمَّ حَمَلَ خَالِدٌ بِمِائَةِ فَارِسٍ عَلَى مَا يَقْرُبُ مِنْ مِائَةِ أَلْفٍ مِنَ الرُّومِ فَانْهَزَمُوا أَمَامَهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ، وَتَبِعُوهُمْ.

وَلَمَّا عَادَ المُسْلِمُونَ مِنْ حَمْلَتِهِمْ هَذِهِ جَاءَ البَرِيدُ مِنَ المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ يَحْمِلُهُ مَحْمِيَةُ بنُ زُنَيْمٍ، فَأَخَذَتْهُ الخُيُولُ، وَسَأَلُوهُ

الخَبَرَ، فَلَمْ يُخْبِرْهُمْ إلاَّ بِسَلاَمَةٍ، وَأَخْبَرَهُمْ عَنْ أَمْدَادٍ، وَإِنَّمَا جَاءَ بِمَوْتِ أَبِي بَكْرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَاسْتِخْلاَفِ عُمَرَ، وَتَأْمِيرِ أَبِي عُبَيْدَةَ، وَأُخِذَ مَحْمِيَةُ بنُ زُنَيْمٍ إِلَى خَالِدِ بنِ الوَلِيدِ، فَأَخْبَرَهُ خَبَرَ أَبِي بكْرٍ، فَأَسَرَّهُ إِلَيْهِ، وَأَخْبَرَهُ بِالَّذِي أَخْبَرَ بِهِ الجُنْدَ. قَالَ: أَحْسَنْتَ فَقِفْ، وَأَخَذَ الكِتَابَ وَجَعَلَهُ فِي كِنَانَتِهِ، وَخَافَ أَنْ يَنْتَشِرَ الخَبَرُ بَيْنَ الجُنْدِ. وَلَيْسَ فِي ذَلِكَ مَصْلَحَةٌ.

وَخَرَجَ مِنْ بَيْنِ صُفُوفِ الرُّومِ أَحَدُ أُمَرَائِهِمُ الكِبَارُ، وَهُوَ (جَرْجَةُ)، وَاسْتَدْعَى خَالِدَ بنَ الوَلِيدِ إِلَى بَيْنِ الصُّفُوفِ حَتَّى اخْتَلَفَتْ أَعْنَاقُ فَرَسَيْهِمَا، وَمَحْمِيَةُ بنُ زُنَيْمٍ حَامِلُ البَرِيدِ وَاقِفٌ مَعَهُمَا - بِأَمْرِ خَالِدٍ - فَقَالَ (جَرْجَةُ): يَا خَالِدُ أَخْبِرْنِي فَاصْدُقْنِي وَلاَ تَكْذِبْنِي، فَإِنَّ الحُرَّ لا يَكْذِبُ، وَلاَ تُخَادِعْنِي فَإِنَّ الكَرِيمَ لاَ يُخَادِعُ المُسْتَرْسِلَ بِاللَّهِ، هَلْ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّكُمْ سَيْفاً مِنَ السَّمَاءِ فَأَعْطَاكَهُ فَلاَ تَسُلُّهُ عَلَى أَحَدٍ إِلاَّ هَزَمْتَهُمْ[1]؟.

قَالَ: لاَ.

قَالَ: فَبِمَ سُمِّيتَ سَيْفَ اللَّهِ؟

---

(١) يعطي هذا الصورة الحقيقية عن خوف الرّوم من المسلمين عامةً، ومن قيادة خالدٍ خاصةً، وهذا ما أضعف الرّوح المعنوية عندهم، فأذلّهم اللّه ونصر عباده المؤمنين.

قَالَ: إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ فِيْنَا نَبِيَّهُ فَدَعَانَا فَنفَرْنَا مِنْهُ وَنَأَيْنَا عَنْهُ جَمِيعَاً، ثُمَّ إِنَّ بَعْضَنَا صَدَّقَهُ وَتَابَعَهُ، وَبَعْضَنَا كَذَّبَهُ وَبَاعَدَهُ، فَكُنْتُ فِيْمَنَ كَذَّبَهُ وَبَاعَدَهُ، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ أَخَذَ بِقُلُوبِنَا وَنَوَاحِينَا فَهَدَانَا بِهِ وَبَايَعْنَاهُ، فَقَالَ لِي أَنْتَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ سَلَّهُ اللَّهُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ وَدَعَا لِي بِالنَّصْرِ، فَسُمِّيتُ سَيْفَ اللَّهِ بِذَلِكَ، فَأَنَا أَشَدُّ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ.

فَقَالَ (جَرْجَةُ): يَا خَالِدُ إِلَى مَا تَدْعُونَ؟.

قَالَ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدَاً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَالإِقْرَارُ بِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

قَالَ: فَمَنْ لَمْ يُجِبْكُمْ؟.

قَالَ: الجِزْيَةُ وَنَمْنَعُهُمْ.

قَالَ: فَإِنْ لَمْ يُعْطِهَا؟.

قَالَ: نُؤذِنْهُ بِالحَرْبِ ثُمَّ نُقَاتِلُهُ.

قَالَ: فَمَا مَنْزِلَةُ مَنْ يُجِيبُكُمْ وَيَدْخُلُ فِي هَذَا الأَمْرِ اليَوْمَ؟.

قَالَ: مَنْزِلَتُنَا وَاحِدَةٌ فِيمَا افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْنَا، شَرِيفُنَا وَوَضِيعُنَا وَأَوَّلُنَا وَآخِرُنَا.

قَالَ جَرْجَة: فَلِمَنْ دَخَلَ فِيْكُمُ اليَوْمَ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ مَا لَكُمْ مِنَ

الأَجْرِ وَالذُّخرِ؟.

قَالَ: نَعَمُ، وَأَفْضَلُ.

قَالَ: وَكَيْفَ يُسَاوِيكُمْ، وَقَدْ سَبَقْتُمُوهُ؟.

فَقَالَ خَالِدٌ: إِنَّا قَبِلْنَا هَذَا الأَمْرَ عَنْهُ، وَبَايَعْنَا نَبِيَّنَا وَهُوَ حَيٌّ بَيْنَ أَظْهُرِنَا تَأْتِيهِ أَخْبَارُ السَّمَاءِ، وَيُخْبِرُنَا بِالكِتَابِ، وَيُرِينَا الآيَاتِ، وَحَقَّ لِمَنْ رَأَى مَا رَأَيْنَا، وَسَمِعَ مَا سَمِعْنَا أَنْ يُسْلِمَ وَيُبَايِعَ، وَإِنَّكُمْ أَنْتُمْ لَمْ تَرَوْا مَا رَأَيْنَا، وَلَمْ تَسْمَعُوا مَا سَمِعْنَا مِنَ العَجَائِبِ وَالحُجَجِ، فَمَنْ دَخَلَ فِي هَذَا الأَمْرِ مِنْكُمْ بِحَقِيقَةٍ وَنِيَّةٍ كَانَ أَفْضَلَ مِنَّا.

فَقَالَ جَرْجَه: بِاللَّهِ لَقَدْ صَدَقْتَنِي وَلَمْ تُخَادِعْنِي؟.

قَالَ: تَاللَّهِ لَقَدْ صَدَقْتُكَ، وَأَنَّ اللَّهَ وَلِيُّ مَا سَأَلْتَ عَنْهُ.

فَقَلَبَ جَرْجَهْ التُّرْسَ، وَمَالَ مَعَ خَالِدٍ، وَقَالَ: عَلِّمْنِي الإِسْلاَمَ، فَمَالَ بِهِ خَالِدٌ إِلَى فِسْطَاطِهِ فَسَنَّ عَلَيْهِ قُرْبَةً مِنْ مَاءٍ ثُمَّ صَلَّى بِهِ رَكْعَتَيْنِ.

وَذَهَبَ خَالِدٌ، وَمَعَهُ مَحْمِيَةُ بنُ زُنَيْمٍ، إِلى أَبِي عُبَيْدَةَ بنِ الجَرَّاحِ، وَأَخْبَرَهُ الخَبَرَ، فَتَرَحَّمَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ، وَتَرَضَّى عَنْهُ، وَطَلَبَ مِنْ خَالِدٍ أَنْ يَكْتُمَ الخَبَرَ حَتَّى نِهَايَةِ المَعْرَكَةِ، وَأَنْ يَبْقى

عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ القِيَادَةِ[1].

حَمَلَ الرُّومُ بَعْدَ ذَلِكَ حَمْلَةً شَدِيدَةً أَزَالُوا بِهَا المُسْلِمِينَ عَنْ مَوَاقِعِهِمْ إِلَى المُدَافِعِينَ. وَحَمَلَ خَالِدٌ و(جَرْجَـةُ) بِالمُسْلِمِينَ عَلَى الرُّومِ حَتَّى هَزَمُوهُمْ ـ بِإِذْنِ اللَّهِ ـ وَصَلَّى المُسْلِمُونَ يَوْمَذَاكَ صَلاَةَ الظُّهْرِ والعَصْرِ إِيمَاءً وَأَخَّرُوا صَلاَةَ العِشَاءَيْنِ، وَفَرَّ الرُّومُ، وَاسْتُشْهِدَ (جَرْجَه) قُبَيْلَ الغُرُوبِ، وَلَمْ يُصَلِّ إِلاَّ رَكْعَتَيْنِ.

وَانْتَقَلَتِ الإِمْرَةُ إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ فَسَارَ بِالجَيْشِ إِلَى مَرْجِ الصُّفَّرِ وَجَاءَهُ الخَبَرُ أَن الـرُّومَ قَدْ تَجَمَّعُوا بِـ (فِحْلَ) فِي غَوْرِ الأُرْدُنِ، فَتَوَقَّفَ لاَ يَدْرِي بِأَيِّ الأَمْرَيْنِ يَبْدَأُ، أَبِدِمَشْقَ لِيَتَرَكَّزَ المُسْلِمُونَ فِيْهَا أَمْ يَعُودُ إِلَى (فِحْلَ)؟ فَكَتَبَ إِلَى أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ يَصِفُ لَهُ المَوْقِفَ وَيَسْتَشِيرُهُ بِالأَمْرِ، فَجَاءَ الأَمْرُ مِنْ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ، أَنِ ابْدَأْ بِدِمَشْقَ فَإِنَّهَا حِصْنُ الشَّامِ وَبَيْتُ مَمْلَكَتِهِمْ، فَانْهَدْ لَهَا، وَأَشْغِلُوا عَنْكُمْ أَهْلَ (فِحْلَ) بِخُيُولٍ تَكُونُ تِلْقَاءَهُمْ، فَإِنْ فَتَحَهَا اللَّهُ قَبْلَ دِمَشْقَ فَذَلِكَ الَّذِي نُحِبُّ، وَإِنْ فُتِحَتْ دِمَشْقُ قَبْلَهَا، فَسِرْ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ وَاسْتَخْلِفْ عَلَى دِمَشْقَ. فَإِذَا

---

(١) كان خالد يجلّ أبا عبيدة كثيرا لما له من فضلٍ وسابقةٍ في الإسلام، ويستشيره في كل أمرٍ ويعدّه الرئيس له، وإن كان هو القائد، فلم يتغير إذن شيء، فالإمرة لأبي عبيدة.

فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ (فِحْلَ) فَسِرْ أَنتَ وَخَالِدٌ إِلَى حِمْصَ، وَاتْرُكْ عَمْراً وَشُرَحْبِيلَ عَلَى الأُرْدُنِ وَفِلِسْطِينَ.

**٢ ـ فَتْحُ دِمَشْقَ:**

سَارَ أَبُو عُبَيْدَةَ بِاتِّجَاهِ دِمَشْقَ، وَقَدْ جَعَلَ خَالِدَ بنَ الوَلِيدِ فِي القَلْبِ، وَسَارَ هُوَ فِي المَيْسَرَةِ وَمَعَهُ يَزِيدُ بنُ أَبِي سُفْيَانَ، وَمَشَى عَمْرُو بنُ العَاصِ فِي المَيْمَنَةِ، وَشُرَحْبِيلُ بنُ حَسَنَةَ عَلَى الرِّجَّالَةِ، وَعِيَاضُ بنُ غَنْمٍ عَلَى الخَيْلِ. وَفِي الوَقْتِ نَفْسِهِ بَعَثَ (ذَا الكِلاَعِ) فِي فِرْقَةٍ لِتُرَابِطَ بَيْنَ دِمَشْقَ وَحِمْصَ لِتَحُولَ دُونَ وُصُولِ الإِمْدَادَاتِ إِلَى دِمَشْقَ مِنْ جِهَةِ الشَّمَالِ، كَمَا وَضَعَ (أَبَا الدَرْدَاءِ) فِي فِرْقَةٍ أُخْرَى لِتَكُونَ فِي (بَرْزَةَ) عَلَى مَقْرُبَةٍ مِنْ دِمَشْقَ رِدْءاً لِلْجَيْشِ الإِسْلاَمِيِّ الَّذِي يُحَاصِرُ دِمَشْقَ. وَبَعَثَ أَبَا أُمَامَةَ البَاهِلِيَّ طَلِيعَةً مَعَ ثَلاَثَةِ عَنَاصِرَ.

انْطَلَقَ الجَيْشُ الإِسْلاَمِيُّ نَحْوَ دِمَشْقَ، فَدَخَلَ الغُوطَةَ وَاحْتَلَّهَا كَيْ لاَ يَأْمَلَ أَهْلُ دِمَشْقَ بِمُسَاعَدَاتٍ وَتَمْوِينَاتٍ مِنْهَا، وَوَصَلَ إِلَى دِمَشْقَ مِنْ نَاحِيَةِ الشَّرْقِ، فَتَوَزَّعَ يُحَاصِرُهَا حَسْبَ التَّشْكِيلِ الَّذِي يَسِيرُ عَلَيْهِ، فَتَوَقَّفَ خَالِدٌ، وَهُوَ فِي القَلْبِ، عَلَى البَابِ الشَّرْقِيِّ وَحَتَّى بَابِ كَيْسَانَ، وَسَارَتِ المَيْسَرَةُ جُنُوبَ دِمَشْقَ، فَنَزَلَ يَزِيدُ بنُ أَبِي سُفْيَانَ عَلَى البَابِ الصَّغِيرِ وَإِلَى بَابِ

كَيْسَانَ، وَنَزَلَ أَبُو عُبَيْدَةَ عَلَى بَابِ الجَابِيَةِ مِنْ جِهَةِ الغَرْبِ وَحَتَّى البَابِ الصَّغِيرِ، وَسَارَتِ المَيْمَنَةُ عَلَى شَمَالِي دِمَشْقَ فَنَزَلَ عَمْرُو بنُ العَاصِ عَلَى بَابِ تُومَا، وَنَزَلَ شُرَحْبِيلُ عَلَى بَابِ الفَرَادِيسِ وَبَابِ السَّلَامِ.

اسْتَمَرَّ حِصَارُ دِمَشْقَ عِدَّةَ أَشْهُرٍ، وَشَعَرَ أَهْلُهَا أَنَّ الإِمْدَادَاتِ لَا يُمْكِنُ أَنْ تَصِلَ إِلَيْهِمْ، وَجَاءَ وَقْتُ البَرْدِ، وَكَانَ قَاسِياً، فَصَعُبَ القِتَالُ، وَفِي إِحْدَى اللَّيَالِي وُلِدَ لِبِطْرِيقِ المَدِينَةِ مَوْلُودٌ، فَأَقَامَ وَلِيمَةً لِلنَّاسِ وَالجُنْدِ، فَبَاتُوا تِلْكَ اللَّيْلَةَ سُكَارَى، وَشَعَرَ خَالِدُ بنُ الوَلِيدِ ذَلِكَ مِنْ ضَعْفِ قِتَالِ الَّذِينَ فَوْقَ الأَسْوَارِ، وَقِلَّةِ حَرَكَةِ النَّاسِ عَامَّةً، كَمَا وَصَلَتْ إِلَيْهِ مَعْلُومَاتٌ مِنَ العُيُونِ تُؤَيِّدُ ذَلِكَ، وَهُوَ عَلَى عَيْنٍ يَقِظَةٍ لَا يَنَامُ وَلَا يَفْسَحُ مَجَالاً لِنَوْمِ الآخَرِينَ، وَكَانَتْ عِنْدَهُ سَلَالِمُ مُهَيَّأَةٌ، فَاسْتَدْعَى بَعْضَ صَنَادِيدِ المُسْلِمِينَ مِمَّنْ مَعَهُ، وَأَحْضَرَ جُنْدَهُ عِنْدَ البَابِ، وَقَالَ لَهُمْ إِذَا سَمِعْتُمْ تَكْبِيرَنَا فَوْقَ الأَسْوَارِ فَارْقَوْا إِلَيْنَا، ثُمَّ قَطَعَ الخَنْدَقَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ سِبَاحَةً وَقَدْ وَضَعُوا قُرَباً فِي أَعْنَاقِهِمْ تُسَاعِدُهُمْ عَلَى السِّبَاحَةِ[1]، وَأَثْبَتَ خَالِدٌ وَصَحْبُهُ السَّلَالِمَ عَلَى شُرُفَاتِ

---

(١) كانت خنادق مليئةً بالماء تحيط بدمشق عدا الجهة الشمالية حيث كان نهر بردى هناك يعد بمثابة الخندق، وكان السور يتعرج على ضفافه حسب =

السُّـورِ، وَصَعَدُوا عَلَيْهَا، فَلَمَّا صَارُوا أَعْلَى السُّورِ رَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بِالتَّكْبِيرِ لإِرْهَابِ العَدُوِّ وَنَزَلُوا عَلَى حُرَّاسِ البَابِ فَقَتَلُوهُمْ، وَفَتَحُوا البَابَ عَنْوَةً، وَانْدَفَعَ الجُنْدُ مِنَ البَابِ إِلَى الدَّاخِلِ.

وَانْطَلَقَ خَالِدُ مَعَ جُنْدِهِ دَاخِلَ المَدِينَةِ يَقْتُلُونَ مَنْ يَقِفُ فِي وَجْهِهِمْ، وَيَتَّجِهُونَ نَحْوَ مَرْكَزِ المَدِينَةِ، وَأَسْرَعَ الوُجَهَاءُ نَحْوَ بَقِيَّةِ الأَبْوَابِ وَخَاصَّةً نَحْوَ بَابِ الجَابِيَةِ فِي الغَرْبِ حَيْثُ يُرَابِطُ أَبُو عُبَيْدَةَ، خَوْفَاً مِنْ أَنْ يَنَالَهُمُ القَتْلُ، فَيُعْلِنُونَ الاسْتِسْلاَمَ وَفَتْحَ مَدِينَتِهِمْ، وَطَلَبَ الصُّلْحِ، وَدَخَلَ بَقِيَّةُ قَادَةِ المُسْلِمِينَ وَجُيُوشُهُمْ مِنَ الأَبْوَابِ الأُخْرَى صُلْحَاً يَتَّجِهُونَ نَحْوَ وَسَطِ المَدِينَةِ، وَالتَقَوْا فِي مَرْكَزِهَا، خَالِدُ يُعْمِلُ السَّيْفَ، وَهُمْ فِي السِّلْمِ، فَقَالُوا لَهُ: يَا أَبَا سُلَيْمَانَ إِنَّ القَوْمَ قَدِ اسْتَسْلَمُوا، وَطَلَبُوا الصُّلْحَ، وَفَتَحُوا لَنَا الأَبْوَابَ، وَدَخَلْنَا سِلْمَاً. فَقَالَ لَهُمْ: وَإِنَّمَا دَخَلْتُ أَنَا وَمَنْ مَعِيَ المَدِينَةَ عَنْوَةً، وَلَمْ يَزَلْ يُعْمِلُ السَّيْفَ حَتَّى طَلَبَ مِنْهُ أَبُو عُبَيْدَةَ الكَفَّ عَنْ ذَلِكَ.

بَعْدَ فَتْحِ دِمَشْقَ طَلَبَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ مِنْ أَبِي عُبَيْدَةَ أَنْ يُسَيِّرَ بَعْضَ جُنْدِ العِرَاقِ الَّذِينَ جَاءُوا مِنهَا مَعَ خَالِدِ بنِ الوَلِيدِ،

---

= المجرى على حين كانت الأسوار في الجهات الأخرى تسير بشكلٍ مستقيمٍ.

لِيَدْعَمُوا الفَاتِحِينَ فِيْهَا، فَسَيَّرَهُمْ بِإِمْرَةِ هَاشِمِ بنِ عُتْبَةَ بنِ أَبِي وَقَّاصٍ.

وَوَلَّى أَبُو عُبَيْدَةَ عَلَى دِمَشْقَ يَزِيدَ بنَ أَبِي سُفْيَانَ، وَسَيَّرَ عَمْرَو بنَ العَاصِ إِلَى فِلِسْطِينَ، وَشُرَحْبِيلَ بنَ حَسَنَةَ إِلَى الأُرْدُنِ، أَيْ سَارَ كُلٌّ مِنَ الأُمَرَاءِ إِلَى المَنْطَقَةِ الَّتِي كَانَتْ وِجْهَتُهُ الأُوْلَى إِلَيْهَا.

**٣ً - فِي البِقَاعِ:**

أَرْسَلَ أَبُو عُبَيْدَةَ إِلَى البِقَاعِ خَالِدَ بنَ الوَلِيدِ، فَسَارَ إِلَى بَعْلَبَكَّ، وَصَالَحَ أَهْلَهَا. وَلَكِنْ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ عَادَ لِأَنَّ أَحَدَ البَطَارِقَةِ قَدْ وَصَلَ إِلَى مَرْجِ الرُّومِ، وَيُدْعَى (تُوذَرَا) وَذَلِكَ بِأَمْرِ هِرَقْلَ.

**٤ً - فِي مَرْجِ الرُّومِ:**

كَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ قَدْ سَارَ إِلَى الشَّمَالِ، وَوَصَلَ إِلَى آخِرِ الثَّنَايَا (ثَنْيَةِ العِقَابِ) حَيْثُ يُرَابِطُ (ذُو الكِلَاعِ) وَهُنَاكَ جَاءَهُ خَبَرُ البِطْرِيقِ (تُوذَرَا) فَرَجَعَ إِلَى دِمَشْقَ، وَخَرَجَ مِنْهَا إِلَيْهِ، فَالْتَقَى بِهِ فِي مَرْجِ الرُّومِ (مَنْطِقَةِ الصَّبُورَةِ اليَوْمَ أَوْ مَا يُعْرَفُ فِي دِمَشْقَ بِاسْمِ الصَّحْرَاءِ)، وَكَانَ خَالِدٌ قَدْ جَاءَ مِنَ الخَلْفِ أَيْضاً، وَجَرَى

القِتَالُ، وَقَتَل خَالِدُ (تُوذْرَا)، وَلَمْ يَنْجُ مِنَ الرُّومِ إلَّا مَنْ شَرَدَ، وَجَاءَ بِطْرِيقٌ آخَرُ كَانَ كَمِيناً، وَيُدْعَى (شِنْس) فَقَتَلَهُ أَبُو عُبَيْدَة وَفَرَّ أَتْبَاعُهُ نَحْوَ حِمْصَ.

### ٥ ـ فِي حِمْصَ:

سَارَ أَبُو عُبَيْدَةَ إِلَى حِمْصَ، وَتَبِعَهُ خَالِدٌ فَحَاصَرَاهَا مَعاً، وَطَالَ الحِصَارُ، وَجَاءَ فَصْلُ الشِّتَاءِ، وَكَانَ شَدِيدَ البَرْدِ، فَصَبَرَ الصَّحَابَةُ صَبْراً عَظِيماً، وَاشْتَدَّ الحِصَارُ بِانْقِضَاءِ الفَصْلِ البَارِدِ، فَضَاقَ الأَمْرُ عَلَى الأَهَالِي فَأَجْبَرُوا المَسْؤُولِينَ عَلَى الاسْتِسلَامِ وَطَلَبِ الصُّلْحِ، حَسْبَ صُلْحِ دِمَشْقَ، وَهُوَ نِصْفُ المَنَازِلِ، وَضَرْبِ الخَرَاجِ عَلَى الأَرْضِ، وَأَخْذِ الجِزْيَةِ عَلَى الرِّقَابِ حَسْبَ الغِنَى والفَقْرِ، وَقَدْ تَمَّ الصُّلْحُ، وَأَرْسَلَ أَبُو عُبَيْدَةَ الأَخْمَاسَ والبِشَارَةَ إِلَى أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عُمَرَ بن الخَطَّابِ مَعَ عَبْدِاللَّهِ بنِ مَسْعُودٍ، كَمَا طَلَبَ مِنْهُ الرَّأْيَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى هِرَقْلَ، فَجَاءَهُ الجَوَابُ بِبَقَاءِ أَبِي عُبَيْدَةَ فِي حِمْصَ، وَإِرْسَالِ القُوَّاتِ لِفَتْحِ مُخْتَلَفِ الجِهَاتِ.

### ٦ ـ فِي قِنَّسْرِينَ:

أَرْسَلَ أَبُو عُبَيْدَةَ إِلَى قِنَّسْرِينَ فِي جَنُوبِ حَلَبَ خَالِدَ بنَ

الوَلِيدِ، فقَاتَلَ أَهْلَهَا بَعْدَ حِصَارٍ فَانْتَصرَ عَلَيْهِمْ فَاعْتَذَرُوا إِلَيْهِ، ثُمَّ عَادُوا فَنَقَضُوا العَهْدَ، وَتَحَصَّنُوا فِي مَدِينَتِهِمْ فَدَخَلَهَا عَنْوَةً، وَذَلِكَ فِي السَّنَةِ الخَامِسَةِ عَشْرَةَ مِنَ الهِجْرَةِ.

### ٧ ـ فَتْحُ بَيْتِ المَقْدِسِ:

فَتَحَ المُسْلِمُونَ (أَجْنَادِينَ) بِقِيَادَةِ عَمْرِو بنِ العَاصِ، وَاتَّجَهُوا نَحْوَ بَيْتِ المَقْدِسِ، غَيْرَ أَنَّهُمْ وَجَدُوا مُقَاوَمَةً عَنِيفَةً مِنَ الرُّومِ لَمْ يَتَمَكَّنُوا مِنْ دَحْرِهَا الأَمْرُ الَّذِي اسْتَدْعَى تَجَمُّعَ الجُيُوشِ الإِسْلَامِيَّةِ مَرَّةً أُخْرَى، فَتَوَلَّى أَمْرَ دِمَشْقَ سَعِيدُ بنُ زَيْدٍ، وَتَحَرَّكَتِ الجُيُوشُ مَعَ قَادَتِهَا نَحْوَ بَيْتِ المَقْدِسِ فَفَرَضُوا عَلَيْهَا الحِصَارَ، وَضَيَّقُوا عَلَى أَهْلِهَا حَتَّى طَلَبُوا الصُّلْحَ شَرِيطَةَ أَلَّا يُسَلِّمُوا مَدِينَتَهُمْ إِلَّا إِلَى أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ، فَأَرْسَلَ أَبُو عُبَيْدَةَ يَسْتَشِيرُهُ فَوَافَقَ، وَجَاءَ فَنَزَلَ الجَابِيَةَ فَاسْتَقْبَلَهُ فِيهَا القَادَةُ أَبُو عُبَيْدَةَ، وَخَالِدٌ، وَيَزِيدُ، وَمِنْهَا سَارَ إِلَى بَيْتِ المَقْدِسِ، وَدَخَلَهَا، وَكَانَ خَالِدٌ مِمَّنْ شَهِدَ عَلَى الصُّلْحِ مَعَ عَمْرِو بنِ العَاصِ، وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ عَوْفٍ، وَمُعَاوِيَةَ بنِ أَبِي سُفْيَانَ الَّذِي كَتَبَ الصُّلْحَ.

### ٨ ـ فَتْحُ حِمْصَ ثَانِيَةً:

لَمَّا رَجَعَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ إِلَى المَدِينَةِ،

وَدَخلَ المُسْلِمُونَ بَيْتَ المَقْدِسِ عَادَ كُلُّ قَائِدٍ إِلَى مَقَرِّهِ، فَرَجَعَ خَالِدٌ إِلَى قِنَّسْرِينَ، غَيْرَ أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ لَمْ يَلْبَثْ أَنِ اسْتَدْعَاهُ إِلَى حِمْصَ لِمُسَاعَدَتِهِ حَيْثُ جَاءَ الرُّومُ وَحَاصَرُوهُ فِيْهَا، فَطَلَبَ مِنْ خَالِدٍ نَجْدَتَهُ فَجَاءَهُ. وَاسْتَشَارَ أَبُو عُبَيْدَةَ المُسْلِمِينَ، هَلْ يَتَحَصَّنُ فِي المَدِينَةِ أَمْ يَخْرُجُ إِلَى قِتَالِ الرُّومِ خَارِجَهَا؟ فَأَشَارُوا عَلَيْهِ بِالتَّحَصُّنِ فَيْهَا إِلَّا خَالِدَاً فَقَدْ أَشَارَ عَلَيْهِ بِالخُرُوجِ وَقِتَالِ الأَعْدَاءِ خَارِجَ البِنَاءِ، فَأَخَذَ أَبُو عُبَيْدَةَ بِرَأْيِ الآخَرِينَ وَتَحَصَّنَ فِي حِمْصَ، وَأَخْبَرَ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ بِمَا وَقَعَ.

كَتَبَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ إِلَى سَعْدِ بنِ أَبِي وَقَّاصٍ فِي العِرَاقِ يَطْلُبُ مِنْهُ إِرْسَالَ دَعْمٍ إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ بِقِيَادَةِ القَعْقَاعِ بنِ عَمْرٍو، وَإِرْسَالِ عِيَاضِ بنِ غَنْمٍ لِفَتْحِ مُدُنِ الجَزِيرَةِ وَهَذَا مَا يَجْعَلُ أَهْلَ تِلْكَ المُدُنِ يُغَادِرُونَ مَوَاقِعَهُمْ فِي حِمْصَ، وَهَذَا مَا تَمَّ، وَسَارَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ بِنَفْسِهِ عَلَى رَأْسِ قُوَّةٍ لِدَعْمِ أَبِي عُبَيْدَةَ، وَوَصَلَ إِلَى الجَابِيَةِ.

وَانْتَصَرَ المُسْلِمُونَ، وَدَخَلُوا حِمْصَ، وَطَرَدُوا الرُّومَ مِنْهَا قَبْلَ وُصُولِ القَعْقَاعِ بِدَعْمِ العِرَاقِ، وَقَبْلَ أَنْ يَتَخَطَّى أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ الجَابِيَةَ بِنَجْدَةِ المَدِينَةِ. وَعَادَ خَالِدٌ إِلَى قِنَّسْرِينَ مَقَرَّ إِمَارَتِهِ.

# عَزْلُ خالِدٍ

أَغَارَ خَالِدٌ عَلَى الرُّومِ فَغَنَمَ أَمْوَالاً عَظِيمَةً وَأَخَذَ سَبْيَاً كَثِيرَاً، وَلَمَّا رَجَعَ مِنْ غَارَتِهِ أَقْبَلَ عَلَيْهِ النَّاسُ يَبْغُونَ عَطَاءَهُ، وَكَانَ مِمَّنْ دَخَلَ عَلَيْهِ الأَشْعَثُ بنُ قَيْسٍ الكِنْدِيُّ. وَكَانَ عُمَرُ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي عَمَلِهِ، كُتِبَ إِلَيْهِ مِنَ العِرَاقِ بِخُرُوجِ مَنْ خَرَجَ، وَمِنَ الشَّامِ بِجَائِزَةِ مَنْ أُجِيزَ فِيْهَا، فَدَعَا البَرِيدَ، وَكَتَبَ مَعَهُ إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ أَنْ يُقِيمَ خَالِدَاً وَيَعْقِلَهُ بِعِمَامَتِهِ، وَيَنْزِعَ عَنْهُ قَلَنْسُوَتَهُ حَتَّى يُعْلِمَهُمْ مِنَ أَيْنَ إِجَازَةُ الأَشْعَثِ، أَمِنْ مَالِهِ أَمْ مِنْ إِصَابَةٍ أَصَابَهَا؟ فَإِنْ زَعَمَ أَنَّهَا مِنْ إِصَابَةٍ أَصَابَهَا فَقَدْ أَقَرَّ بِخِيَانَةٍ، وَإِنْ زَعَمَ أَنَّهَا مِنْ مَالِهِ فَقَدْ أَسْرَفَ. وَاعْزِلْهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَاضْمُمْ إِلَيْكَ عَمَلَهُ. فَكَتَبَ أَبُو عُبَيْدَةَ إِلَى خَالِدٍ فَقَدِمَ عَلَيْهِ، ثُمَّ جَمَعَ النَّاسَ وَجَلَسَ لَهُمْ عَلَى المِنْبَرِ، فَقَامَ البَرِيدُ، فَقَالَ: يَا خَالِدُ، أَمِنْ مَالِكَ أَجْزْتَ بِعَشْرَةِ آلَافٍ أَمْ مِنْ إِصَابَةٍ؟ فَلَمْ يُجِبْهُ حَتَّى أَكْثَرَ عَلَيْهِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ سَاكِتٌ لَا يَقُولُ شَيْئَاً، فَقَامَ بِلَالُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمَرَ فِيكَ بِكَذَا وَكَذَا، ثُمَّ تَنَاوَلَ قَلَنْسُوَتَهُ فَعَقَلَهُ بِعِمَامَتِهِ وَقَالَ: مَا تَقُولُ، أَمِنْ مَالِكَ أَمْ مِنْ إِصَابَةٍ؟ قَالَ: لَا بَلْ مِنْ مَالِي، فَأَطْلَقَهُ، وَأَعَادَ قَلَنْسُوَتَهُ ثُمَّ عَمَّمَهُ بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: نَسْمَعُ وَنُطِيعُ لِوُلَاتِنَا، وَنُفَخِّمُ وَنَخْدُمُ مَوَالِينَا.

وَأَقَامَ خَالِدُ مُتَحَيِّرَاً لَا يَدْرِي أَمَعْزُولٌ أَمْ غَيْرُ مَعْزُولٍ، وَجَعَلَ أَبُو عُبَيْدَةَ لَا يُخْبِرُهُ، حَتَّى إِذَا طَالَ عَلَى عُمَرَ أَنْ يَقْدُمَ عَلَيْهِ ظَنَّ الَّذِيْ كَانَ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ بِالإِقْبَالِ، فَأَتَى خَالِدُ أَبَا عُبَيْدَةَ، فَقَالَ: رَحِمَكَ اللَّهُ، مَا أَرَدْتَ إِلَى مَا صَنَعْتَ، كَتَمْتَنِي أَمْرَاً كُنْتُ أُحِبُّ أَنْ أَعْلَمَهُ قَبْلَ اليَوْمِ، فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: إِنِّي وَاللَّهِ مَا كُنْتُ لِأُرَوِّعَكَ مَا وَجَدْتُ لِذَلِكَ بُدَّاً، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ ذَلِكَ يُرَوِّعُكَ. فَرَجَعَ خَالِدُ إِلَى قِنَّسْرِينَ، فَخَطَبَ أَهْلَ عَمَلِهِ وَوَدَّعَهُمْ وَتَحَمَّلَ، ثُمَّ أَقْبَلَ إِلَى حِمْصَ فَخَطَبَهُمْ وَوَدَّعَهُمْ، ثُمَّ خَرَجَ نَحْوَ المَدِينَةِ حَتَّى قَدِمَ عَلَى عُمَرَ، فَشَكَاهُ وَقَالَ: لَقَدْ شَكَوْتُكَ إِلَى المُسْلِمِينَ، وَبِاللَّهِ إِنَّكَ فِي أَمْرِي غَيْرُ مُجْمِلٍ يَا عُمَرُ، فَقَالَ عُمَرُ: مِنْ أَينَ هَذَا الثَّرَاءُ؟ قَالَ: مِنَ الأَنْفَالِ وَالسُّهْمَانِ، مِمَا زَادَ عَلَى السِّتِّينَ أَلْفَاً فَلَكَ. فَقَوَّمَ عُمَرُ عُرُوضَهُ فَخَرَجَتْ إِلَيْهِ عِشْرُونَ أَلْفَاً، فَأَدْخَلَهَا بَيْتَ المَالِ. ثُمَّ قَالَ: يَا خَالِدُ، وَاللَّهِ إِنَّكَ عَلَيَّ لَكَرِيمٌ، وَإِنَّكَ إِلَيَّ لَحَبِيبٌ، وَلَن تُعَاتِبُنِي بَعْدَ اليَوْمِ عَلَى شَيْءٍ.

وَكَتَبَ عُمَرُ إِلَى الأَمْصَارِ: إِنِّي لَمْ أَعْزِلْ خَالِدَاً عَنْ سُخْطَةٍ وَلَا خِيَانَةٍ، وَلَكِنَّ النَّاسَ فُتِنُوا بِهِ، فَخِفْتُ أَنْ يُوَكَّلُوا إِلَيْهِ وَيُبْتَلُوا بِهِ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ الصَّانِعُ، وَأَلَّا يَكُونُوا بِعَرَضٍ

فِتْنَةٍ[1].

## كَلِمَةٌ:

تَحَدَّثَ المُؤَرِّخُونَ عَنْ عَزْلِ خَالِدٍ، وَذَهَبَ بَعْضُهُمْ بَعِيدَاً حَتَّى زَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّ كُرْهَ عُمَرَ لِخَالِدٍ إِنَّما يَرْجِعْ إِلَى سِنِّ الشَّبَابِ عِنْدَمَا تَصَارَعَ عُمَرُ وَخَالِدٌ فَصَرَعَ خَالِدٌ عُمَرَ وَكَسَرَ رِجْلَهُ، وَاخْتَرَعُوا قَصَصَاً مِنْ هَذَا النَّوْعِ ، وَأَوْجَدُوا حَوَادِثَ لَا يَرْقَى أَقْوَاهَا إِلَى دَرَجَةِ الضَّعْفِ وَإِنَّمَا تَتَهَاوَى عِنْدَ البَحْثِ فِيْهَا. وَهَؤُلَاءِ وَأَمْثَالُهُمْ مِنَ العُظَمَاءِ لَا يَبْقَى فِي أَذْهَانِهِمْ مَا خَلَّفَهُ المَاضِي البَعِيدُ، وَقَدْ دَاسُوهُ تَحْتَ أَقْدَامِهِمْ، وَأَنِفُوا مِمَّا كَانُوا عَلَيْهِ فِي الجَاهِلِيَّةِ، وَقَدْ جَمَعَهُمُ الإِسْلَامُ وَضَمَّهُمْ تَحْتَ لِوَائِهِ فَتَصَافُّوا وَتَحَابُّوا فِي اللَّهِ.

وَتَكَلَّمُوا فِي قَتْلِ مَالِكِ بنِ نُوَيْرَةَ وَالزَّوَاجِ مِنِ امْرَأَتِهِ أُمِّ تَمِيمٍ وَتَحَدَّثَ عُمَرُ أَيْضَاً فِي هَذَا وَلَكِنْ لَيْسَ بِالشَّكْلِ الَّذِي دَوَّنَهُ بَعْضُ المُدَوِّنِينَ. كَمَا قَالُوا وَقَالُوا فِي بَنِي جَذِيمَةَ عِنْدَمَا بَعَثَهُ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَيَجِبُ أَنْ نَنْظُرَ فِي نُقْطَتَيْنِ:

---

(١) تاريخ الطبري ـ الجزء الرابع.

**أَوْلاً :**

إِنَّ عُمَرَ كَانَ يُحِبُّ خَالِدَاً، وَلْنَنْظُرْ إِلَى قَوْلِهِ لَهُ: «يَا خَالِدُ، وَاللَّهِ إِنَّكَ عَلَيَّ لَكَرِيمٌ، وَإِنَّكَ إِلَيَّ لَحَبِيبٌ»، يُحِبُّهُ أَخَاً فِي اللَّهِ، وَيُحِبُّهُ لِحُبِّ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَهُ، وَيُحِبُّهُ قَائِدَاً مُظَفَّرَاً، وَفَاتِحَاً مُوَفَّقَاً، وَمُجَاهِدَاً نَاجِحَاً، وَمُحَارِبَاً خَبِيرَاً، وَمُؤْمِنَاً قَوِيَّ الإِيمَانِ.

وَإِنَّ خَالِدَاً يُحِبُّ عُمَرَ، يُحِبُّهُ أَخَاً فِي اللَّهِ، وَيَعْرِفُ فَضْلَهُ وَسَابِقَتَهُ عَلَيْهِ، وَتَقْدِيرَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَهُ، وَيَعْرِفُ أَنَّ مِنْ وَاجِبِهِ طَاعَتَهُ مَا دَامَ أَنَّهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَالمَسْؤُولُ عَنْهُ وَعَنِ الرَّعِيَّةِ.

وَإِنَّ هَذَا الحُبَّ وَمَصْلَحَةَ الأُمَّةِ هُمَا اللَّذَانِ يَضَعَانِ كُلَّ إِنْسَانٍ فِي مَكَانِهِ المُنَاسِبِ، وَمِنْ خِلاَلِهِمَا يَكُونُ التَّحَرُّكُ وَتَنَقُّلُ الرِّجَالِ.

**ثَانِيَاً:**

وَفِي الوَقْتِ نَفْسِهِ فَإِنَّ عُمَرَ كَانَ يُحِبُّ أَنْ يُعْزَلَ خَالِدٌ عَنِ القِيَادَةِ، وَقَدْ كَلَّمَ أَبَا بَكْرٍ فِي عَزْلِهِ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ وَذَلِكَ لِـ :

١ ـ طَبِيعَةِ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ الَّذِي لاَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ القَائِدُ

حَدِيثَ النَّاسِ، سَوَاءٌ أَكَانَ الحَدِيثُ عَنْ شَجَاعَتِهِ وَإِقْدَامِهِ أَمْ عَنْ أُمُورٍ لَمْ يُحْسِنِ التَّصَرُّفَ بِهَا، وَقَدْ تَكَلَّمَ النَّاسُ عَنْ خَالِدٍ فِي هَذَا الجَانِبِ، وَفِي ذَاكَ.

٢ ـ تَفْضِيلِ عُمَرَ لِلسَّابِقِينَ فِي الإِسْلَامِ وَتَسْلِيمِهِمُ القِيَادَةَ، فَأَبُو عُبَيْدَةَ أَفْضَلُ مِنْ خَالِدٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَلَهُ فَضْلُ السَّابِقَةِ، وَلَهُ كَثِيرٌ مِنْ مِيِّزَاتِ خَالِدٍ فِي القِيَادَةِ مِنْ شَجَاعَةٍ، وَحِكْمَةٍ، وَتَدْبِيرٍ، وَيَفُوقُهُ بِشَدَّةِ البَأْسِ، وَيَقِلُّ عَنْهُ فِي خِفَّةِ الحَرَكَةِ سَوَاءٌ أَكَانَ ذَلِكَ فِي مَيْدَانِ المَعْرَكَةِ (المُنَاوَرَةِ) أَمْ خَارِجَ المَعْرَكَةِ فِي الانْتِقَالِ مِنْ مَكَانٍ إِلَى آخَرَ.

وَلِهَذَيْنِ السَّبَبَيْنِ كَانَ عُمَرُ يَطْلُبُ مِنْ أَبِي بَكْرٍ عَزْلَ خَالِدٍ وَتَوْلِيَةِ غَيْرِهِ، فَلَمَّا آلَ إِلَيْهِ الأَمْرُ عَزَلَهُ وَأَعْطَى القِيَادَةَ لِأَبِي عُبَيْدَةَ مِنْ غَيْرِ كُرْهٍ لِخَالِدٍ وَمِنْ غَيْرِ مَأْخَذٍ يَأْخُذُهُ عَلَيْهِ.

٣ ـ افْتِتَانِ بَعْضِ النَّاسِ بِإِقْدَامِ خَالِدٍ وَشَجَاعَتِهِ وَاقْتِحَامِهِ حُصُونَ الأَعْدَاءِ، وَالتَّوَغُّلِ فِي أَرْضِهِمْ، حَتَّى أَصْبَحَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ لَا يَرْغَبُ الجِهَادَ إِلَّا تَحْتَ لِوَاءِ خَالِدٍ، وَهَذَا لَهُ خَطَرُهُ فَالجَبْهَاتُ مُتَعَدِّدَةٌ، وَالجُيُوشُ كَثِيرَةٌ، وَمَيْدَانُ الجِهَادِ فَسِيحٌ، وَكَيْفَ يُمْكِنُ تَحْرِيكُ خَالِدٍ إِلَى كُلِّ جِهَةٍ؟.

وَحَتَّى الأَعْدَاءَ أَصْبَحُوا يَخْشَوْنَ سَطْوَةَ خَالِدٍ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِ،

وَيُرِيدُ عُمَرُ أَنْ يَعْرِفَ النَّاسُ جَمِيعاً أَنَّ المُسْلِمِينَ كُلَّهُمْ مِثْلُ خَالِدٍ. وَقَدْ لاَحَظْنَا هَذَا فِي سُؤَالِ (جَرْجَة) لَهُ: «هَلْ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّكُمْ سَيْفاً مِنَ السَّمَاءِ فَأَعْطَاكَهُ فَلاَ تَسُلُّهُ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا هَزَمْتَهُمْ؟»، وَيَبْدُو أَثَرُ هَذَا عَلَى عُمَرَ فِيْمَا كَتَبَهُ إِلَى الأَمْصَارِ: «إِنِّي لَمْ أَعْزِلْ خَالِداً عَنْ سُخْطَةٍ وَلاَ خِيَانَةٍ وَلَكِنَّ النَّاسَ فُتِنُوا بِهِ، فَخِفْتُ أَنْ يُوَكَّلُوا إِلَيْهِ وَيَبْتَلُوا بِهِ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ الصَّانِعُ، وَأَلَّا يَكُونُوا بِعَرَضِ فِتْنَةٍ».

٤ ـ وَأَخِيراً فَإِنَّ عُمَرَ أَرَادَ أَنْ يُعْطِيَ دَرْساً لِلدُّنْيَا كُلِّهَا وَلِلْمُسْلِمِينَ خَاصَّةً أَنَّ القَائِدَ مَهْمَا عَلاَ اسْمُهُ، وَمَهْمَا ارْتَفَعَتْ مَكَانَتُهُ فَهُوَ تَابِعٌ لِلْخَلِيفَةِ، وَمَهْمَا بَلَغَتْ إِمْكَانَاتُهُ وَطَاعَةُ الجُنْدِ لَهُ، وَمَهْمَا كَثُرَ الأَفْرَادُ الَّذِينَ يَقُودُهُمْ فَمَا عَلَيْهِ إِلَّا السَّمْعُ والطَّاعَةُ وَتَنْفِيذُ أَوَامِرِ الخَلِيفَةِ، وَهَذَا مَا أَرَادَ عُمَرُ أَنْ يُوَضِّحَهُ، وَنَتِيجَةُ مَعْرِفَتِهِ بِإِيمَانِ خَالِدٍ، وَحُسْنِ انْضِبَاطِهِ، وَطَاعَتِهِ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ سَاحَةَ التَّجْرِبَةِ، فَقَدْ وُفِّقَ عُمَرُ بِإِعْطَاءِ الدَّرْسِ وَكَانَ نِعْمَ الخَلِيفَةُ، وَوُفِّقَ خَالِدٌ بِحُسْنِ سَمْعِهِ وَطَاعَتِهِ فَكَانَ نِعْمَ الجُنْدِيُّ، وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الَّذِينَ كَانُوا جَمِيعاً نِعْمَ القُدْوَةُ لِمَنْ يَأْتِي بَعْدَهُمْ.

## وَفَاةُ خَالِدٍ

تُوُفِّيَ خَالِدٌ عَلَى فِرَاشِ المَوْتِ عَامَ وَاحِدٍ وَعِشْرِينَ لِلْهِجْرَةِ وَقَدْ بَلَغَ السِّتِّينَ مِنَ العُمْرِ، وَقَدْ قَالَ لَمَّا حَضَرَتْهُ الوَفَاةُ: لَقَدْ شَهِدْتُ مِائَةَ زَحْفٍ أَوْ زُهَاءَهَا، وَمَا فِي جَسَدِي شِبْرٌ إِلَّا وَفِيهِ ضَرْبَةٌ بِسَيْفٍ، أَوْ رَمْيَةٌ بِسَهْمٍ، أَوْ طَعْنَةٌ بِرُمْحٍ، وَهَا أَنَا أَمُوتُ عَلَى فِرَاشِي حَتْفَ أَنْفِي كَمَا يَمُوتُ العِيرُ فَلَا نَامَتْ أَعْيُنُ الجُبَنَاءِ.

وَيُرْوَى أَنَّهُ قَالَ لَمَّا حَضَرَتْهُ الوَفَاةُ: لَقَدْ طَلَبْتُ القَتْلَ مَظَانَّهُ فَلَمْ يُقَدَّرْ لِي إِلَّا أَنْ أَمُوتَ عَلَى فِرَاشِي. وَمَا مِنْ عَمَلِي شَيْءٌ أَرْجَى عِنْدِي بَعْدَ التَّوْحِيدِ مِنْ لَيْلَةٍ بِتُّهَا وَأَنَا مُتَتَرِّسٌ، وَالسَّمَاءُ تَهِلُّنِي نَنْتَظِرُ الصُّبْحَ حَتَّى نُغِيرَ عَلَى الكُفَّارِ. ثُمَّ قَالَ: إِذَا مِتُّ، فَانْظُرُوا إِلَى سِلَاحِي وَفَرَسِي، فَاجْعَلُوهُ عُدَّةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

وَاخْتُلِفَ فِي مَكَانِ وَفَاتِهِ فَمِنْ قَائِلٍ: إِنَّهُ تُوُفِّيَ بِالمَدِينَةِ وَخَرَجَ عُمَرُ فِي جِنَازَتِهِ، وَأَنَّ نِسْوَةَ بَنِي المُغِيرَةِ قَدِ اجْتَمَعْنَ فِي دَارِهِ يَبْكِينَهُ، فَقَالَ عُمَرُ: مَا عَلَيْهِنَّ أَنْ يُرِقْنَ مِنْ دُمُوعِهِنَّ مَا لَمْ يَكُنْ نَقْعاً أَوْ لَقْلَقَةً.

وَمِنْ قَائِلٍ: إِنَّهُ مَاتَ بِحِمْصَ، وَقَدْ ذَهَبَ إِلَى المَدِينَةِ عِنْدَمَا

اسْتَدْعَـاهُ عُمَـرُ، واعْتَمَـرَ، وَرَجَـعَ إِلَـى حِمْصَ حَيْثُ أَقَـامَ فِيهَا حَتَّى وَافَاهُ الأَجَلُ، فَيَرْوِي الوَاقِدِيُّ فَيَقُولُ: حَدَّثَنَا عَمْرُو بنُ عَبْدِاللَّهِ بنِ عَنْبَسَةَ، سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بنَ عَبْدِاللَّهِ الدِّيبَاجِ يَقُولُ: لَمْ يَزَلْ خَالِدٌ مَعَ أَبِي عُبَيْدَةَ حَتَّى تُوُفِّيَ أَبُو عُبَيْدَةَ، وَاسْتُخْلِفَ عِيَاضُ بنُ غَنْمٍ، فَلَمْ يَزَلْ خَالِدٌ مَعَ عِيَاضٍ حَتَّى مَاتَ، فَانْعَزَلَ خَالِدٌ إِلَى حِمْصَ، فَكَانَ ثَمَّ، وَحَبَّسَ خَيْلاً وَسِلاَحاً، فَلَمْ يَزَلْ مُرَابِطاً بِحِمْصَ حَتَّى نَزَلَ بِهِ، فَعَادَهُ أَبُو الدَّرْدَاءِ، فَذَكَرَ لَهُ أَنَّ خَيْلَهُ الَّتِي حُبِسَتْ بِالثَّغْرِ تُعْلَفُ مِنْ مَالِي، وَدَارِي بِالمَدِينَةِ صَدَقَةٌ، وَقَدْ كُنْتُ أَشْهَدْتُ عَلَيْهَا عُمَرَ، وَاللَّهِ يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ لَئِنْ مَاتَ عُمَرُ، لَتَرَيَنَّ أُمُوراً تُنْكِرُهَا.

كَمَا رَوَى الوَاقِدِيُّ: حَدَّثَنَا عُمَرُ بنُ عَبْدِاللَّهِ بنِ رَيَاحٍ، عَنْ خَالِدِ بنِ رَيَاحٍ، سَمِعَ ثَعْلَبَةَ بنَ أَبِي مَالِكٍ يَقُولُ: رَأَيْتُ عُمَرَ بِقُبَاءَ، وَإِذَا حُجَّاجٌ مِنَ الشَّامِ، قَالَ: مَنِ القَوْمُ؟ قَالُوا: مِنَ اليَمَنِ مِمَّنَ نَزَلَ حِمْصَ، وَيَوْمَ رَحَلْنَا مِنْهَا مَاتَ خَالِدُ بنُ الوَلِيدِ. فَاسْتَرْجَعَ عُمَرُ مِرَاراً، وَنَكَسَ، وَأَكْثَرَ التَّرَحُّمَ عَلَيْهِ، وَقَالَ: كَانَ وَاللَّهِ سَدَّاداً لِنَحْرِ العَدُوِّ، مَيْمُونَ النَّقِيبَةِ. فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ: فَلِمَ عَزَلْتَهُ؟ قَالَ: عَزَلْتُهُ لِبَذْلِهِ المَالَ لِأَهْلِ الشَّرَفِ وَذَوِي اللِّسَانِ، قَالَ: فَكُنْتَ عَزَلْتَهُ عَنِ المَالِ، وَتَتْرُكُهُ عَلَى الجُنْدِ، قَالَ لَمْ يَكُنْ

لِيَرْضَى، قَالَ: فَهَلَّا بَلَوْتَهُ؟

وَقَالَ مُصْعَبُ بنُ عَبْدِاللَّهِ: لَمْ يَزَلْ خَالِدُ بِالشَّامِ حَتَّى عَزَلَهُ عُمَرُ، وَهَلَكَ بِالشَّامِ، وَوَلِيَ عُمَرُ وَصِيَّتَهُ.

وَرَوَى جُوَيْرِيَّةُ: عَنْ نَافِعٍ قَالَ: لَمَّا مَاتَ خَالِدُ لَمْ يَدَعْ إِلَّا فَرَسَهُ وَسِلَاحَهُ وَغُلَامَهُ، فَقَالَ عُمَرُ: رَحِمَ اللَّهُ أَبَا سُلَيْمَانَ، كَانَ عَلَى مَا ظَنَنَّاهُ بِهِ.

وَرَوَى مُوسَى بنُ طَلْحَةَ بنِ عُبَيْدِاللَّهِ قَالَ: خَرَجْتُ مَعَ أَبِي طَلْحَةَ إِلَى مَكَّةَ مَعَ عُمَرَ، فَبَيْنَا نَحْنُ نَحُطُّ رَوَاحِلَنَا إِذْ أَتَى الخَبَرُ بِوَفَاةِ خَالِدٍ فَصَاحَ عُمَرُ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، يَا طَلْحَةُ هَلَكَ أَبُو سُلَيْمَانَ، هَلَكَ خَالِدُ بنُ الوَلِيدِ. فَقَالَ طَلْحَةُ:

لَا أَعْرِفَنَّكَ بَعْدَ المَوْتِ تَنْدُبُنِي
وَفِي حَيَاتِي مَا زَوَّدْتَنِي زَادَا

وَأَرَى أَنَّهُ مَاتَ بِالمَدِينَةِ، إِذْ لَمْ يَرْجِعْ إِلَى حِمْصَ بَعْدَ أَنْ خَرَجَ مِنْهَا ـ وَاللَّهُ أَعْلَمُ ـ. وَأَمَّا القَبْرُ الَّذِيْ بِحِمْصَ فَهُوَ قَبْرُ خَالِدِ بنِ يَزِيدَ. وَنُسِبَ إِلَى خَالِدِ بنِ الوَلِيدِ حَتَّى لَا يُنْبَشَ عِنْدَمَا حَدَثَتْ صَرْعَةُ نَبْشِ قُبُورِ بَنِي أُمَيَّةَ عِنْدَ زَوَالِ سُلْطَانِهِمْ. وَاسْتَمَرَّ صَاحِبُ القَبْرِ يَحْمِلُ اسْمَ الَّذِيْ نُسِبَ إِلَيْهِ ـ وَاللَّهُ أَعْلَمُ ـ.

# عَدِيُّ بنُ حَاتِمٍ الطَّائيُّ

رضي الله عنه

هُوَ عَدِيُّ بنُ حَاتِمٍ بنِ عَبْدِاللَّهِ بنِ سَعْدٍ الطَّائِيُّ. وَطَيءٌ قَبِيلَةٌ يَمَانِيَّةٌ انْتَقَلَتْ إِلَى الشَّمَالِ وَاسْتَقَرَّتْ فِي مَنْطِقَةِ حَائِلٍ، ثُمَّ امْتَدَّتْ نَحْوَ الشَّرْقِ حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى جَنُوبِيٍّ العِرَاقِ، وَاسْتَوطَنَتْ مَنْطِقَةَ الحِيرَةِ، وَاتَّخَذَ سَادَاتُهَا قُصُوراً لَهُمْ دَاخِلَ الحِيرَةِ، وَبَرَزَتْ زَعَامَتُهُمْ حَتَّى تَسَلَّمَ قُبَيْصَةُ بنُ إِيَاسٍ الطَّائِيُّ إِمْرَةَ تِلْكَ الجِهَاتِ، وَكَانَ نَائِبَ كِسْرَى عَلَى المَنْطِقَةِ وَذَلِكَ عِنْدَمَا بَدَأَ الفَتْحُ الإِسْلَامِيُّ لِلْعِرَاقِ.

كَانَ أَبُوهُ حَاتِمُ الطَّائِيُّ شَاعِراً، مَعْرُوفاً بِالجُودِ، وَقَدْ زَارَ الشَّامَ وَتَزَوَّجَ مَاوِيَةَ بِنْتَ حِجْرٍ الغَسَّانِيَّةَ، وَمَاتَ عَامَ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ قَبْلَ الهِجْرَةِ أَيْ بَعْدَ مَوْلِدِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِثَمَانِ سَنَوَاتٍ تَقْرِيباً، وَكَانَ وَلَدُهُ عَدِيٌّ لَا يَزَالُ صَغِيراً.

وُلِدَ عَدِيٌّ فِي السَّنَةِ الثَّالِثَةِ والخَمْسِينَ قَبْلَ الهِجْرَةِ أَيْ تُقَارِبُ سِنُّهُ سِنَّ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَفِي السَّنَةِ التَّاسِعَةِ لِلْهِجْرَةِ بَدَأَتْ وُفُودُ القَبَائِلِ تَصِلُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي المَدِينَةِ، وَتُسْلِمُ أَوْ تُصَالِحُ، وَكَانَ مِمَّنْ وَفَدَ فِي تِلْكَ السَّنَةِ وَفْدُ طَيْءٍ، وَفِيهِمْ زَيْدُ الخَيْلِ، فَلَمَّا تَكَلَّمُوا عَرَضَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الإِسْلَامَ فَأَسْلَمُوا، وَحَسُنَ إِسْلَامُهُمْ. وَذَلِكَ وَقْتَ غِيَابِ عَدِيٍّ بنِ حَاتِمٍ وَهَرَبِهِ إِلَى الشَّامِ.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا ذُكِرَ لِي رَجُلٌ مِنَ العَرَبِ بِفَضْلٍ ثُمَّ جَاءَنِي، إِلَّا رَأَيْتُهُ دُونَ مَا يُقَالُ فِيهِ، إِلَّا زَيْدَ الخَيْلِ: فَإِنَّهُ لَمْ يَبْلُغْ كُلَّ مَا كَانَ فِيهِ. ثُمَّ سَمَّاهُ زَيْدَ الخَيْرِ، وَقَطَعَ لَهُ فَيْداً[1] وَأَرْضِينَ مَعَهُ، وَكَتَبَ لَهُ بِذَلِكَ، فَخَرَجَ رَاجِعاً إِلَى قَوْمِهِ، وَمَاتَ فِي الطَّرِيقِ، وَحَرَقَتِ امْرَأَتُهُ مَا كُتِبَ لَهُ.

وَأَمَّا عَدِيٌّ فَإِنَّهُ قَدْ سَادَ قَوْمَهُ حَتَّى غَدَا كَالمَلِكِ عَلَيْهِمْ، وَدَانَ بِالنَّصْرَانِيَّةِ، وَتَأَثَّرَ بِالصَّابِئَةِ فَكَانَ فِي دِيَانَةٍ مَزِيجٍ تُعْرَفُ بِـ (الرَّكُوسِيَّةِ)، وَإِنْ كَانَ يَعُدُّ نَفْسَهُ نَصْرَانِيّاً. وَكَانَ يَأْخُذُ رُبْعَ الغَنَائِمِ بِصِفَتِهِ سَيِّدَ القَوْمِ، وَهُوَ مَا يُعْرَفُ بِـ (المِرْبَاعِ).

وَكَانَ عَدِيٌّ يَقُولُ: مَا مِنْ رَجُلٍ مِنَ العَرَبِ كَانَ أَشَدَّ كَرَاهِيَةً لِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حِينَ سَمِعَ بِهِ مِنِّي. أَمَّا أَنَا

---

(١) فيد: اسم مكان.

فَكُنْتُ ٱمْرَأً شَرِيفاً، وَكُنْتُ نَصْرَانِيّاً، وَكُنْتُ أَسِيرُ فِي قَوْمِي بِالمِرْبَاعِ ، فَكُنْتُ فِي نَفْسِي عَلَى دِينٍ، وَكُنْتُ مَلِكاً فِي قَوْمِي ، لِمَا كَانَ يُصْنَعُ بِي ، فَلَمَّا سَمِعْتُ بِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَرِهْتُهُ، فَقُلْتُ لِغُلَامٍ كَانَ لِي عَرَبِيٍّ، وَكَانَ رَاعِياً لِإِبِلِي: لَا أَبَا لَكَ، أَعْدِدْ لِي مِنْ إِبِلِي أَجْمَالاً ذُلُلاً سِمَاناً، فَاحْتَبِسْهَا قَرِيباً مِنِّي، فَإِذَا سَمِعْتَ بِجَيْشٍ لِمُحَمَّدٍ قَدْ وَطِىءَ هَذِهِ البِلَادَ فَآذِنِّي، فَفَعَلَ، ثُمَّ إِنَّهُ أَتَانِي ذَاتَ غَدَاةٍ، فَقَالَ: يَا عَدِيُّ، مَا كُنْتَ صَانِعاً إِذَا غَشِيَتْكَ خَيْلُ مُحَمَّدٍ فَاصْنَعْهُ الآنَ، فَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ رَايَاتٍ، فَسَأَلْتُ عَنْهَا، فَقَالُوا: هَذِهِ جُيُوشُ مُحَمَّدٍ. قَالَ: فَقُلْتُ: فَقَرِّبْ لِي أَجْمَالِي فَقَرَّبَهَا، فَاحْتَمَلْتُ بِأَهْلِي وَوَلَدِي، ثُمَّ قُلْتُ: أَلْحَقُ بِأَهْلِ دِينِي مِنَ النَّصَارَى بِالشَّامِ ، فَسَلَكْتُ الجُوشِيَّةَ(١)، وَخَلَّفْتُ بِنْتاً لِحَاتِمٍ (٢) فِي الحَاضِرِ(٣)، فَلَمَّا قَدِمْتُ الشَّامَ أَقَمْتُ بِهَا(٤).

## سَرِيَّةُ عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِبٍ:

وَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي شَهْرِ رَبِيعِ

---

(١) الجوشية: طريق تعرف بهذا الاسم نسبة إلى جبل.
(٢) هي سفّانة بنت حاتم، أخته.
(٣) الحاضر: الحيّ.
(٤) سيرة ابن هشام.

الأَوَّلِ مِنَ السَّنَةِ التَّاسِعَةِ عَلِيَّ بنَ أَبِي طَالِبٍ فِي سَرِيَّةٍ قَوَامُهَا مِائَةُ رَاكِبٍ وَخَمْسُونَ فَارِسَاً لِهَدْمِ (الفُلْسِ) صَنَمِ طَيْءٍ، فَسَارَ إِلَيْهِ وَهَدَّمَهُ وَأَحْرَقَهُ، وَلَمَّا حَارَبَ عُبَّادَهُ هَزَمَهُمْ، وَاسْتَاقَ نِعَمَهُمْ، وَشَاءَهُمْ، وَسَبْيَهُمْ، وَكَانَ فِيهِ سَفَّانَةُ بِنْتُ حَاتِمٍ الطَّائِيِّ. وَلَمَّا رَجَعَ عَلِيٌّ إِلَى المَدِينَةِ طَلَبَتْ سَفَّانَةُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنْ يَمُنَّ عَلَيْهَا فَأَجَابَهَا، لِأَنَّهُ كَانَ مِنْ سِنَّتِهِ أَنْ يُكْرِمَ الكِرَامَ فَدَعَتْ لَهُ، وَكَانَ مِنْ دُعَائِهَا: «شَكَرَتْكَ يَدٌ افْتَقَرَتْ بَعْدَ غِنىً، وَلاَ مَلَكَتْكَ يَدٌ اسْتَغْنَتْ بَعْدَ فَقْرٍ، وَأَصَابَ اللَّهُ بِمَعْرُوفِكَ مَوَاضِعَهُ، وَلاَ جَعَلَ لَكَ إِلَى لَئِيمٍ حَاجَةً، وَلاَ سَلَبَ نِعْمَةَ كَرِيمٍ إِلاَّ وَجَعَلَكَ سَبَبَاً لِرَدِّهَا عَلَيْهِ». وَكَانَتْ هَذِهِ المُعَامَلَةُ سَبَبَاً فِي إِسْلاَمِ أَخِيهَا عَدِيِّ بنِ حَاتِمٍ الطَّائِيِّ[1].

وَيُرْوَى أَنَّ سَفَّانَةَ جُعِلَتْ فِي حَظِيرَةٍ بِبَابِ المَسْجِدِ، كَانَتِ السَّبَايَا يُحْبَسْنَ فِيهَا، فَمَرَّ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَامَتْ إِلَيْهِ، وَكَانَتِ امْرَأَةً جَزْلَةً، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلَكَ الوَالِدُ وَغَابَ الوَافِدُ، اَمْنُنْ عَلَيَّ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْكَ. قَالَ: وَمَنْ وَافِدُكِ؟ قَالَتْ: عَدِيُّ بنُ حَاتِمٍ. قَالَ: الفَارُّ مِنَ اللَّهِ

(١) نور اليقين.

وَرَسُولِهِ؟ قَالَتْ: ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتَرَكَنِي، حَتَّى إِذَا كَانَ مِنَ الغَدِ مَرَّ بِي، فَقُلْتُ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، وَقَالَ لِي مِثْلَ مَا قَالَ بِالأَمْسِ. قَالَتْ: حَتَّى إِذَا كَانَ بَعْدَ الغَدِ مَرَّ بِي وَقَدْ يَئِسْتُ مِنْهُ، فَأَشَارَ إِلَيَّ رَجُلٌ مِنْ خَلْفِهِ أَنْ قُومِي فَكَلِّمِيهِ؛ قَالَتْ: فَقُمْتُ إِلَيْهِ. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلَكَ الوَالِدُ، وَغَابَ الوَافِدُ، فَامْنُنْ عَلَيَّ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْكَ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَدْ فَعَلْتُ، فَلاَ تَعْجَلِي بِخُرُوجٍ حَتَّى تَجِدِي مِنْ قَوْمِكِ مَنْ يَكُونُ لَكِ ثِقَةً، حَتَّى يُبَلِّغَكِ إِلَى بِلاَدِكِ، ثُمَّ آذِنِينِي. فَسَأَلْتُ عَنِ الرَّجُلِ الَّذِي أَشَارَ إِلَيَّ أَنْ أُكَلِّمَهُ، فَقِيلَ: عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ، رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ. وَأَقَمْتُ حَتَّى قَدِمَ رَكْبٌ مِنْ بَلِيٍّ أَوْ قُضَاعَةَ، قَالَتْ: وَإِنَّمَا أُرِيدُ أَنْ آتِيَ أَخِي بِالشَّامِ. قَالَتْ: فَجِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ قَدِمَ رَهْطٌ مِنْ قَوْمِي، لِي فِيهِمْ ثِقَةٌ وَبَلاَغٌ. قَالَتْ: فَكَسَانِي رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَحَمَلَنِي، وَأَعْطَانِي نَفَقَةً، فَخَرَجْتُ مَعَهُمْ حَتَّى قَدِمْتُ الشَّامَ. قَالَ عَدِيٌّ: فَوَاللَّهِ إِنِّي لَقَاعِدٌ فِي أَهْلِي إِذْ نَظَرْتُ إِلَى ظَعِينَةٍ تَصُوبُ[1] إِلَيَّ تَؤُمُّنَا، قَالَ: فَقُلْتُ: ابْنَةُ حَاتِمٍ. قَالَ: فَإِذَا هِيَ هِيَ، فَلَمَّا

---

(١) تصوب إلى: تتجه نحوي.

وَقفَتْ عَلَيَّ انْسَحلَتْ[1] تَقُولُ: القَاطِعُ الظَّالِمُ، احْتَمَلْتَ بِأَهْلِكَ وَوَلَدِكَ وَتَرَكْتَ بَقِيَّةَ وَالِدِكَ، عَوْرَتَكَ! قَالَ: أَيْ أُخَيَّة، لاَ تَقُولِي إِلاَّ خَيْرَاً، فَوَاللَّهِ مَالِي مِنْ عُذْرٍ، لَقَدْ صَنَعْتُ مَا ذَكَرْتِ. قَالَ: ثُمَّ نَزَلَتْ فَأَقَامَتْ عِنْدِي، فَقُلْتُ لَهَا، وَكَانَتِ امْرَأَةً حَازِمَةً: مَاذَا تَرَيْنَ فِي أَمْرِ هَذَا الرَّجُلِ؟ قَالَتْ: أَرَى وَاللَّهِ أَنْ تَلْحَقَ بِهِ سَرِيعَاً، فَإِنْ يَكُنِ الرَّجُلُ نَبِيَّاً فَلِلسَّابِقِ إِلَيْهِ فَضْلُهُ، وَإِنْ يَكُنْ مَلِكَاً فَلَنْ تَذِلَّ فِي عِزِّ اليَمَنِ، وَأَنْتَ أَنْتَ. قَالَ: قُلْتُ: وَاللَّهِ إِنَّ هَذَا الرَّأْيَ.

قَالَ: فَخَرَجْتُ حَتَّى أَقْدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، المَدِينَةَ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ، وَهُوَ فِي مَسْجِدِهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: مَنِ الرَّجُلُ؟ فَقُلْتُ: عَدِيُّ بنُ حَاتِمٍ؛ فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَانْطَلَقَ بِي إِلَى بَيْتِهِ، فَوَاللَّهِ إِنَّهُ لَعَامِدٌ بِي إِلَيْهِ، إِذْ لَقِيَتْهُ امْرَأَةٌ ضَعِيفَةٌ كَبِيرَةٌ، فَاسْتَوْقَفَتْهُ، فَوَقَفَ لَهَا طَوِيلاً تُكَلِّمُهُ فِي حَاجَتِهَا؛ قَالَ: قُلْتُ فِي نَفْسِي: وَاللَّهِ مَا هَذَا بِمَلِكٍ، قَالَ: ثُمَّ مَضَى بِي رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَتَّى إِذَا دَخَلَ بِي بَيْتَهُ، تَنَاوَلَ وِسَادَةً مِنْ أَدَمٍ مَحْشُوَّةً لِيفَاً، فَقَذَفَهَا إِلَيَّ، فَقَالَ: اجْلِسْ عَلَى هَذِهِ، قَالَ: قُلْتُ: بَلْ

---

(١) انسحلت: أخذت في اللوم.

أَنْتَ فَاجْلِسْ عَلَيْهَا، فَقَالَ: بَلْ أَنْتَ، فَجَلَسْتُ عَلَيْهَا، وَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِالأَرْضِ؛ قَالَ: قُلْتُ فِي نَفْسِي، وَاللَّهِ مَا هَذَا بِأَمْرِ مَلِكٍ؛ ثُمَّ قَالَ: إِيهِ يَا عَدِيُّ بنُ حَاتِمٍ، أَلَمْ تَكُ رَكُوسِيًّا؟ قَالَ: قُلْتُ: بَلَى. قَالَ: أَوَلَمْ تَكُنْ تَسِيرُ فِي قَوْمِكَ بِالمِرْبَاعِ؟ قَالَ: قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: فَإِنَّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ يَحِلُّ لَكَ فِي دِينِكَ، قَالَ: قُلْتُ: أَجَلْ وَاللَّهِ، قَالَ: وَعَرَفْتُ أَنَّهُ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، يَعْلَمُ مَا يُجْهَلُ؛ ثُمَّ قَالَ: لَعَلَّكَ يَا عَدِيُّ إِنَّمَا يَمْنَعُكَ مِنْ دُخُولٍ فِي هَذَا الدِّينِ مَا تَرَى مِنْ حَاجَتِهِمْ، فَوَاللَّهِ لَيُوشِكَنَّ المَالُ أَنْ يَفِيضَ فِيهِمْ حَتَّى لاَ يُوجَدُ مَنْ يَأْخُذُهُ، وَلَعَلَّكَ إِنَّمَا يَمْنَعُكَ مِنْ دُخُولٍ فِيهِ مَا تَرَى مِنْ كَثْرَةِ عَدُوِّهِمْ وَقِلَّةِ عَدَدِهِمْ، فَوَاللَّهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ تَسْمَعَ بِالمَرْأَةِ تَخْرُجُ مِنَ القَادِسِيَّةِ عَلَى بَعِيرِهَا حَتَّى تَزُورَ هَذَا البَيْتَ، لَا تَخَافُ؛ وَلَعَلَّكَ إِنَّمَا يَمْنَعُكَ مِنْ دُخُولٍ فِيهِ أَنَّكَ تَرَى المُلْكَ وَالسُّلْطَانَ فِي غَيْرِهِمْ، وَأَيْمِ اللَّهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ تَسْمَعَ بِالقُصُورِ البِيضِ مِنْ أَرْضِ بَابِلَ قَدْ فُتِحَتْ عَلَيْهِمْ، قَالَ: فَأَسْلَمْتُ.

وَكَانَ عَدِيٌّ يَقُولُ: قَدْ مَضَتِ اثْنَتَانِ وَبَقِيَتِ الثَّالِثَةُ، وَاللَّهِ لَتَكُونَنَّ، قَد رَأَيْتُ القُصُورَ البِيضَ مِنْ أَرْضِ بَابِلَ قَدْ فُتِحَتْ، وَقَدْ رَأَيْتُ المَرْأَةَ تَخْرُجُ مِنَ القَادِسِيَّةِ عَلَى بَعِيرِهَا لَا تَخَافُ حَتَّى

تَحِجَّ هَذَا البَيْتَ، وَأَيْمِ اللَّهِ لَتَكُونَنَّ الثَّالِثَةَ لَيَفِيضَنَّ المَالُ حَتَّى لَا يُوجَدُ مَنْ يَأْخُذُهُ[1].

أَسْلَمَ عَدِيُّ بنُ حَاتِمٍ، وَكَانَ قَوْمُهُ قَدْ سَبَقُوهُ، وَوَفَدُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِالمَدِينَةِ مَعَ زَيْدِ الخَيْرِ وَأَسْلَمُوا. فَلَمَّا بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، العُمَّالَ عَلَى الصَّدَقَاتِ بَعَثَ عَدِيّاً عَلَى صَدَقَاتِ طَيْءٍ وَبَنِي أَسَدٍ.

وَشَهِدَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَجَّةَ الوَدَاعِ، وَتُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ عَنْهُ رَاضٍ.

لَهُ عِدَّةُ أَحَادِيثَ. وَرَوَى عَنْهُ الشَّعْبِيُّ، وَمُجِلُّ بنُ خَلِيفَةَ، وَسَعِيدُ بنُ جُبَيْرٍ، وَخَيْثَمَةُ بنُ عَبْدِالرَّحْمَنِ، وَتَمِيمُ بنُ طَرَفَةَ، وَعَبْدُاللَّه بنُ مَعْقِلٍ المُزَنِيُّ، وَمُصْعَبُ بنُ سَعْدٍ، وَهَمَّامُ بنُ الحَارِثِ، وَأَبُو إِسْحَاقَ السُّبَيْعِيُّ وَغَيْرُهُمْ.

## فِي الجِهَادِ

أَمْضَى عَدِيٌّ أَكْثَرَ أَيَّامِهِ بِالجِهَادِ، بَعْدَ أَنْ أَسْلَمَ بِقَلِيلٍ حَتَّى

---

(١) سيرة ابن هشام.

تَوَقَّفَ الجِهَادُ بِسَبَبِ مَا أَصَابَ الأُمَّةَ المُسْلِمَةَ أَيْ مُنْذُ السَّنَةِ الحَادِيَةِ عَشْرَةَ حَتَّى السَّنَةِ الثَّلَاثِينَ، وَلَمَّا تَوَقَّفَ الفَتْحُ انْضَمَّ إِلَى عَلِيٍّ فَقَضَى أَرْبَعَ سَنَوَاتٍ مَعَهُ فِي القِتَالِ رَغْمَ أَنَّ سِنَّهُ قَد زَادَتْ عَلَى التِّسْعِينَ، وَهَذَا بَعْدَ اسْتِشْهَادِ عَلِيٍّ حَتَّى وَافَاهُ الأَجَلُ عَنْ عُمْرٍ يُقَارِبُ المِائَةَ وَعِشْرِينَ عَاماً.

## ١ - فِي حُرُوبِ الرِّدَّةِ:

انْضَمَّتْ قَبِيلَتَا عَبْس وَذُبْيَانَ إِلَى طُلَيْحَةَ بن خُوَيْلِدٍ الأَسَدِيِّ، وَسَارَتَا إِلَيْهِ فِي (البُزَاخَةِ)، فَأَرْسَلَ إِلَى طَيِّءٍ بِفِرْعَيْهَا: (الغَوْثُ) وَ(جَدِيلَةُ) أَنْ يَلْحَقُوا بِهِ فَتَعَجَّلَ إِلَيْهِ أُنَاسٌ مِنَ الحَيَّيْنِ، وَأَمَرُوا قَوْمَهُمْ بِاللِّحَاقِ بِهِمْ. وَبَعَثَ أَبُو بَكْرٍ عَدِيَّ بنَ حَاتِمٍ إِلَى قَوْمِهِ وَقَالَ لَهُ: أَدْرِكْهُمْ قَبْلَ أَنْ يُوكَلُوا، ثُمَّ بَعَثَ الصِّدِّيقُ خَالِداً مِنْ ذِي القَصَّةِ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَسِيرَ إِلَى طَيْءٍ فِي الأَكْنَافِ، وَمِنْ هُنَاكَ يَنْتَقِلُ إِلَى (البُزَاخَةِ) ثُمَّ يَتَّجِهُ إِذَا انْتَهَى مِنْ طُلَيْحَةَ إِلَى (البُطَاحِ) حَيْثُ يَجْتَمِعُ بَنُو تَمِيمٍ، كَمَا أَمَرَهُ أَلَّا يَسِيرَ عَنْ قَوْمٍ إِذَا فَرَغَ مِنْهُمْ قَبْلَ أَنْ يُخْبِرَهُ.

سَارَ خَالِدٌ نَحْوَ الأَكْنَافِ (أَكْنَافِ سَلْمَى)[١] وَهَذَا مَا جَعَلَ

---

(١) سلمى: جبل يشرف على حائل، ويقع إلى الجنوب الشرقي منها.

طَيِّئاً تَتَأَخَّرُ عَنْ طُلَيْحَةَ، وَقَدِمَ عَلَيْهِمْ عَدِيٌّ، فَدَعَاهُمْ، فَقَالُوا: لاَ نُبَايِعُ أَبَا الفَصِيلِ أَبَداً، فَقَالَ: لَقَدْ أَتَاكُمْ قَوْمٌ لَيُبِيحُنَّ حَرِيمَكُمْ، وَلَتُكَنُّنَّهُ بِالفَحْلِ الأَكْبَرِ، فَشَأْنُكُمْ بِهِ. فَقَالُوا لَهُ: فَاسْتَقْبِلِ الجَيْشَ فَنَهْنِهْهُ عَنَّا حَتَّى نَسْتَخْرِجَ مَنْ لَحِقَ بِالبُزَاخَةِ مِنَّا، فَإِنَّا إِنْ خَالَفْنَا طُلَيْحَةَ وَهُمْ فِي يَدِهِ قَتَلَهُمْ أَوِ ارْتَهَنَهُمْ. فَاسْتَقْبَلَ عَدِيٌّ خَالِداً وَهُوَ بِالسُّنْحِ، فَقَالَ: يَا خَالِدُ، أَمْسِكْ عَنِّي ثَلاَثاً يَجْتَمِعُ لَكَ خَمْسُمِائَةِ مُقَاتِلٍ تَضْرِبُ بِهِمْ عَدُوَّكَ، وَذَلِكَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تُعْجِلَهُمْ إِلَى النَّارِ، وَتَشَاغَلُ بِهِمْ، فَفَعَلَ. فَعَادَ عَدِيٌّ إِلَيْهِمْ وَقَدْ أَرْسَلُوا إِخْوَانَهُمْ، فَأَتَوْهُمْ مِنَ (بُزَاخَةَ) كَالمَدَدِ لَهُمْ، وَلَوْلاَ ذَلِكَ لَمْ يُتْرَكُوا، فَعَادَ عَدِيٌّ بِإِسْلاَمِهِمْ إِلَى خَالِدٍ. وَارْتَحَلَ خَالِدٌ نَحْوَ (الأَنْسُرِ) يُرِيدُ (جَدِيلَةَ)، فَقَالَ لَهُ عَدِيٌّ: إِنَّ طَيِّئاً كَالطَّائِرِ، وَإِنَّ (جَدِيلَةَ) أَحَدُ جَنَاحَيْ طَيٍّ، فَأَجِّلْنِي أَيَّاماً لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَنْتَقِذَ (جَدِيلَةَ) كَمَا انْتَقَذَ (الغَوْثَ)، فَفَعَلَ، فَأَتَاهُمْ عَدِيٌّ فَلَمْ يَزَلْ بِهِمْ حَتَّى بَايَعُوهُ، فَجَاءَهُ بِإِسْلاَمِهِمْ، وَلَحِقَ بِالمُسْلِمِينَ مِنْهُمْ أَلْفُ رَاكِبٍ، فَكَانَ خَيْرَ مَوْلُودٍ وُلِدَ فِي أَرْضِ طَيْءٍ وَأَعْظَمُهُ عَلَيْهِمْ بَرَكَةً[1]. وَكَانَ عَدِيٌّ مَعَ خَالِدٍ فِي (بُزَاخَةَ) فِي قِتَالِ طُلَيْحَةَ وَفِي (البُطَاحِ) فِي قِتَالِ

---

(١) تاريخ الطبري.

بَنِي تَمِيمٍ، وَفِي اليَمَامَةِ فِي قِتَالِ بَنِي حَنِيفَةَ.

**٢ً - في العِرَاقِ:**

وَسَارَ عَدِيٌّ مَعَ خَالِدٍ، وَشَهِدَ مَعَهُ الفَتْحَ فِي العِرَاقِ، وَكَانَ أَحَدَ الأَبْطَالِ الَّذِينَ يُوكِلُ إِلَيْهِمُ المُهِمَّاتِ الصِّعَابِ مِثْلَ: عَاصِمِ بنِ عَمْرٍو، وَأَخِيهِ القَعْقَاعِ بنِ عَمْرٍو، وَضِرَارِ بنِ الأَزْوَرِ، وَهَاشِمِ بنِ عُتْبَةَ، وَالأَقْرَعِ بنِ حَابِسٍ وَعِيَاضِ بنِ غَنْمٍ، وَجَرِيرِ بنِ عَبْدِ اللَّهِ البَجَلِيِّ وَغَيْرِهِمْ.

**٣ً - في الشَّامِ:**

وَسَارَ عَدِيٌّ مَعَ خَالِدٍ مِنَ العِرَاقِ إِلَى الشَّامِ، وَشَهِدَ مَعَهُ اليَرْمُوكَ، وَفَتْحَ دِمَشْقَ وَكَانَ مِنْ رِجَالِهِ المَعْدُودِينَ، وَعَادَ إِلَى العِرَاقِ مَعَ مَنْ عَادَ مَعَ هَاشِمِ بنِ عُتْبَةَ بنِ أَبِي وَقَّاصٍ، وَذَلِكَ بَعْدَ فَتْحِ دِمَشْقَ.

**٤ً - في العِرَاقِ ثَانِيَةً:**

وَسَاهَمَ مُسَاهَمَةً فَعَّالَةً فِي مَيَادِينِ القِتَالِ فِي العِرَاقِ، وَكَانَ أَحَدَ الأَبْطَالِ البَارِزِينَ.

## فِي الخِلَافِ:

أَقَامَ عَدِيٌّ فِي الكُوفَةِ عِنْدَمَا ظَهَرَتِ الفِتْنَةُ، وَهَدَأَتْ حَرَكَةُ

الفَتْحِ . وَعِنْدَمَا بُويعَ عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ وَقَفَ بِجَانِبِهِ رَغْمَ أَنَّهُ قَدْ تَقَدَّمَتْ بِهِ السِّنُّ، وَاشْتَرَكَ مَعَهُ فِي مَعْرَكَةِ الجَمَلِ ، وَفِي مَعْرَكَةِ صِفِّينَ، وَفُقِئَتْ عَيْنُهُ يَوْمَذَاكَ، فَعَاشَ بَعْدَهَا أَعْوَرَ، كَمَا فَقَدَ وَلَدَهُ قَتِيلاً فِي تِلْكَ المَعْرَكَةِ.

وَاسْتَقَرَّ بِالكُوفَةِ بَعْدَ مَقْتَلِ عَلِيٍّ ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْهَا هُوَ وَجَرِيرُ بنُ عَبْدِاللَّهِ البَجَلِيُّ، وَحَنْظَلَةُ الكَاتِبُ، وَقَالُوا: لَا نُقِيمُ بِبَلَدٍ يُشْتَمُ فِيْهِ عُثْمَانُ، وَكَانَ أَهْلُ الكُوفَةِ يَوْمَذَاكَ أَهْلَ فِتْنَةٍ، وَنَقْدٍ، وَشَتْمٍ مِنْ غَيْرِ اعْتِرَافٍ لِأَحَدٍ بِفَضْلٍ . وَنَزَلَ عَدِيٌّ مَعَ أَصْحَابِهِ (قَرْقِيسَاءَ)، وَلَمْ يَزَلْ فِيْهَا حَتَّى وَافَاهُ الأَجَلُ عَامَ سَبْعَةٍ وَسِتِّينَ، أَيَّامَ تَسَلُّمَ المُخْتَارِ بنِ أَبِي عُبَيْدٍ الثَّقَفِيِّ أَمْرَ العِرَاقِ. وَبِذَا يَكُونُ قَدْ عَاشَ مِائَةً وَعِشْرِينَ سَنَةً مِنْهَا ثَمَانِيَةٌ وَخَمْسُونَ عَاماً فِي الإِسْلَامِ وَأَكْثَرُ مِنْهَا فِي الجَاهِلِيَّةِ.

قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: رَأَيْتُ عَدِيّاً رَجُلاً جَسِيماً أَعْوَرَ، يَسْجُدُ عَلَى جِدَارٍ ارْتِفَاعُهُ نَحْوَ ذِرَاعٍ .

وَجَاءَ عَدِيٌّ إِلَى عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ، فَقَالَ: أَمَا تَعْرِفُنِي؟ قَالَ: أَعْرِفُكَ، أَقَمْتَ إِذْ كَفَرُوا، وَوَفَّيْتَ إِذْ غَدَرُوا، وَأَقْبَلْتَ إِذْ أَدْبَرُوا.

وَيُكَنَّى عَدِيٌّ أَبَا طَرِيفٍ كَمَا يُقَالُ أَبَا وَهَبٍ.

وَقَالَ عَدِيٌّ: مَا أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ مُنْذُ أَسْلَمْتُ إِلَّا وَأَنَا عَلَى وُضُوءٍ.

بُنَاة دَوْلَةِ الإسْلام

- ٥٠ -

# ثُمَامَة بن أُثَال

رضي الله عنه

ثُمَامَةَ بنُ أُثَالٍ بنِ النُّعْمَانِ بنِ سَلَمَةَ بنِ عُتَيْبَةَ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ يَرْبُوعٍ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ الدُّوَلِ بنِ حَنِيفَةَ، الحَنَفِيُّ، اليَمَامِيُّ، أَبُو أُمَامَةَ.

وُلِدَ فِي حُجَرِ اليَمَامَةِ (الرِّيَاضِ اليَوْمِ) فِي إِحْدَى ضَوَاحِيهَا الغَرْبِيَّةِ (عُرَيْجَةَ) التِي تَقَعُ عَلَى ضِفَّةِ وَادِي العُرُوضِ (حَنِيفَةَ)، وَنَشَأَ عَزِيزاً كَرِيماً، وَمَا بَلَغَ مَرْحَلَةَ الشَّبَابِ حَتَّى كَانَ أَحَدَ سَادَاتِ قَوْمِهِ.

وَفِي بِدَايَةِ عَهْدِ الإِسْلَامِ كَانَ سَيِّدَ بَنِي حَنِيفَةَ وَمِلكَ اليَمَامَةِ هَوْذَةُ بنُ عَلِيٍّ الحَنَفِيُّ. وَقَدْ أَرْسَلَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كِتَاباً يَدْعُوهُ فِيهِ إِلَى الإِسْلَامِ، وَذَلِكَ فِي السَّنَةِ السَّادِسَةِ لِلْهِجْرَةِ بَعْدَ صُلْحِ الحُدَيْبِيَّةِ عِنْدَمَا أَخَذَ بِإِرْسَالِ الكُتُبِ إِلَى المُلُوكِ وَالرُّؤَسَاءِ، غَيْرَ أَنَّ هَوْذَةَ بنَ عَلِيٍّ قَدْ كَانَتْ لَهُ مَطَالِبُ فَجَاءَ فِي رَدِّهِ (مَا أَحْسَنَ مَا تَدْعُو إِلَيْهِ وَمَا أَجْمَلَهُ، وَأَنَا

شَاعِرُ قَوْمِي وَخَطِيبُهُمْ، وَالعَرَبُ تَهَابُ مَكَانِي فَاجْعَلْ لِي بَعْضَ الأَمْرِ أَتَّبِعْكَ). وَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَوْ سَأَلَنِي قِطْعَةً مِنَ الأَرْضِ مَا فَعَلْتُ، بَادَ، وَبَادَ مَا فِي يَدَيْهِ». وَقَدْ هَلَكَ (هَوْذَةُ) فِي السَّنَةِ الثَّامِنَةِ لِلْهِجْرَةِ، وَغَدَا مُسَيْلَمَةُ بنُ حَبِيبٍ الحَنَفِيُّ (الكَذَّابُ) سَيِّدَ قَوْمِهِ.

كَانَ ثُمَامَةُ بنُ أُثَالٍ يُسَامِي (هَوْذَةَ) وَ(مُسَيْلَمَةَ)، وَلَمَّا وَصَلَتْ دَعْوَةُ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَى الإِسْلَامِ إِلَيْهِ، ازْدَرَاهَا وَأَعْرَضَ عَنْهَا، وَأَخَذَتْهُ العِزَّةُ بِالإِثْمِ، وَأَصَمَّ أُذُنَيْهِ عَنْ سَمَاعِهَا، وَكَانَ يُقَدِّسُ البَيْتَ وَيَحْتَرِمُهُ كَبَقِيَّةِ العَرَبِ، وَرَغِبَ يَوْماً أَنْ يَزُورَهُ، فَجَهَّزَ نَفْسَهُ وَانْطَلَقَ، وَبَيْنَمَا هُوَ فِي الطَّرِيقِ إِذِ اعْتَرَضَتْهُ سَرِيَّةٌ لِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخَذَتْهُ أَسِيراً وَهِيَ لَا تَعْرِفُهُ، وَسَارَتْ بِهِ إِلَى المَدِينَةِ، وَشَدَّتْهُ إِلَى سَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي المَسْجِدِ، تَنْتَظِرُ أَنْ يُصْدِرَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَمْرَهُ فِيهِ. فَلَمَّا جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَى المَسْجِدِ وَجَدَهُ مَرْبُوطاً فِي السَّارِيَةِ، فَقَالَ: لِأَصْحَابِهِ: هَلْ عَلِمْتُمْ مَنْ أَخَذْتُمْ؟ فَقَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: هَذَا ثُمَامَةُ بنُ أُثَالٍ الحَنَفِيُّ، فَأَحْسِنُوا إِسَارَهُ، وَرَجَعَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى أَهْلِهِ فَقَالَ: اجْمَعُوا مَا عِنْدَكُمْ مِنْ طَعَامٍ

وَابْعَثُوا بِهِ إِلَى ثُمَامَةَ بنِ أُثَالٍ، وَأَمَرَ أَنْ تُحْلَبَ نَاقَتُهُ فِي الغُدُوِّ وَالرَّوَاحِ، وَأَنْ يُقَدَّمَ لَبَنُهَا إِلَى ثُمَامَةَ، وَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلَى ثُمَامَةَ بَعْدَ ذَاكَ، وَقَالَ لَهُ: مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟ فَقَالَ: عِنْدِي يَا مُحَمَّدُ خَيْرٌ، فَإِنْ تَقتُلْ تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ المَالَ فَسَلْ تُعْطَ مِنْهُ مَا شِئْتَ، فَتَرَكَهُ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَوْمَيْنِ عَلَى حَالِهِ، يُقَدَّمُ لَهُ أَفْضَلُ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وَيُحْمَلُ إِلَيْهِ لَبَنُ النَّاقَةِ، ثُمَّ جَاءَهُ، فَقَالَ لَهُ: مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟ قَالَ: مَا عِنْدِي إِلاَّ مَا قُلْتُ لَكَ مِن قَبْلُ: إِنْ تَقتُلْ تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ المَالَ فَسَلْ تُعْطَ مِنْهُ مَا شِئْتَ، فَتَرَكَهُ، ثُمَّ جَاءَهُ فِي اليَوْمِ التَّالِي فَأَعَادَ عَلَيْهِ السُّؤَالَ، فَكَرَّرَ عَلَيْهِ الجَوَابَ، فَالْتَفَتَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَى أَصْحَابِهِ، وَقَالَ لَهُمْ: أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ بنَ أُثَالٍ، فَفَكُّوا وَثَاقَهُ وَأَطْلَقُوهُ.

انْطَلَقَ ثُمَامَةُ مِنْ مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ نَخْلاً فِي ضَوَاحِي المَدِينَةِ قَرِيباً مِنَ البَقِيعِ فِيْهِ مَاءٌ أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ عِنْدَهُ، وَتَطَهَّرَ مِنْ مَائِهِ فَأَحْسَنَ طُهُورَهُ، ثُمَّ قَفَلَ رَاجِعاً إِلَى المَدِينَةِ مُتَّجِهاً إِلَى المَسْجِدِ، فَمَا إِنْ بَلَغَهُ حَتَّى وَقَفَ عَلَى مَلأٍ مِنَ المُسْلِمِينَ، وَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَشْهَدُ

أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَسَأَلَ مَنْ كَانَ مِنَ المُسْلِمِينَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَرْشَدُوهُ إِلَى مَكَانِهِ فَأَسْرَعَ إِلَيْهِ، وَمَا أَنْ وَصَلَ إِلَيْهِ حَتَّى وَجَدَ نَفْسَهُ يَتَصَبَّبُ عَرَقاً، وَعَيْنَاهُ تَذْرُفَانِ دَمْعاً رَغْبَةً فِي لِقَائِهِ مُسْلِماً، وَحُزْناً عَلَى مَا قَدْ فَاتَهُ، وَحَيَاءً مِمَّنْ يَتَنَزَّلُ عَلَيْهِ الوَحْيُ مِنَ السَّمَاءِ، فَقَالَ وَقَلْبُهُ خَاشِعٌ هَيْبَةً وَمُتَطَلِّعٌ إِلَى أَمَلٍ وَاسِعٍ وَحَيَاةٍ رَغِيدَةٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَاللَّهِ مَا كَانَ عَلَى الأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ، وَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهُكَ أَحَبَّ الوُجُوهِ كُلِّهَا إِلَيَّ، وَوَاللَّهِ مَا كَانَ دِينٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الدِّينِ كُلِّهِ إِلَيَّ، وَوَاللَّهِ مَا كَانَ بَلَدٌ أَبْغَضُ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ البِلاَدِ كُلِّهَا إِلَيَّ، ثُمَّ أَرْدَفَ قَائِلاً: لَقَدْ كُنْتُ أَصَبْتُ فِي أَصْحَابِكَ دَماً فَمَا الَّذِي تُوجِبُهُ عَلَيَّ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لاَ تَثْرِيبَ عَلَيْكَ يَا ثُمَامَةُ، فَإِنَّ الإِسْلاَمَ يَجُبُّ مَا كَانَ قَبْلَهُ»، وَبَشَّرَهُ بِالخَيْرِ الَّذِي كَتَبَهُ اللَّهُ لَهُ بِإِسْلاَمِهِ.

لَمْ يُعْلِنْ ثُمَامَةُ إِسْلاَمَهُ وَهُوَ مُقَيَّدٌ أَنَفَةً مِنْ أَنْ يُقَالَ: أَسْلَمَ تَخَلُّصاً مِنَ القَيْدِ أَوْ خَوْفاً مِنَ السَّيْفِ، وَلَكِنَّهُ فِي الوَاقِعِ قَدْ تَأَثَّرَ مِنْ إِكْرَامِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَهُ، وَآمَنَ لِمَا رَأَى مِنْ خُلُقِ المُسْلِمِينَ فِي غُدُوِّهِمْ، وَرَوَاحِهِمْ، وَمَكْثِهِمْ، وَحُبِّ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ، وَحُبِّهِمْ لِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَنَظَافَتِهِمْ وَ. . .

وَأَبْقَاهُ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هَذِهِ المُدَّةَ فِي المَسْجِدِ لِيَتَأَثَّرَ بِمَا يَرَى، وَلِيَتَعَلَّمَ مِمَّا يُشَاهِدُ، وَلِيَعْرِفَ حَقِيقَةَ الإِسْلَامِ عَنْ قُرْبٍ، وَلَقَدْ تَعَلَّمَ فِعْلاً الوُضُوءَ وَسَأَلَ عَنْ أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ، وَلِهَذَا عَرَفَ التَّطَهُّرَ بَعْدَ أَنْ فُكَّ قَيْدُهُ وَانْطَلَقَ مِنْ أَسْرِهِ، وَسَارَ بَعِيداً عَنِ المَسْجِدِ.

وَعَمَدَ ثُمَامَةُ إِلَى هَدَفِهِ فِي زِيَارَةِ البَيْتِ الحَرَامِ، وَقَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَاللَّهِ لَأُصِيبَنَّ مِنَ المُشْرِكِينَ أَضْعَافَ مَا أَصَبْتُ مِنْ أَصْحَابِكَ، وَلَأَضَعَنَّ نَفْسِي وَسَيْفِي وَمَنْ مَعِي فِي نُصْرَتِكَ وَنُصْرَةِ دِينِكَ، ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ خَيْلَكَ أَخَذَتْنِي وَأَنَا أُرِيدُ زِيَارَةَ البَيْتِ فَمَاذَا تَرَى أَنْ أَفْعَلَ؟ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: امْضِ لِأَدَاءِ زِيَارَتِكَ وَلَكِنْ عَلَى مَا شَرَعَهُ اللَّهُ، وَعَلَّمَهُ مَا يَقُومُ بِهِ مِنْ مَنَاسِكَ.

وَانْطَلَقَ ثُمَامَةُ حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَكَّةَ رَفَعَ صَوْتَهُ بِالتَّلْبِيَةِ، وَلَمْ يَتَعَوَّدْ أَهْلُ مَكَّةَ أَنْ يَسْمَعُوا مِثْلَ هَذَا، فَهَبُّوا نَحْوَ الصَّوْتِ شَاهِرِينَ سُيُوفَهُمْ يُرِيدُونَ الفَتْكَ بِالقَادِمِ عَلَيْهِمْ مَهْمَا كَانَ، وَخَشِيَ أَهْلُ مَكَّةَ أَنْ يَمَسُّوهُ بِسُوءٍ عِنْدَمَا عَلِمُوا أَنَّهُ ثُمَامَةُ خَوْفاً مِنْ أَنْ يَقْطَعَ عَنْهُمْ طَرِيقَ نَجْدٍ، وَأَنْ يَمْنَعَ عَنْهُمُ المُؤُونَةَ بَعْدَ أَنِ انْقَطَعَتْ عَنْهُمْ طَرِيقُ المَدِينَةِ إِلَى الشَّامِ بِسَبَبِ الحَرْبِ القَائِمَةِ

بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ المُسْلِمِينَ. وَقَالَ لَهُ أَهْلُ مَكَّةَ: مَا بِكَ يَا ثُمَامَةُ؟ أَصَبَوْتَ وَتَرَكْتَ دِينَكَ وَدِينَ آبَائِكَ؟ فَأَجَابَهُمْ: مَا صَبَوْتُ وَلَكِنِ اتَّبَعْتُ خَيْرَ دِينٍ دِينِ مُحَمَّدٍ الَّذِي اخْتَارَهُ اللَّهُ لِعِبَادِهِ. ثُمَّ قَالَ: أُقْسِمُ بِرَبِّ هَذَا البَيْتِ لَنْ يَصِلَ إِلَيْكُمْ بَعْدَ عَوْدَتِي إِلَى اليَمَامَةِ حَبَّةٌ مِنْ قَمْحِهَا أَوْ شَيْءٌ مِنْ خَيْرَاتِهَا حَتَّى تَتْبَعُوا دِينَ مُحَمَّدٍ، أَو يَأْمُرَنِي هُوَ بِإِرْسَالِ المُؤُونَةِ إِلَيْكُمْ. وَأَدَّى ثُمَامَةُ عُمْرَتَهُ عَلَى مَرْأَى مِنْ قُرَيْشٍ كَمَا عَلَّمَهُ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَدَّمَ أُضْحِيَتَهُ لِلَّهِ، لَا إِلَى أَصْنَامِهِمْ كَمَا عَوَّدَتْهُمُ الجَاهِلِيَّةُ.

وَرَجَعَ ثُمَامَةُ إِلَى اليَمَامَةِ وَكَانَ أَوَّلَ شَيْءٍ فَعَلَهُ أَنْ أَمَرَ قَوْمَهُ بِمَنْعِ إِرْسَالِ أَيِّ شَيْءٍ مِنْ مُنْتَجَاتِ اليَمَامَةِ إِلَى مَكَّةَ، فَامْتَثَلُوا لِأَمْرِهِ، وَاشْتَدَّ الحِصَارُ عَلَى أَهْلِ مَكَّةَ حَتَّى اضْطَرُّوا أَنْ يَكْتُبُوا لِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ عَهْدَنَا بِكَ أَنْ تَصِلَ الرَّحِمَ، وَهَا أَنْتَ قَدْ قَطَعْتَ أَرْحَامَنَا فَقَتَلْتَ الآبَاءِ بِالسَّيْفِ، وَأَمَتَّ الأَبْنَاءِ بِالجُوعِ. وَإِنَّ ثُمَامَةَ بنَ أُثَالٍ قَدْ قَطَعَ عَنَّا مِيرَتَنَا، وَأَضَرَّ بِنَا، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَكْتُبَ إِلَيْهِ أَنْ يَبْعَثَ إِلَيْنَا بِمَا نَحْتَاجُ إِلَيْهِ فَافْعَلْ. فَكَتَبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى ثُمَامَةَ أَنْ يُطْلِقَ لَهُمْ مِيرَتَهُمْ، فَأَطْلَقَهَا، وَقَالَ: أَمَّا الآنَ فَنَعَمْ طَاعَةً لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ.

وَتَوَالَتِ الأَحْدَاثُ مُسْرِعَةً، وَتُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَصْبَحَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ خَلِيفَةَ المُسْلِمِينَ، وَارْتَدَّتِ الأَعْرَابُ، وَمِنْهُمْ بَنُو حَنِيفَةَ الَّذِينَ التَفُّوا حَوْلَ مُسَيْلَمَةَ الكَذَّابِ الَّذِي ادَّعَى النُّبُوَّةَ غَيْرَ أَنَّ بَعْضَهُمْ قَدْ ثَبَتَ عَلَى الإِسْلَامِ، وَعَلَى رَأْسِهِمْ ثُمَامَةُ بنُ أُثَالٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَالَّذِي حَاوَلَ نُصْحَ قَوْمِهِ، وَثَنْيِهِمْ عَنْ غَيِّهِمْ، فَأَبَوْا عَلَيْهِ، وَلَامُوهُ عَلَى ثَبَاتِهِ عَلَى الإِسْلَامِ، وَحَاوَلُوا النَّيْلَ مِنْهُ، فَكَانَ يُنْشِدُ:

أَهِمُّ بِتَـرْكِ القَـوْلِ ثُمَّ يَـرُدُّنِي
إِلَى القَـوْلِ إِنْعَـامُ النَّبِيِّ مُحَمَّـدِ
شَكَرْتُ لَهُ فَكِّي مِنَ الغُلِّ بَعْدَمَا
رَأَيْتُ خَيَـالاً مِنْ حُسَامٍ مُهَنَّـدِ

وَعِنْدَمَا جَاءَتْ جُيُوشُ المُسْلِمِينَ لِقِتَالِ بَنِي حَنِيفَةَ انْضَمَّ إِلَيْهَا بِمَنْ مَعَهُ مِنْ قَومِهِ الَّذِينَ ثَبَتُوا عَلَى الإِسْلَامِ، فَلَحِقَ بِعِكْرِمَةَ، ثُمَّ بِشُرَحْبِيلَ، ثُمَّ غَدَا فِي جَيْشِ خَالِدٍ، وَقَدْ حَارَبَ قَوْمَهُ، وَلَمَّا انْتَهَى أَمْرُ بَنِي حَنِيفَةَ أَمَرَهُ الصِّدِّيقُ أَنْ يَسِيرَ بِمَنْ مَعَهُ إِلَى البَحْرَيْنِ لِمُعَاوَنَةِ العَلَاءِ بنِ الحَضْرَمِيِّ فِي قِتَالِ المُرْتَدِّينَ، فَسَارَ إِلَى العَلَاءِ وَالْتَحَقَ بِجُنْدِهِ حَتَّى أَظْفَرَهُمُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ. وَاشْتَرَى ثُمَامَةُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حُلَّةً كَانَتْ لِكَبِيرِ المُرْتَدِّينَ مِنْ

بَنِي عَبْدِ قَيْسٍ بنِ ثَعْلَبَةَ - عَلَى مَا يَبْدُو - فَرَآهَا عَلَيْهِ بَعْضُهُمْ فَظَنَّ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي قَتَلَهُ وَسَلَبَهُ، فَقَتَلُوهُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي العَامِ الثَّانِي عَشَرِ الهِجْرِيِّ.

# فهرس الموضوعات